الناجون من النار

(عقيدة الفرقة الناجية)

تأليف

إسماعيل مرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

لا صدفة ولا عشوائية، كل شئ في العالم محكوم ومسيطر عليه ويسير وفقا لقوانين وسنن محكمة. **قال تعالى:** فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا.**(فاطر43)** ومن سنن الله تعالى في أرضه اختلاف الناس وافتراقهم إلى ملل ونحل.

أما عن الحكمة الإلهية لحدوث هذا الافتراق والإختلاف والإنقسام بين الناس، فهي حكمة ابتلاء الناس وتمحيص إيمانهم، **أو كما قال تعالى:** لو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم.**(المائدة 48)**

هذا الاختلاف والافتراق بين الناس قد شاء الله وقوعه فوقع، ولو شاء الله أن يكون الناس أمة واحدة صاحبة عقيدة واحدة غير مختلفة لكان ما أراد تعالى، **أو كما قال:** ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعا.**(يونس 99) وقال:** ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء.**(النحل 93) وقال:** ولو شاء الله ما أشركوا.**(الأنعام 112) وقال تعالى:** ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجِنة والناس أجمعين.**(هود 118-119)** إذا لم يشأ الله تعالى أن يكون الناس كلهم على الإيمان، كما لم يشأ أن يكون الناس كلهم على الكفر، وإنما شاء أن يكون الناس مختلفين، وهم مختلفون لأنهم مخيرون.. مخيرون ما بين الإيمان والكفر، ما بين الهدى والضلال؛ مما كان نتيجته أن اختار بعضهم الإيمان والهدى، واختار البعض الآخر الكفر والضلال؛ فاختلفوا بذلك إلى أمم متنازعة الأهواء والمعتقدات. ولا يختلف المسلمون عن غيرهم من الأمم، فقد أصابهم ما أصاب كافة الأمم والمجتمعات البشرية من الخلاف والافتراق، ووفقا لتلك القوانين والسنن المحكمة التي قضى بها رب المخلوقات على كل ما خلق. لذا عندما اختلف المسلمون وتنازعوا في أمر من أمور السماء والشريعة، فإنهم قد سلكوا نفس السبل والمناهج التي سلكها و انتهجها أهل الكتب السماوية من قبلهم كاليهود والنصارى؛ **وهو عين ما تنبأ به النبي عليه الصلاة والسلام فقال:** لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع؛ حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. **قلنا:** يا رسول الله؛ اليهود والنصارى؟ **قال:** فمن؟[1] **وقال عليه السلام:** لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بمآخذ الأمم والقرون قبلها، شبرا بشبرا، وذراعا بذراع. **قال رجل:** يا رسول الله كما فعلت فارس والروم؟ **قال:** وهل الناس إلا أولئك.[2]

==

1: صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري- رقم 3456

2: صحيح البخاري عن أبي هريرة- رقم 7319 ومسند أحمد رقم 8805 واللفظ له

والسنن: هي الطريقة والأفعال؛ والمعنى أنكم أيها المسلمون ستتبعون طريقة اليهود والنصارى والفرس والروم في أفعالهم وفي حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم متابعة دقيقة، وستتركون سنة النبي والحق الذي تركه لكم، حتى لو دخلوا جحر ضب على ما عُرف عن جحر الضب من الظلمة والنتانة والضيق؛ لوافقتوهم ولدخلتموه..

والسؤال: هل يمكن أن يضل كل المسلمون كما ضل اليهود والنصارى من قبلهم ويضيع دين الله ووحيه الأخير إلى أهل الأرض؟

الإجابة: قطعا لا، فقد قضى الله تعالى أن يحفظ كتابه الأخير إلى البشرية، أي القرآن؛ **فقال:** إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون.**(الحجر9)** كما قضى تعالى أن تبقى فرقة واحدة من المسلمين على الحق؛ وغيرها في الضلال والبدع يبتعدون ويقتربون منها بدرجات متفاوتة، **قال تعالى:** وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون. **(الأعراف 181) وقال عليه السلام:** لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة.[1] **وقال عليه السلام:** لا تجتمع أمتي على ضلالة.[2]

إذا هناك فرقة واحدة ظاهرة على الحق وناجية من الضلال وغيرها هالك، وهذا أيضا من القوانين والسنن الإلهية الجارية في تاريخ الإنسانية كلها، فكما تفرقت اليهود بعد أن جاءتهم البينة من ربهم؛ تفرقت أيضا النصارى، وكذلك حدث للمسلمين، وكل هذا قد أخبر به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، **بقوله:** تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة.[3] **وفي رو اية:** تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.[4]

قيل: لم يتكامل وجود هذه الفرق من أهل البدع بين المسلمين بعد، وإنما وجد بعضهم وسيوجد بعدهم قبل يوم القيامة جميعهم، فإن ما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم كائن لا محالة. وقال الباقون وهم الذين يتتبعون التواريخ ويفتشون عن المقالات المنقولة من أرباب المذاهب المتسمة بسمة الإسلام أن تمام هذه الفرق الضالة قد وجدت في زمرة الإسلام.[5]

==

1: صحيح مسلم عن جابربن عبد اله- رقم 1923

2: عن أبي بصرة الغفاري- مختصر المقاصد الحسنة للزرقاني- رقم 1179- ص 242

3: عن أبي هريرة- صحيح ابن ماجه للألباني- رقم 3240

4: صحيح الترمذي للألباني- رقم 2640

5: انظر التبصيرفي الدين- الاسفر اييني- ص 16

وقد رأينا أن فرق كثيرة من الفرق المنتسبة إلى الإسلام بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ قد ادعت أنها هي تلك الفرقة الناجية الثابتة على الحق، وما عداهم يتقلب في الضلالة والبدع والانحراف عن المنهج المستقيم؛ وأدخلوا الشك والحيرة في قلوب العباد؛ لدرجة أنهم جعلوهم يسألون: أين الإسلام الحقيقي؟ وأي فرقة أحق بالإتباع من بين هؤلاء؟ ولو لم يكن لأعداء الدين غرضا إلا تحقيق هذا لفازوا الفوز المبين.

أهل السنة يزعمون أنهم هذه الفرقة الناجية، وكذلك الشيعة والمعتزلة؛ والجهمية والكلابية والكرامية والنجارية والأشعرية والصوفية والباطنية والأباضية وغيرهم وغيرهم. فأي منهم أحق بهذا النعت: الفرقة الناجية؟

أصحاب النبي هم الفرقة الناجية من النار

لا يمكن أن يخالف مسلم موحد في أن صحابة النبي هم أحق المسلمين بلقب الفرقة الناجية، فهم أوائل المدرسة المحمدية.. أول من آمن بالله ورسوله، وأول من جاهد في سبيل الله، وهم من حملوا ونقلوا الوحي والسنة عن رسول الله.. هم الفرقة التي يمكن القول عليها وبمنتهى الثقة واليقين أنهم هم المسلمون حقا والمؤمنون صدقا. **ولما لا؟ وقد قال الله تعالى:** والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا.**(الأنفال 74)** هذه شهادة من رب العالمين بالإيمان الصادق الحق لأوائل المسلمين من المهاجرين والأنصار. **وقال تعالى:** والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم.**(التوبة 100)**

يقول الخطيب البغدادي: على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شئ مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، والقطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين. هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء.[1]

وقال تعالى: لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم الله ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا.**(الفتح 18) قال ابن كثير:** فعلم ما في قلوبهم من الصدق والوفاء والسمع والطاعة.[2]

وقال عليه الصلاة والسلام: لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما

==

1: الكفاية في معرفة أصول علم الرو اية- ص 186-187

2: تفسير القرآن العظيم- 243/4

أدرك مد أحدهم ولا نصيفهُ.[1] **وقال عليه السلام:** خير الناس قرني، ثم الذي يلونهم، ثم الذين يلونهم.[2]

لما سبق فإن أصحاب محمد هم الأولى بمعرفة فضلهم واتباع آثارهم والاقتياد بهم؛ فهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه، فكانوا على الهدى المستقيم. وبناء عليه يمكن القول وبثقة تامة أنه لو كانت هناك جماعة واحدة ناجية؛ فهي الجماعة التي تكون عقيدتها ومنهجها على نفس عقيدة هؤلاء الصحابة ومنهجهم. ولا شك كذلك في أن الفرقة التي تلتزم بالمنهج النبوي بكل دقة وأمانة في فهم حقائق القرآن وسوره وآياته والتعامل معه بتطبيق أحكامه ومعرفة مفاهيمه وحقائقه الربانية، هي الفرقة صاحبة المنهج الصحيح. الفرقة التي تتعامل مع القرآن والسنة الصحيحة بنفس تعامل الصحابة معهما علما وتطبيقا.. لا شك أن هذه هي الفرقة الأجدر بالتسمية والانتساب إلى هؤلاء السلف وهي الأحق بالتفرد بالنجاة دون سواها.

وهي -كما قلنا- فرقة واحدة وما عداها من الفرق في ضلال، ولأن الحق واحد فأهل الحق هم جماعة واحدة، والخارج عن مباديء تلك الجماعة فهو ضال بلا شك يلتحق بالفرق الضالة..

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى ونص على كل ما يعصم الأمة الإسلامية من المهالك والضياع والتفرق والضلال؛ نصا قاطعا للعذر، **قال تعالى:** وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون.**(التوبة 115)** **وقال:** اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا.**(المائدة 3)** **وقال:** إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم.**(الإسراء 9)** **وقال:** ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا. وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما. ولهديناهم صراطا مستقيما.**(النساء 66-68)** **وقال:** قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام.**(المائدة 15-16)** **وقال صلى الله عليه وسلم:** تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك.[3]

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالإجتماع وحذرهم من التفرق والنزاع، **فقال تعالى:** وأن هذا صراطي مستقيم فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون.**(الأنعام 153)**

وقال تعالى: أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه.**(الشورى 13)** **وقال:** ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات.**(آل عمران 105)** **وقال:** إن الذين فرقوا دينهم وانوا شيعا لست منهم في شيء.**(الأنعام 159)**

==

1: صحيح البخاري عن أبي هريرة- رقم 3673 وصحيح مسلم- رقم 2540

2: صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود- رقم 2652- وصحيح مسلم- رقم 2533

3: خرجه الالباني في السلسة الصحيحة- رقم 937

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تُناصِحوا من ولاهُ الله أمركم. ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال.[1]

وقد كان منهج الصحابة أو الفرقة الناجية من النار عند الاختلاف والنزاع بشأن مسألة ما، أنهم كانوا يلجأون إلى كتاب الله؛ طاعة لأمره بذلك عندما؛ **قال تعالى:** وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله.**(الشورى 10) ويلجأون إلى سنة الرسول الصحيحة الثابتة عنه لقوله تعالى:** فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا.**(النساء 59)** ولو لم يكن في كتاب الله وسنة رسوله بيان ما تنازعوا فيه لم يأمر الله بالرد إليه، إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع، وقد أجمع الناس على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته. وقد جعل الله هذا الرد إلى كتابه وإلى سنة رسوله عند التنازع من موجبات الإيمان بالله ولوازمه، فإذا انتفى انتفى الإيمان ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه؛ ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين فإنه من الطرفين، فكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر.[2] هكذا جعل الصحابة كلام الله ورسوله هو الإمام والفرقان الذي يجب إتباعه، فيثبتون ما أثبته الله ورسوله، وينفون ما نفاه الله ورسوله؛ وهم مع الحق متى تبينوه، والباطل عندهم هو ما خالف كلام الله ورسوله.

إذا كانت الجماعة الناجية هي جماعة العقيدة والمنهج
فأهل السنة هم الجماعة الناجية

إذا حكمنا بأحق الفرق الإسلامية بلقب الجماعة أو الفرقة الناجية، باعتبار عقيدتها ومنهجها وعملها؛ فعلى ذلك يمكن القول وبمنتهى الثقة والطمأنينة أن أهل السنة هم تابعي الصحابة أوائل المدرسة المحمدية، ثم تابعي التابعين لهم ثم تابعي التابعين؛ ثم المحدثون الذين جعلوا همهم التحقق من صحة الأحاديث النبوية، والفقهاء والعلماء الذين كان كل شغلهم هو تنقية الإسلام من شوائب البدع وتحريف المنحرفين؛ هؤلاء هم

==

1: خرجه الألباني في صحيح الجامع عن أبي هريرة- ص 1895

2: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية- 6/1

الفرقة الأقرب إلى الحقيقة الإسلامية الأصلية التي لم تختلط بآثار الزيغ والضلال. وهؤلاء هم الذين وقفوا معا في وجه سائر الفرق الأخرى يهاجمونهم ويتهمونهم بالإبتداع والحيد والإنحراف وينصحوهم بالإقتصار على الإتباع، ويحذرونهم من الابتداع.

ثم إن كل اعتقاد اعتقده أصحاب هذه الفرقة، نقصد أهل السنة والجماعة فإنهم ينسبونه إلى الله ونبيه عليه السلام، ينتسبون إلى علمه تعالى وبه يستدلون وعليه يستندون، وإليه يرجعون وبقوله يقتدون، أما باقي الفرق فهي في كل اعتقاد لهم ينسبونه إلى صاحب مقالته. **يقول ابن تيمية:** وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباع لها: تصديقا وعملا وحبا وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها، الذين يروون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة؛ فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه.[1]

لذا ستجد أن أهل الباطل والزيغ في حربهم ضد الإسلام وأهله، إنما يتوجهون في هجومهم مباشرة إلى أصلي الإسلام المنزلين من عند الله عز وجل. أي القرآن والسنة وذلك لتحريفهما بالمعنى بعد أن عجزوا عن تحريف الوحي بالنص وباللفظ. ثم إن ثاني سلاح بين أيدي أهل الفتن هو محاولة تشويه النص بالتغيير والتحريف وزيادة الوحي؛ ويدل عليه الأرتال الهائلة من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة على رسول الله، أو دس تفسيرات للقرآن بتأويلات رمزية وباطنية واسرائيليات وألغاز وتحريفات لمعاني الآيات القرآنية.

أما سلاحهم الثالث بعد ذلك فهو التشكيك في الصحابة وتشويههم والإنتقاص منهم، فالصحابة هم نقلوا النصوص من قرآن وسنة إلى من بعدهم، فإن لم يكونوا أهل ثقة فكيف يثق فيما نقلوه؟ أما سلاحهم الرابع فهو إشعال الفتن والمشكلات العقائدية؛ بإثارة مسائل وقضايا دون الوصول إلى حلول حاسمة لها؛ بقصد غرس حالة من البلبلة والشك في نفوس المسلمين وإظهار عقيدتهم أمام أبنائها وغيرهم بمظهر العقيدة الباطلة المليئة بالخلافات والنزعات والمشاكل التي ليس لها من حلول، وكل هذا من شأنه أن يمنع المد الإسلامي من الإنتشار بين الناس.

ومن المسائل التي أثارها أهل الزيغ في حقيقة الإيمان هو تناول النصوص المتضمنة عقيدة المسلمين، وخاصة

==

1: مجموع الفتاوى- 347/3

مسائل ذات الله وأسمائه وصفات نفسه، ومسائل القضاء والقدر والجبر والإختيار، وستجد عند تناولهم لكل تلك المسائل وأمثالها فإنهم لا يزيدون الناس إلا ضلالة وحيرة، فإذا تدخلوا مثلا في آيات صفات الله وحاولوا معرفة الصفات على حقيقتها؛ فإن تدخلهم هذا سيؤدي بالضرورة إلى سبيلين للزيغ والكفر والضلال، حيث ينتهون إما إلى تعطيل الصفات وإنكارها ونفيها، فيعبد الناس ربا لا يعلمون مكانه ويصفونه بصفات مبهمة لا يفهمون منه شيئا، ربا خيالي معدوم الصفات، وإما إلى التشبيه والتجسيم فيعبد الناس ربا جسدا تجري عليه صفات المخلوقين أمثالهم. وعندما تدخلوا في قضية القضاء والقدر والجبر والإختيار، فإنهم ولابد سينتهون كما انتهى الذين من قبلهم، إما إلى القول بالجبرية المحضة، وإما إلى إنكار القدر..

وأهل السنة يستمدون عقيدتهم ويتوصلون إلى الحقائق الشرعية من نصوص القرآن والسنة النبوية الصحيحة الثابتة، ومما أجمع على فهمه والعمل به صحابة الرسول عليه السلام والتابعين لهم بإحسان. يستخلصون تلك الحقائق التي تتفق وتتسق وتتساند مع كل آية في القرآن وكل نص نبوي صحيح وثابت، حيث لا تتعارض مع أية واحدة أو نص منها، وإلا بطلت تلك الحقيقة ورفضت رفضا قاطعا وتاما. حيث يعتقد أهل السنة أن آيات القرآن والنصوص النبوية الصحيحة الثابتة عن النبي عليه السلام قد أطلق الله تعالى عليهما اسم الذكر المنزل من عنده وحيا إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو الذكر الذي تعهد الله بحفظ وصيانته من التبديل والتحريف؛ **فقال تعالى:** أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون.**(الحجر9)** ومن ثم فكل ما جاء فيهما فهو الحق الكامل، وكل ما أرشدا إليه فهو الخير التام، والقول بغير ذلك تكذيب بالقرآن وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم. وكما قلنا فهم يعتقدون أن القرآن والنص النبوي الصحيح كله يوافق بعضه بعضا، ولا يخالف بعضه بعضا، ويقع كله متسقا مع الحقائق التي يثبتها. وكل ما في القرآن والسنة الصحيحة حق وعدل.

ولا يتصور أهل السنة أنه يقوم صراع ما بين النص والعقل، فهما متفقان تماما؛ وهذه إحدى بديهيات الإيمان بالله تعالى عندهم، لأن الله هو خالق العقل وواضع فيه قوانيه وقواعد تفكيره الراشدة، وهو الذي أنزل الوحي، والحق واحد لا يختلف ولا يتعدد. فلا يمكن أن يكون بين القرآن أو السنة الصحيحة الثابتة ولو أدنى ذرة من التعارض بينهما وبين أحكام العقل الصريح الراشد، وإذا بدى أي تعارض أو إختلاف بين نصوص الوحي والعقل؛ فإنما يكون ذلك بسبب تفسير خاطيء للنص يؤدي إلى مفهوم غير صحيح، أو خطأ في مقررات العقل وأحكامه. لذا يمكن القول أن الصراع بين النقل والعقل لا يعبر عن حقيقة تاريخية إسلامية خالصة؛ وإنما هو تعبير عن أحد وجوه الإنحرافات في الفكر الإسلامي؛ وهو في نفس الوقت علة لكثير من الإنحرافات

الفكرية التي أصابته. لذا تجد أن أهل السلف من الصحابة والتابعون والمحدثون والفقهاء؛ لم يجدوا أدنى تعارض أو اختلاف بين نصوص الوحي ومقررات العقل، وذلك بسبب منهجهم الفكري السليم الذي مكنهم الله به من استنباط المفاهيم الصحيحة من النصوص؛ فجاءت ربانية خالصة. ومن ثم طابقت مقررات العقول الصريحة الراشدة.[1]

أما الفرق الضالة الحائدة عن الحق؛ فيجعلون ما أصَّلوه من أصول دينهم الذي ابتدعوه هو الإمام والفرقان الذي يجب اتباعه، وتجعل ما يخالف ذلك من نصوص الكتاب والسنة من المجملات والمتشابهات، التي لا يجوز اتباعها، بل يتعين حملها على ما يوافق أصولهم التي ابتدعوها، أو الإعراض عن تلك النصوص وترك العمل بها. والله تعالى قد ذم الذين يحرفون كلامه عن مواضعه، وتلك الفرق يحملون كلام الله على ما أصَّلوه من البدع الباطلة؛ وقالوا هذا هو الدين؛ هذا هو شرع الله وتوحيده وعدله، وقالوا هذا هو معنى الكتاب والسنة، وأن هذا هو قول السلف وأئمة الدين، وهذا هو أصل الدين الذي يجب على جميع المسلمين اعتقاده على الأعيان أو الكفاية، وهذا هو نهج كل أهل الأهواء كالقدرية المعتزلة والجهمية والجبرية ونحوهم من أهل الكلام جملة، ومثل كثير من المنتسبين إلى الفقهاء مع شعبة من حال أهل الأهواء.[2]

ويعتقد أهل السنة بضرورة الإلتزام بأخذ ظاهر النصوص الشرعية وفقا لقواعد اللغة العربية التي خاطب بها المشرع المكلفين، **قال تعالى:** إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون.**(يوسف 2) وقال:** كتاب فصلت آياته قرءانا عربيا لقوم يعلمون.**(فصلت 3) وقال:** بلسان عربي مبين.**(الشعراء 195)** وهذا يلزم عدم تأويل النص أو اللفظ وصرفه عن ظاهره اللغوي العربي وما دل عليه إلا بشروط؛ منها: وجود نص آخر، أو إجماع، أو بضرورة الحس وبداهة العقل الذي لا يختلف عليه عاقل. ويعتقد أهل السنة أن بعض الألفاظ في اللغة العربية قد نُقلت إلى معاني أخرى مخصوصة أقرتها الشريعة، والأمثلة كثيرة لا تحصر، مثل: الصلاة هي في اللغة مجرد الدعاء ولكن في الشرع الصلاة هي حركات مخصوصة في أوقات مخصوصة؛ فكلمة الصلاة نقلت في شريعة الإسلام من معناها اللغوي إلى معنى آخر شرعي يدل عليه النص. وكذلك الإيمان والكفر والزكاة والحج إلخ.

==

1: انظر القضاء والقدر في الإسلام- فاروق أحمد الدسوقي- 2/137-138

2: انظر ابن تيمية- درء التعارض- 1/73-78

إذا كانت الجماعة الناجية هي جماعة العدد والأغلبية

فأهل السنة هم الجماعة الناجية

في عام 2023م/ 1444هـ ووفقا للسجلات العالمية شكل الإسلام ثاني أكبر دين في العالم. حيث بلغ تعداد المسلمين حوالي ألفين مليون إنسان، وهم يشكلون تقريبا ربع سكان الأرض. ومعظم هؤلاء المسلمين من فرقة أهل السنة؛ وهم يشكلون من ثمانين إلى تسعين في المائة تقريبا من إجمالي المسلمين؛ أي بتعداد من ألف وستمائة مليون إلى ألف وثمانمائة مليون نسمة تقريبا.. إذا أهل السنة هم الأغلبية العددية من المسلمين، وبالتالي هم الأحق بلقب الجماعة.[1] ولكن مع الأسف قد تمكن أهل الفتن من إيقاع أبناء العقيدة الواحدة في الإختلاف والنزاع، وتمكنوا من تفريغ عقيدتهم من محتواها فتراهم مجرد عدد كبير ولكن بلا قيمة حقيقية فتكالبت عليهم الأمم، **وتحقق فيهم قوله صلى الله عليه وسلم:** يُوشِكُ الأممُ أن تَداعَى عليكم ، كما تَداعَى الأَكَلةُ إلى قصْعتِها. **قال قائلٌ:** ومن قِلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ **قال:** بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاءُ السَّيلِ، ولينزِعَنَّ اللهُ من صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذِفَنَّ اللهُ في قلوبِكم الوهْنَ. **قال قائلٌ:** يا رسولَ اللهِ وما الوهْنُ؟ **قال:** حبُّ الدُّنيا وكراهيةُ الموتِ.[2]

***

هل يعتقد أهل السنة أن المخالف لهم هالك أوكافر؟

يعتقد أهل السنة أن ليس كل من خالفهم في شيء من معتقدهم يجب أن يكون هالكا أو كافرا، فإن المخالف قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول، والقانت، وذو الحسنات الماحية، والمغفور له وغير ذلك؛ فهذا أولى؛ بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا وقد لا يكون ناجيا، كما يقال من صمت نجا.[3]

==

1: المصدر : United Nations, World Bank, Nations Geo, Census, Wikidata

2: خرجه الألباني في صحيح الجامع عن ثوبان- رقم 8183/ صحيح أبي داود للألباني- رقم 4297

3: انظر ابن تيمية- مجموع فتاوى شيخ الإسلام- 179/3

أول ما يجب على الداخل في دين الإسلام فعله

أول ما يجب على الداخل في دين الإسلام فعله هو أن ينطق الشهادتين بأن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. بذلك يصير الكافر مسلما ولا يصير مسلما بدون ذلك.

دليل ذلك قوله تعالى: قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا.**(البقرة 136) وقوله عليه الصلاة والسلام:** أمرت أن أقاتل الناس حتي يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني نفسه وماله، إلا بحقه وحسابه على الله.[1] **وفي رواية ابن عمر:** حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام؛ وحسابهم على الله.[2]

وقال النبي عليه السلام لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن؛ قال: إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم.. الحديث.[3]

قال ابن أبي العز الحنفي: بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميز عند من يرى ذلك.[4] **وقال ابن تيمية الحنبلي:** وهذا ما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين، فإنهم مجمعون على ما عُلم بالإضطرار من دين الرسول، أن كل كافر فإنه يُدعى إلى الشهادتين، سواء كان معطلا أو مشركا أو كتابيا، وبذلك يصير الكافر مسلما، ولا يصير مسلما بدون ذلك.[5] **وقال أبو بكر بن المنذر الشافعي:** أجمع كل من نحفظ عنه: أن الكافر إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ من كل دين خالف دين الإسلام. وهو بالغ صحيح يعقل، أنه مسلم.[6]

إذا أول ما دعى النبي عليه السلام الناس إليه دعاهم إلى الإعتقاد والإقرار والنطق بالشهادتان، وبذلك أمر أصحابه.. والسلف والأئمة متفقون على أن الشهادة تتضمن الإقرار بالصانع تعالى وبرسوله.. **ولهذا قال الشافعي وأحمد وغيرهما:** يجب على كافل الصبي أن يأمره بالطهارة والصلاة لسبع. ولم يوجب أحد منهم على

==

1: صحيح البخاري عن أبي هريرة- رقم 2946

2: صحيح البخاري- رقم 25

3: صحيح مسلم عن عبد الله بن عباس- رقم 19- وصحيح البخاري- رقم 7323

4: شرح العقيدة الطحاوية- ص 26

5: درء تعارض النقل والعقل- 7/8

وليّه أن يخاطبه حينئذ بتجديد شهادتين، ولا نظر ولا استدلال، ونحو ذلك. ولا يؤمر بذلك بعد البلوغ، وإن كان الإقرار بالشهادتين واجبا باتفاق المسلمين، ووجوب ذلك، يسبق وجوب الصلاة. لكن هو قد أدى هذا الواجب قبل ذلك: إما بلفظه وإما بمعناه، فإن نفس الإسلام والدخول فيه التزام ذلك.. وأول الواجبات الشرعية يختلف باختلاف أحوال الناس؛ فقد يجب على هذا ابتداء ما لا يجب على هذا ابتداء، فيخاطب الكافر عند بلوغه بالشهادتين، وذلك أول الواجبات الشرعية التي يؤمر بها، وأما المسلم فيخاطب بالطهارة إذا لم يكن متطهرا، وبالصلاة وغير ذلك من الواجبات الشرعية التي لم يفعلها. وفي الجملة ينبغي أن يعلم أن ترتيب الواجبات في الشرع واحدا بعد واحد؛ ليس هو أمرا يستوي فيه جميع الناس، بل هم متنوعون في ذلك؛ فكما أنه قد يجب على هذا ما لا يجب على هذا، فكذلك يؤمر هذا ابتداء بما لا يؤمر به هذا.[1]

***

هل معرفة الله تحدث بالعقل أم بالشرع؟

معرفة الله منها ما يحدث بالعقل، ومنها ما لا يعرف إلا بالشرع. فالإقرار الفطري كالإقرار الذي أخبر الله به عن الكفار؛ قد يحصل بالعقل؛ **قال تعالى:** ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله.**(لقمان 25)**
وأما ما في القلوب من الإيمان المشار إليه في **قوله تعالى:** وما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا.**(الشورى 52)** فلا يحصل إلا بالوحي، **كما في قوله:** قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إليّ ربي.**(سبأ 50)**
وقد حض الله تعالى العباد على النظر في العالم وأن يتأملوا في خلق السماوات بما فيها من شمس وقمر ونجوم مسخرات، وأن ينظروا في الأرض بما فيها من اختلاف الليل والنهار، وما فيها من بحار وأنهر وجبال ومعادن، والمطر الذي ينزل من السماء فتكون به حياة البلاد والعباد. والريح والسحاب المسخر بين السماء والأرض، والنظر إلى ما بث تعالى في الأرض من الدواب مختلفة الصور والأجساد والألوان والألسن. **قال تعالى:** إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون.**(البقرة 164) يقول البيهقي:** وهذا لأنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك، واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد،

==

1: درء- 8/ 6-17

فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض مبسوطة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهيأة للمطاعم والملابس والمآرب وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب، مستعملة في المرافق، والإنسان كالملك في البيت المخول ما فيه، وفي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام، وأنه له صانعا حكيما تام القدرة بالغ الحكمة.. كما حث الله عباده أن ينظروا في أنفسهم ويتفكرون فيها؛ **قال تعالى:** وفي أنفسكم أفلا تبصرون.**(الذاريات 21)** يعني لما فيها من الإشارة إلى آثار الصنعة الموجودة في الإنسان من يدين يبطش بهما ورجلين يمشي عليهما وعين يبصر بها وأذن يسمع بها ولسان يتكلم به، وأضراس تحدث له عند غناه عن الرضاع، وحاجته إلى الغذاء يطحن به الطعام، ومعدة أعدت لطبخ الغذاء، وكبد يسلك إليها صفوه وعروقه ومعابر تنفذ فيها إلى الأطراف، وأمعاء يرسب إليها ثفل الغذاء، ويبرز عن أسفل البدن؛ فيستدل بها على أن لها صانعا حكيما علما قديرا. **قال أبو عمر البغدادي الشهير بابن السماك لرجل:** تبارك من خلقك فجعلك تبصر بشحم، وتسمع بعظم، وتتكلم بلحم.. وقد بين الله في كتابه تحوّل أنفسنا من حال إلى حالة وتغيرها، ليستدل بذلك على خالقها ومحولها فقال: ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا.**(نوح 13-14) وقال:** ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين. ثم إنكم بعد ذلك لميتون.**(المؤمنون 12-14)** فالإنسان إذا فكر في نفسه رآها مدبَّرة وعلى أحوال شتى مصرفة كان نطفة ثم علقة ثم مضغا ثم لحما وعظاما؛ فيعلم أنه لم ينقل نفسه من حال النقص إلى حال الكمال، لأنه لا يقدر أن يحدث لنفسه في الحال الأفضل التي هي حال كمال عقله وبلوغ أشده عضوا من الأعضاء ولا يمكنه أن يزيد في جوارحه جارحة، فيدله ذلك على أنه في حال نقصه وأوان ضعفه عن فعل ذلك أعجز، وقد يرى نفسه شابا ثم كهلا ثم شيخا وهو لم ينقل نفسه من حال الشباب والقوة إلى الشيخوخة والهرم، ولا اختاره لنفسه، ولا في وسعه أن يزايل حال المشيب ويراجع قوة الشباب، فيعلم بذلك أنه ليس هو الذي فعل هذه الأفعال بنفسه، وأن له صانعا صنعه وناقلا نقله من حال إلى حال، ولولا ذلك لم تتبدل أحواله بلا ناقل ولا مدبر، ثم يعلم أنه لا يتأتى الفعل المحكم المتقن، ولا يوجد الأمر والنهي ممن لا حياة له ولا علم ولا قدرة ولا إرادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام، فيستدل بذلك على أن صانعه حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم.[1]

===

1: الاعتقاد- ص 7-9

وقد استدل الصحابة بإعجاز القرآن على صدق النبي عليه السلام فيما ادعاه من الرسالة، فاكتفوا به وآمنوه به وبما جاء به من عند الله، فكان فيما جاء به إثبات الصناع وحدوث العالم. **روى أنس بن مالك قال:** نهينا أن نسأل رسول الله عن شئ؛ فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية؛ **فقال:** يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك. قال: صدق. قال: فمن خلق السماء؟ قال: الله. قال: فمن خلق الأرض؟ قال: الله. قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال: الله. قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال، آلله أرسلك؟ قال: **نعم**. قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا. قال: صدق. قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: **نعم**. قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا. قال: صدق. قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: **نعم**.قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا. قال: صدق. قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: **نعم**. قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا. قال: صدق. قال: ثم ولَّى. قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن. فقال النبي: لئن صدق ليدخلن الجنة.[1] هذا الرجل سمع عن النبي حيث كانت أخباره عليه السلام مستفيضة في زمانه، لذا اقتصر واكتفى على إثبات الخالق ومعرفة خلقه على سؤال النبي وجوابه عنه. أما غيره فقد طالب النبي بالمعجزات المؤيدة لصدق نبوته؛ فلما أراه إياه وأوقفه عليه، آمن به وصدقه فيما جاء به من عند الله، أو كفر به. **روى عبد الله بن عباس قال:** جاء أعرابي (وفي رواية رجلا من بني عامر) إلى رسول الله قال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد أني رسول الله؟ فجعل ينزل (العذق) من النخلة حتى سقط إلى النبي.[2] **وفي رواية:** قال له عليه السلام: ألا أريك آية؟ قال: بلى. قال: فنظر إلى نخلة، فقال: ادع ذلك العِذقَ. قال: فدعاه. فجاء ينقرُ حتى قام بين يديه. فقال له رسول الله (للعذق): ارجع. فرجع إلى مكانه. فقال العامري: يا آل بني عامر ما رأيت كاليوم رجلا أسحر.[3]

وعِذْقُ النخلة: عرجونها، عنقودها، قنوها. **وينقز:** يقفز ويثب.

==

1: صحيح مسلم- رقم 12

2: صحيح الترمذي للألباني- رقم 3628

3: خرجه الوادعي في صحيح دلائل النبوة- رقم 113

حكمة الخلق وعلة الوجود

لماذا أوجد الله هذا العالم؟ وهل أوجده لحاجة منه إليه أم عن غير حاجة؟

اتفق أهل السنة على أن الله قد أوجد العالم لغير حاجة إليه، وذلك لأنه الغني عن كل مخلوقاته، المنزه عن الغرض وجلب النفع لنفسه؛ أو دفع الضرر عن ذاته. **يقول الشهرستاني:** إن الله خلق العالم بما فيه من الجواهر والأعراض وأصناف الخلق والأنواع؛ لا لعلة حاملة له على الفعل، سواء قدرت تلك العلة نافعة له أو غير نافعة، إذ ليس يقبل النفع والضر. أو قدرت تلك العلة نافعة للخلق؛ إذ ليس يبعثه على الفعل باعث، فلا غرض له في أفعاله ولا حامل، بل علة كل شئ صُنعهُ ولا علة لصنعه.. **ودليله:** أن الباري تعالى غني عن الإطلاق؛ إذ لو كان محتاجا من وجه؛ كان من ذلك الوجه مفتقرا إلى من يزيل حاجته؛ فهو منتهى مطلب الحاجات، ومن عنده نيل الطلبات ولا يبيع نعمه بالأثمان، ولا يكدر عطاياه بالامتنان، فلو خلق شيئا ما لعلة تحمله على ذاك، أو لداعية تدعوه إليه، أو لكمال يكسبه، أو حمد وأجر يحصِّله؛ لم يكن غنيا حميدا مطلقا، ولا برا جوادا مطلقا، بل كان فقيرا محتاجا إلى كسب. والذي يقرره أن كل صلاح نقدره بالعقل بالنسبة إلى شخص عارضه صلاح فوق ذلك، أو فساد مثل ذلك بالنسبة إلى شخص آخر، فلئن كان الصلاح يقتضي وجوده بالنسبة إلى ذلك الشخص، فالفساد يقتضي عدمه بالنسبة إلى شخص آخر، فالسم في أصحاب السموم صلاح، وفي غيرهم من الحيوانات فساد، فلو كان الصلاح اقتضى وجوده فالفساد اقتضى عدمه، وكما يختلف ذلك بالأشخاص يختلف الصلاح والفساد بالجزئي والكلي، ونحن لا ننكر أن أفعال الله اشتملت على خير وتوجهت إلى صلاح، وأنه لم يخلق الخلق لأجل الفساد، ولكن الكلام إنما وقع في أن الحامل له على الفعل ما كان صلاحا يرتقبه وخيرا يتوقعه، بل لا حامل له، وفرق بين لزوم الخير والصلاح لأوضاع الأفعال، وبين حمل الخير والصلاح على وضع الأفعال، كما يفرق فرقا ضروريا بين الكمال الذي يلزم وجود الشئ، وبين الكمال الذي يستدعي وجود الشئ، فإن الأول فضيلة هي كالصفة اللازمة، الثاني فضيلة كالعلة الحاملة.[1]

لما سبق ذهب قوم من أهل السنة إلى نفي وجود علة أو سببا أو حكمة لخلق الله تعالى لتلك العوالم؛ غير أنها خُلقت لمحض مشيئة الله المطلقة بإيجادها. يقولون أراد الله أن يكوّنها فكوَّنها؛ وشاء خلقها فخلقها. **كابن حزم الأندلسي الذي رفض القول بأن الله خلق الخلق لعلة؛ أو أن هناك علة موجبة عليه أن يفعل، وإلا كان**

===

1: نهاية الإقدام في علم الكلام- الشهرستاني- ص 390-393

مضطرا مطبوعا أو مدبرا مقهورا لتلك العلة؛ وهذا خروج عن الإلهية. قال ابن حزم وبرهان ذلك: أنه لو فعل شيئا مما فعل لعلة؛ لكانت تلك العلة لم تزل معه؛ ولوجب من ذلك شيئان ممتنعان: **أحدهما:** أن معه تعالى غيره لم يزل، فكان يبطل التوحيد.. **ثانيهما:** أنه كان يجب إذ كانت علة الخلق لم تزل أن يكون الخلق لم يزل. لأن العلة لا تفارق المعلول، ولو فارقته لم تكن علة له. ولو كانت العلة محدثة لكانت ولابد إما مخلوقة له تعالى، وإما غير مخلوقة؟ فإن كانت غير مخلوقة؛ فقد أوضحنا آنفا وجوب كون كل شئ محدث مخلوقا؛ فبطل هذا القسم. وإن كانت مخلوقة وجب، ولابد أن تكون مخلوقة لعلة أخرى أو لغير علة، فإن وجب أن تكون مخلوقة لعلة أخرى وجب مثل ذلك في العلة الثانية، وهكذا أبدا؛ وهذا يوجب وجوب محدثين لا نهاية لعددهم. وهذا باطل لما ذكرناه آنفا وبأن كل ما خرج إلى الفعل فقد حصره العدد ضرورة بمساحته أو بزمانه ولابد؛ وكل ما حصره العدد فهو متناه. فيبطل هذا القسم أيضا وصح ما قلناه. **وإن قالوا:** بل خلقت العلة لا علة. **سألوا:** من أين وجب أن يخلق الأشياء لعلة ويخلق العلة لا لعلة؛ ولا سبيل إلى دليل.[1]

وذهب غالبية أهل السنة إلى وجود حكمة من وراء الخلق، وأن الله الحكيم له حكمة في كل فعل يفعله، **قالوا:** أنه تعالى أخبرنا أنه فعال لما يريد ولا راد لمشيئته؛ وأن مشيئته مطلقة، وذلك حق. وكذلك أخبرنا تعالى أنه يتنزه عن اللهو والعبث؛ **قال تعالى:** أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون.**(المؤمنون 115) وقال:** وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق.**(الأنعام 73) قالوا:** أن من صفاته تعالى الحكمة واسمه الحكيم، ومن ثم فإنه إذا أراد شيئا، فإنما يشاؤه لحكمة. **قال ابن تيمية:** فجمهورهم (يقصد أهل السنة) يثبت الحكمة في أفعال الله، وأنه يفعل لنفع عباده ومصلحتهم.. **ويقولون:** يفعل لحكمة ولا يطلقون لفظ "الغرض".[2]

ويؤكد ابن تيمية أن مذهب أهل السنة والجماعة هو القول بأن الله الحكيم له في كل خلقه حكمة؛ فقال: قال الجمهور من أهل السنة وغيرهم: بل هو حكيم في خلقه وأمره، والحكمة ليست "مطلق المشيئة"، إذ لو كان كذلك لكان كل مريد حكيما، ومعلوم أن الإرادة تنقسم إلى محمودة ومذمومة، بل الحكمة تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة.. وإنما ينازع في ذلك طائفة من نفاة القياس وغير نفاته، وكذلك ما في خلقه من المنافع والحكم والمصالح لعباده معلوم.. **وقال الجمهور:** لام التعليل داخلة في أفعال الله وأحكامه.. وأكثر أهل السنة على إثبات الحكمة والتعليل.

===

1: المحلى- 1/3-4

2: ابن تيمية- منهاج السنة- 14/3

قال ابن تيمية: والذين أنكروا ذلك من أهل السنة احتجوا بحجتين:

إحداهما: أن ذلك يستلزم التسلسل، فإنه إذا فعل لعلة، فتلك العلة أيضا حادثة، فتفتقر إلى علة، إن وجب أن يكون لكل حادث علة. وإن عقل الإحداث بلا علة، لم يحتج إلى إثبات علة فهم يقولون: إن أمكن الإحداث بغير علة، لم يحتج إلى علة، ولم يكن ذلك عبثا. وإن لم يكن وجود الإحداث إلا لعلة، فالقول في حدوث العلة كالقول في حدوث المعلول، وذلك يستلزم التسلسل.

ثانيهما: قالوا: من فعل لعلة كان مستكملا بها، لأنه لو لم يكن حصول العلة أولى من عدمها، لم تكن علة. والمستكمل بغيره ناقص بنفسه، وذلك ممتنع على الله.[1]

وجاوب مثبتوا العلة والحكمة على حجة التسلسل فقالوا: التسلسل المذكور يكون في الحوادث المستقبلة لا في الحوادث الماضية، فإن الله إذا فعل فعلا لحكمة؛ كانت الحكمة حاصلة بعد الفعل، فإذا كانت تلك الحكمة يطلب منها حكمة أخرى بعدها، كان تسلسلا في المستقبل، وتلك الحكمة الحاصلة محبوبة لله وهي سبب لحكمة ثانية؛ فهو لا يزال سبحانه يُحدث من الحكم ما يحبه ويجعله سببا لما يحبه. **قالوا:** والتسلسل في المستقبل جائز عند جماهير المسلمين وغيرهم من أهل الملل وغير أهل الملل، فإن نعيم الجنة وعذاب النار دائمان مع تجدد الحوادث فيهما. وإنما أنكر ذلك الجهم بن صفوان فزعم أن الجنة والنار يفنيان، وأبو الهذيل العلاف زعم أن حركات أهل الجنة والنار تنقطع، ويبقون في سكون دائم. وذلك أنهم لما اعتقدوا أن التسلسل في الحوادث ممتنع في الماضي والمستقبل؛ قالوا هذا القول الذي ضللهم به أئمة الإسلام.

وينكر ابن القيم على النافين المنكرين أن الله يخلق لحكمة ويفعل لعلة ويقول: ومن أعجب العجب أن تسمح نفس بإنكار الحكم والعلل الغائية والمصالح التي تضمنها هذه الشريعة الكاملة التي هي من أدل الدلائل على صدق من جاء بها، وأنه رسول لله حقا، ولو لم يأت بمعجزة سواها لكانت كافية شافية، فإن ما تضمنته من الحكم والمصالح والغايات الحميدة والعواقب السديدة شاهدة بأن الذي شرعها وأنزلها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين.. **وقال ابن القيم:** وسبحان الله، كيف يستجيز أحد أن يظن برب العالمين وأحكم الحاكمين أنه يعذب كثيرا من خلقه أشد العذاب الأبدي لغير غاية ولا حكمة ولا سبب، وإنما هو محض مشيئة مجردة عن الحكمة والسبب، فلا سبب هناك ولا حكمة ولا غاية. وهل هذا إلا من أسوأ الظن بالرب تعالى؟ وكيف

==

1: منهاج السنة- 141/1-145 بتصرف يسير

يستجيز أن يظن بربه أنه أمر ونهى وأباح وحرم وأحب وكره وشرع الشرائع وأمر بالحدود لا لحكمة ولا مصلحة يقصدها، بل ما تم إلا مشيئة محضة رجحت مثلا على مثل بغير مرجح، وأي رحمة تكون في هذه الشريعة وكيف يكون المبعوث بها رحمة مهداة للعالمين لو كان الأمر كما يقول النفاة؟ وهل يكون الأمر والنهي إلى عقوبة وكلفة وعبثا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.[1]

***

وعليه يصح السؤال: ما الحكمة من خلق هذا العالم؟

يعتقد أهل السنة أن الله تعالى قد صرح بذكر حكمته أو غايته من خلقه للعالم بصراحة في كتابه، وبين أنها حكمة وحيدة، ألا وهي أن يكونوا عبيدا له، وذلك **بقوله تعالى:** وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون.**(الذاريات 56) ولكن إذا سألت:** ولماذا أراد أو شاء الله أن يخلق عبيدا وهو في غير حاجة إليهم؟ أرجعوا ذلك إلى حكمة غائبة لا يعلمها إلا الله، أو قالوا: محض مشيئة.

إذا خلق الله العالم وما فيه ليكونوا له عبيدا؛ وأن هذه هي مشيئة الله في النهاية. وتصور حال العالم بلا أنس ولا جن، تجد الملائكة المخلوقات المنزهة عن الشهوات والنزوات، والتي تعيش وفقا لأوامر الله، فلا يفعلون إلا ما يؤمرون، ذلك الخلق العظيم الذي يعيش وفقا لما شاء الله وأراد، وينفذون أوامره وهم نماذج مثالية لعباد الله المكرمون. أما غير الملائكة فهو عالم تسير مخلوقاته وفقا لأوامر ونظم إلهية محكمة. **قال تعالى:** تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شئ إلا ويسبح بحمده.**(الإسراء 44) وقال تعالى:** وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون.**(آل عمران 82) وقال تعالى:** إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا. لقد أحصاهم وعدهم عدا.**(مريم 93-94)**

وفي الأرض خلق الله الثقلان (الأنس والجان) وجعل أمرهم مختلف عن بقية مخلوقاته العابدة والطائعة؛ وذلك لفترة مؤقتة؛ فترة الحياة الدنيا فقط، واستثناءً من تلك القاعدة، شاء الله أن يعطي المشيئة الحرة لتلك المخلوقات (أي الثقلان)، ليرى أيدخلون طوعا في ضمن تلك المنظومة، أم سيتمردون ويعصون ويكفرون؟ وبسبب تلك المشيئة الحرة؛ ظهرت معاني جديدة في المنظومة الكونية؛ **معاني مثل:** الشر والكفر والظلم وكافة الأفعال القبيحة كلها. وعندما تنتهي تلك الفترة الزمنية المؤقتة، سيبدأ عالم الحياة الآخرة

==

1: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر- ص 397-398

وهناك سيكون مستقر تلك المخلوقات ذوات الإرادة الحرة إما في جنة أو في نار، وذلك وفقا لما فعلوا بإرادتهم الحرة في فترة الحياة الدنيا الممنوحة لهم ابتلاء من الله؛ ليمتحن حقيقة إيمانهم.

وفي الحياة الدنيا -الاستثناء باعتبارها زمن الإمتحان والبلاء والابتلاء- تجد مخلوقات لله غير مكلفة ولا مخاطبة أساسا بشريعة؛ ولكنه تعالى يوجدها في الحياة ليبتليهم ببعضهم البعض أو ليبتلي بهم غيرهم، مثل المجانين والأطفال غير المميزين، وكافة حيوان الأرض ومخلوقاتها عدا الثقلان. وكل مخلوقات الله تدين له تعالى بالعبادة والربوبية والإلهية.

ومن قوله تعالى: وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون.**(الذاريات 56)** فهمنا الغاية أو العلة التي خلقهم الله من أجلها، وهي أن ينضموا إلى بقية منظومته الكونية العابدة.

أما المعتزلة فيعتقدون أن خير الله هو الذي قد حمله على خلق العباد لعلة، وتلك العلة هي نفعهم وصلاحهم.[1] فتقول المعتزلة أنه تعالى خلق الخلق لا لشئ إلا لينفعهم، وأنه يجب على الله تعالى أن يخلق الخلق، لأن خلقهم فيه نفع لهم وصلاح.[2] **يقول أبو الهذيل العلاف:** خلق الخلق لعلة، والعلة هي الخلق، والخلق هو الإرادة والقول، وإنما خلق الخلق لمنفعتهم، ولولا ذلك كان لا وجه لخلقهم، لأن من خلق ما لا ينتفع به ولا يزيل بخلقه عنه ضررا، ولا ينتفع به غيره، ولا يضر به غيره؛ فهو عابث. **وقال النظّام:** خلق الله الخلق لعلة تكون، وهي المنفعة، والعلة هي الغرض في خلقه لهم وما أراد من منفعتهم، ولم يثبت علة معه لها كان مخلوقا. كما قال أبو الهذيل، بل قال: هي علة تكون وهي الغرض. **وقال معمر:** خلق الله الخلق لعلة، والعلة لعلة، وليس للعلل غاية ولا كل. **وقال عبّاد:** خلق الله الخلق لا لعلة.[3]

ورد عليهم: أن الواحد من الناس إنما ينفع غيره لما له في ذلك من المصلحة في الدين أو الدنيا أو النفس. فالنفوس المحسنة الكريمة إنما تلتذ وتبتهج بالإحسان إلى غيرها، وهذا مصلحة ومنفعة لها. وإما تدفع ألم الرقة عن نفوسهم، فإن الواحد إذا رأى جائعا بردان؛ تألم له فيعطيه؛ فيزول الألم عن نفسه. وزوال الألم منفعة له ومصلحة، دع ما سوى هذا من رجاء المدح والثناء والمكافأة، أو الأجر من الله، فتلك مطالب منفصلة، ولكن هذان أمران موجودان في نفس الفاعل، فمن نفع غيره، وكان وجود النفع وعدمه بالنسبة إليه سواء من كل وجه، كان هذا من أسفه السفهاء لو وجد، فكيف إذا كان ممتنعا؟ فإنه يمتنع أن يفعل

===

1: زهدي جار الله- ص103

2: مقالات- 1/251-253

3: مقالات- 1/319

المختار شيئا حتى يترجح عنده، فيكون أن يفعله أحب إليه من أن لا يفعله، وترجيح الأحب لذة ومنفعة.. وفي الجملة من نفى قيام أمور اختيارية بذات الرب تعالى لابد أن يقول أقوال متناقضة فاسدة.. ولما كانت الجهمية المجبرة والقدرية المعتزلة قد اشتركا في أنه لا يقوم بذات الله شئ من الأمور الاختيارية، تنازعوا بعد ذلك في تعليل أفعاله وأحكامه، فكان كل واحد من القولين يستلزم ما يبين فساده وتناقضه. **فمشيئة التعليل تقول:** من فعل لغير حكمة كان سفيها. وهذا إنما يُعلم فيمن فعل لغير حكمة تعود إليه، وهم يزعمون أن الله فعل لا لحكمة تعود إليه، فإن كان من فعل لا لحكمة سفيها لزمه إثبات السفه، وإن لم يكن سفيها تناقضوا، فإن ما أثبتوه من فعله لحكمة لا تعود إليه لا يُعقل، فضلا عن أن يكون حكيما.. والمقصود هنا أن كلامهم أنه يفعل لحكمة، يستلزم أن يكون وجود الحكمة أرجح عنده من عدمها، أو أنها تقوم به، وغير ذلك من اللوازم التي لا يعقل من يفعل لحكمة إلا من يتصف بها. وإلا فإذا قدر أن نسبة جميع الحوادث إليه سواء، وامتنع أن يكون بعضها أرجح عنده من بعض، امتنع أن يفعل بعضها لأجل بعض.. ثم الجهمية المجبرة لما رأت فساد قول هؤلاء القدرية، وقد شاركوهم في ذلك الأصل؛ **قالوا:** يمتنع أن يفعل شيئا لأجل شئ أصلا، ويمتنع أن يكون بعض الأشياء أحب إليه من بعض، ويمتنع أن يحب شيئا من مخلوقاته دون بعض، أو يريد منها شيئا دون شئ، بل كل ما حدث فهو مراد له محبوب مرضي، سواء كان كفرا أو إيمانا، أو حسنات أو سيئات، أو نبيا أو شيطانا. وكل ما لم يحدث فهو ليس محبوبا له ولا مرضيا ولا مرادا، كما أنه لم يشأه، فعندهم ما شاء الله كان وأحبه ورضيه وأراده، وما لم يشأه لم يكن ولا يحبه ولا يرضاه ولا يريده. **وأولئك القدرية يقولون:** كل ما أمر به فهو يشاؤه ويريده، كما أنه يحبه ويرضاه، وما لم يأمر به ولا يشاؤه ولا يريده كما لا يحبه ولا يرضاه، بل يكون في ملكه ما لا يشاء، ويشاء ما لا يكون. **وإذا تليت على الجهمية المجبرة قوله تعالى:** والله لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر. **قالوا:** معناه لا يحبه ولا يريده ولا يشاؤه ممن لم يوجد منه، أو لا يحبه ولا يشاؤه ولا يريده دينا، بمعنى أنه لا يشاء أن يثيب صاحبه. وأما ما وقع من الكفر والفسوق والعصيان فعندهم أنه يحبه ويرضاه كما يشاؤه، لكن لا يحب أن يثيب صاحبه، كما لا يشاء أن يثيبه، وعندهم يشاء تنعيم أقوام وتعذيب آخرين لا بسبب ولا لحكمة، وليس في بعض المخلوقات قوى ولا طبائع كان بها الحادث، ولا فيها حكمة لأجلها كان الحادث، ولا أمر بشئ لمعنى، ولا نهى عنه لمعنى، ولا اصطفى أحدا من الملائكة والنبيين لمعنى فيه، ولا أباح الطيبات وحرم الخبائث لمعنى أوجب كون هذا طيبا وهذا خبيثا، ولا أمر بقطع يد السارق لحفظ أموال الناس، ولا أمر بعقوبة قطاع الطريق المعتدين لدفع ظلم العباد بعضهم عن بعض، ولا أنزل المطر لشرب الحيوان ولإنبات النبات، وهكذا يقولون في سائر ما خلقه، لكن يقولون: إنه

إذا وجد مع شئ منفعة أو مضرة، فإنه خلق هذا مع هذا لا لأجله ولا به. وكذلك وجده المأمور مقارنا لهذا لا به ولا أجله. والاقتران أجرى به العادة من غير حكمة ولا سبب، ولهذا لم تكن الأعمال عندهم إلا مجرد علامات محضة وأمارات، لأجل ما جرت به العادة من الاقتران، لا لحكمة ولا لسبب، وفي كل القولين من التناقض ما لا يكاد يحصى.[1]

***

حكمة خلق الدنيا هي الإبتلاء

إذا كانت عبادة الله هي العلة الكبرى التي من أجلها خلق الله أي شيء خلقه. فإن الإبتلاء هو علة خلق الإنسان في الحياة الدنيا.. الإبتلاء أو الإختبار والإمتحان، فقد خلق الله الثقلان في الأرض ليبتليهم في إيمانهم.

قال تعالى: وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء **ليبلوكم** أيكم أحسن عملا.**(هود 7)** والأرض هي قاعة الإمتحان، ووفقا لنتيجة هذا الإمتحان؛ سيستقر وجود البشر والجن أخيرا إما في جنة أو في نار، ولا مكان آخر لهما في الحياة الآخرة سوى هذين المكانين "الجنة أو النار" ، في حياة أبدية لا موت فيها ولا نهاية لها.

والإبتلاء بصورة عامة هو دخول الإنسان بإرادته الحرة موقف يخير فيه بين أن يكون من أهل الدنيا، أم يكون من أهل الآخرة.. بين أن يدخل بإختياره الحر في عبوديته لله فيأتمر بأمره وينتهي عما نهى عنه فيحقق عبوديته لله، وإما أن يحيا كما يهوى ويريد غير عابئ بشرع ولا دين.. وليس أمام الإنسان إلا هذين الطريقين يختار أحدهما، إما يطلب الدنيا وإما أن يطلب الآخرة، والله تعالى لا يمنعهم أبدا، فمن طلب الدنيا أعطاه إياها، ومن طلب الآخرة أعطاه إياها، **يقول تعالى:** من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن، فأولئك كان سعيهم مشكورا. كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا.**(الإسراء 18-20)**

إذا أنت كإنسان مبتلى بالحياة.. وجودك في الدنيا هو ابتلاء من الله كُتب عليك؛ لا اختيار لك فيه. وأنت في امتحان؛ والدنيا قاعة الامتحانات؛ وعمرك هو مدة هذا الإمتحان، ومادة الإمتحان هي الإيمان بالله. والإيمان بالله اعتقاد وقول وعمل، وكلما اجتهدت في فهم الاعتقاد وتحصيل العمل، زادت درجاتك وارتقى مقامك

==

1: منهاج- 3/193-197

وعلت مكانتك وتضاعفت مكافأتك في الحياة الآخرة، وانضممت إلى صفوة المخلوقات المنعمة في الفردوس الأعلى؛ الذي هو أعظم مكان في جنة الخلد. وإذا فشلت في الإمتحان انضممت إلى شرار المخلوقات وأرذلها المعذبة في غيابات الجحيم.

أما المراقبون عليك في هذا الإمتحان فهم كثر: منهم ملائكة تراقب وتحصي وتكتب كل ما تفعله ولا يخفى عليها من أمرك شيئا، ولا تدع صغيرة ولا كبيرة من أفعالك إلا وسجلوها في كتاب أعمالك.

ومن المراقبين عليك كل مخلوق من حولك شهد فعلك، ومنهم نفسك ذاتها بكل أعضاءك؛ يأمرها الله يوم القيامة والحساب أن تنطق بما فعلت فتنطق، وأهم مراقب لأعمالك ما ظهر منها وما بطن هو الله الذي لا تخفى عليه خافية. **يقول تعالى:** وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.**(يونس 61)** هذا الإمتحان هو هدف وجودك في هذا العالم؛ ولا شئ أهم منه ولا أعظم.. انتبه فهذا الإمتحان الإجباري الذي لا يمكنك إلا المرور به؛ سيتحدد وفق نتيجته مصيرك الأبدي، وانتبه جيدا للفظ "الأبدي" إما حياة أبدية في نعيم لا ابتلاء فيه بمعنى، وإما حياة أبدية في عذاب مقيم لا رحمة فيه بمعنى، ولا مصير ثالث هناك.

****

يعتقد أهل السنة أن الله قد خلق الحياة الدنيا ليمتحن فيها إيمان الإنسان. واستدلوا على ذلك بالعديد من النصوص، من ذلك: **قال تعالى:** وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء **ليبلوكم** أيكم أحسن عملا.**(هود 7) ليبلوكم:** ليختبركم أو ليمتحنكم.

وقال تعالى: إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج **نبتليه**، فجعلناه سميعا بصيرا.**(الإنسان 2)** وأخبرنا تعالى أنه خلق الحياة والموت ليختبر إيمان الإنسان **فقال:** الذي خلق الموت والحياة **ليبلوكم** أيكم أحسن عملا.**(الإنسان 1)** وأخبرنا تعالى أنه خلق متاع الدنيا وكل ما فيها من زينة ليمتحن الإنسان؛ **فقال:** إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها **لنبلوهم** أيهم أحسن عملا.**(الكهف 7)** وأخبرنا تعالى أنه يمتحننا بالخير والشر. **فقال: ونبلوكم** بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون.**(الأنبياء 35) والفتنة:** هي الإبتلاء الشديد. والنعمة من الله والنقمة ابتلاء. وقد فرق الله بين الناس في قوتهم وصحتهم وأرزاقهم وآجالهم ليمتحنهم فيما آتاهم: **يقول تعالى:** وهو

الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات **ليبلوكم** فيما آتاكم، إن ربك سريع الحساب وإنه لغفور رحيم.**(الأنعام 165)**

كذلك قدر تعالى أن يبتلي الإنسان بغيره من الناس، وأن يبتلي الناس بالناسِ؛ **قال تعالى:** ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن **ليبلوكم** فيما آتاكم.**(المائدة 48)** ابتلى الناس بالأنبياء، وابتلى الناس بالأمم، وابتلى الحاكم بالمحكوم والمحكوم بالحاكم، وابتلى المرأة بالرجل والرجل بالمرأة والآباء بالأبناء وابتلى القوي بالضعيف والضعيف بالقوي؛ والغني بالفقير والفقير بالغني وهكذا **قال تعالى:** وجعلنا بعضكم لبعض **فتنة** أتصبرون وكان ربك بصيرا.**(الفرقان 20) وقال:** ولكن **ليبلو بعضكم** ببعض.**(محمد 4) وقال تعالى:** واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم.**(الأنفال 28)**

والإمتحان يدور حول من يؤمن بالله وباليوم الآخر غيبا ومن يكفر. **يقول الله تعالى:** ولقد صدق عليهم إبليس ظنه، فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين، وما كان له عليهم من سلطان **إلا لنعلم** من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك، وربك على كل شئ حفيظ.**(سبأ 20-21)**

وتحقيقا لحقيقة الإمتحان حجب الله ذاته وعالمه الغيبي عن حواس الإنسان وأجهزة إدراكه. وإلا كيف يُعقل أن يعاين الإنسان ما يفترض عليه أن يؤمن به غيبا، مثل الإيمان بوجود الله وما أخبر عنه من مخلوقات وعوالم أخرى مثل السماوات السبع والملائكة والجن والجنة والنار وعالم البرزخ وعالم ما قبل خلق الإنسان وعالم ما بعد الحياة الدنيا. ولو حدث واطلع الإنسان على كل هذا فلا معنى لهذا الإمتحان ولا ضرورة له ولا فائدة، ولكن بمجرد وقوع أجل الإنسان وانقطاع زمن حياته الدنيوي سينكشف عنه هذا الحجاب، فيعاين كل ما آمن أو كفر به غيبا من قبل خلال فترة الإمتحان، **يقول تعالى:** لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد.**(ق 22)**

ومن أجل تمكين الإنسان من اجتياز هذا الإمتحان؛ أعطى الله تعالى الإنسان الأدوات اللازمة لهذا؛ أعطاه العقل والإرادة الحرة والقوة ليختار ويفعل ما يريد، وأرسل إليه رسل من عنده يبلغونه بما يريد الله منه ويعلموه ما لم يعلم، فبالخبر علمنا ما لا يمكن أن تهتدي إليه عقولنا وحدها أبدا، وبالخبر يهدي الله الانسان إلى ما فيه خير دنياه وآخرته، ويعظه وينذره ويبشره ويهدده ويمنيه، ويخبره بحقائق ما غاب عنه.. خبر ما كان وما يكون، وبيّن له وهداه وأرشده وأقام عليه الحجة البالغة، ولم يظلمه مثقال ذرة، ويوم الحساب يحاسبه الله على كل ما عمل: ومن يعمل مثقال ذرة خير يره ومن يعمل مثقال ذرة شر يره. ثم إن الله يغري الإنسان بما في الدنيا من متع، ثم يخبره أن كل ما يشتهيه هذا لا يساوي عند الله جناح بعوضة، وأنه يخبيء له ما هو أعظم

وأبقى، ويخبره إن هو اختار الزائل على الباقي بإرادته الحرة ورفض الآجل؛ فإنه سيعاقب في الآخرة بجحيم دائم، وهو حر ليختار، **يقول تعالى:** من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد. ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن. فأولئك كان سعيهم مشكورا. كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا.**(الإسراء- 18-20)**

وبالطبع الله يعلم من قبل إطلاق الإمتحان من الفائز ومن الخاسر في هذا الإمتحان؛ **يقول تعالى:** والله أعلم بإيمانكم.**(النساء 25) وقال:** إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى.**(النجم 30)**

ولا اختيار لك في دخول الإمتحان والمرور بتلك التجربة الحية، ليستحق كل إنسان جزاء أعماله، وليُظهر الله عدالته المطلقة أمام مخلوقاته ويشهدهم عليها.. فلا يفوز في الآخرة إلا من عانى الإمتحان والتجربة وجاهد وصبر وشكر؛ تحقيقا لتمييز المؤمن حقا ممن يدعي الإيمان بمجرد القول؛ **قال تعالى:** ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب.**(آل عمران 179) وقال:** ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين، ونبلو أخباركم.**(محمد 31) وقال تعالى:** أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين.**(العنكبوت 2-3)**

****

أول ما خلق الله

يعتقد أهل السنة أن الوجود كله هو الله تعالى الخالق والعالم المخلوق؛ وما عدا هذا الوجود فهو لا شيء أو عدم. ويعتقدون أنه قبل وجود هذا العالم المخلوق (السماوات والأرض وما فيهن) لم يكن سوى الله الخالق وحده لا شيء قبله ولا شيء معه ولا شيء غيره. **قال تعالى:** وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا.**(هود 7) وقال عليه السلام:** كان الله ولم يكن شئ معه وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شئ.[1] إذا كان الوجود كله هو الله تعالى وحده، ثم خلق تعالى العرش والماء الذي عليه العرش؛ لا شئ سوى ما ذكرنا.

==

1: صحيح البخاري عن عمران بن حصين- رقم 7418

أول ما خلق الله القلم:

أول ما خلق الله تعالى من مخلوقاته لمخلوقاته هو القلم ،**أوكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** إن أول ما خلق الله القلم؛ فقال له: اكتب. قال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة.[1] **وفي روا ية: قال رسول الله:** أول ما خلق الله القلم. فقال: اكتب. قال: وما أكتب يا رب؟ قال: اكتب القدر. قال عليه السلام: فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وبما هو كائن إلى الأبد.[2]

وهو المذكور في قوله تعالي: ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُون.**(القلم 1)** ومعلوم أن الله تعالى لا يقسم إلا بعظيم من مخلوقاته، فدل هذا على عِظم قدر هذا القلم وشرفه على كافة الأقلام. وهذا القلم ليس كأي قلم معرف ومعهود، ولا يشترك مع أي قلم إلا في الاسم والصفة فقط، وذلك بكونه قلم يكتب. أما ماهيته أو صورته، أو بأي مداد يكتب؟ أو كيف يكتب؟ أو بأي لغة يكتب؟ فلا علم لنا بكل هذا..

والقلم إذا كتب فلابد وأن يكتب في مخطوط أو رق أو صحيفة أو لوح أو غيره مما يكتب فيه، ولهذا نقول أن ثاني ما خلق الله تعالى من مخلوقاته لمخلوقاته هو ما كتب فيه القلم، وهو اللوح المحفوظ: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ. فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظ.**(البروج 21-22) وقال صلى الله عليه وسلم:** كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء.[3] فدل هذا على أن اللوح الذي خط فيه القلم بالقدر مخلوقان قبل خلق السماوات والأرض. ولا يشترك هذا الكتاب مع أي كتاب إلا في الاسم والصفة فقط، وذلك بكونه يُكتب فيه، أما ماهيته أو صورته فهذا أمر لا يعلمه إلا الله تعالى. **قال عبد القاهر البغدادي:** اجتمع سلف الأمة مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى والسامرة على أن الله تعالى خلق اللوح والقلم قبل خلق السماوات والأرض؛ وإنما اختلفت المسلمون في السماء والأرض أيهما خلقت أولا.[4]

واللوح المحفوظ هو كتاب القدر المسطور فيه كل الخلق وأمرهم؛ ما كان منهم وما هو كائن إلى الأبد، **قال تعالى:** وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِين.**(الأنعام 59)** وهو المكتوب فيه كل حركة من المخلوقات أو سكون، فلا يغيب عن علم الله فيه من زنة ذرة في الأرض أو في السماء ولا حتى أصغر من الذرة ولا أكبر منها إلا وقد كتبه الله تعالى وسطره في هذا اللوح المحفوظ، **قال**

==

1: صحيح أبي داود للألباني- رقم 4700

2: عن عبادة بن الصامت- تخريج كتاب السنة لابن أبي عاصم- محمد ناصر الدين الألباني- رقم 104- ص49

3: خرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر- رقم 2653

4: الفرق بين الفرق- ص 142

تعالى: وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِين.**(يونس61)** وهو المذكور فيه كل دابة خلقها الله تعالى، وكذلك مقدار رزقها ومكانها ومستقرها، **قال تعالى:** وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِين.**(هود6)** وهو المذكور فيه خبر كل حمل تحمله أنثى، وكل حمل تضعه أنثى، وأجل كل المخلوقات وأعمارها، **قال تعالى**: وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَاب.**(فاطر11)** وهو المسطور فيه كل مصيبة، أو فاجعة تحدث في الأرض أو في أنفسنا من الأمراض والجوع والأسقام، **قال تعالى:** مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا.**(الحديد22)**

وقد انتهى الله تعالى من تسطير خبر كل شئ سيخلقه ويبرزه بهيئته التي هو عليها إلى الوجود ووقت إيجاده، أي كتاب القدر الخاص بالموجودات كلها، في فترة زمنية محددة. جاء في الخبر في أن الفترة الزمنية الفاصلة ما بين الإنتهاء من كتاب القدر في اللوح المحفوظ؛ وبداية الأمر بخلق السماوات والأرض؛ أي العالم؛ كان مقدارها خمسون ألف سنة مما نعد ونحصى. **قال عليه الصلاة والسلام:** كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء.[1]

وعندما صدر الأمر الإلهي أخذت عجلة الخلق تدور على نفس ما حوت سطور الكتاب المبين؛ وخرجت المخلوقات وتخرج وستخرج إلى ما شاء الله على نفس القدر والتقدير والهيئة والكيفية والماهية التي سبق بها العلم والإثبات في الكتاب.

وقلنا أول ما خلق الله من مخلوقاته لمخلوقات، ونقصد به السماوات والأرض والجنة والنار وغيره، لأن هناك ما قد خلقه الله تعالى واختص به ذاته المقدسة وهو الغنى عن العالمين، مثل ذلك العرش.. والعرش مخلوق عظيم من مخلوقات الله تعالى، **قال تعالى:** اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم.**(النمل26) وقال تعالى:** وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء.**(هود7)** فعلم مما سبق أن أول المخلوقات التي كانت قبل خلق السماوات والأرض كانت هي القلم والكتاب والعرش..

==

1: عن عبد الله بن عمرو- صحيح مسلم- رقم 2653

الإنسان يحيا في هذا الوجود حياتين

يعتقد أهل السنة أن الإنسان يحيا حياتين، حياة في الدنيا مؤقتة وحياة في الآخرة دائمة: ولكل حياة منهما قوانينها ونواميسها التي تحكمها وتسري عليها ولا تسري في الحياة الأخرى، هي قوانين ونواميس غير متشابهة تختلف وتتبدل من عالم إلى عالم. **يقول الله تعالى عن الحياة الآخرة:** يوم تتبدل الأرض غير الأرض والسماوات.**(إبراهيم 48)** أي تتبدل في المكان، وتتبدل كذلك في الزمان؛ فالزمن أيضا مخلوق من مخلوقات الله يحدد مقدراه الله تعالى وحده كيفما يشاء ويريد، فمثلا قد قدّر تعالى أن السنة بالزمن البشري الأرضي اثنتى عشرة شهرا، **قال تعالى:** إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض..**(التوبة 36)** وجعل اليوم عنده تعالى بألف سنة مما نعد ونحسب؛ **أو كما قال:** وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون.**(الحج 47) وقال:** يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرُجُ إليهِ في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون.**(السجدة 5) وقال:** تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.**(المعارج 4)** ويوم القيامة يوم عند الله؛ ومقداره بحسباتنا خمسون ألف سنة؛ **فعن ابن عباس قال:** في يوم مقداره خمسين ألف سنة. **قال:** يوم القيامة.[1]

المقصود أن الله يصرف الزمن كيفما يشاء ويريد؛ فيجعل السنة بمقدار سنة مما نعد أو ألف أو خمسين ألف أو يزيد أو يقل يجعلها كيفما يشاء. **والعالم هو الوجود الذي خلق الله فيه المكان والزمان:** والمكان والزمان متلازمان وجودا وعدما. وكل كائن في هذا العالم لا يكون إلا في مكان وزمان لا ينفكان بحال. وبهذا يتضح لنا أن مفهوم المكان والزمان المخلوقان لله؛ يغيرهما ويبدلهما سبحانه بقدراته المطلقة، وفق ما يريد وما يشاء. فهو الخالق لكل شئ، والحاكم لكل شئ، ولا خالق له ولا حاكم فوقه.

عالم الحياة الدنيا:

هو العالم الذي خلقه الله ليبتلي فيه الثقلان (الأنس والجن) أي يختبر فيه إيمانهما به. **قال تعالى:** وهو **الذي خلق السماوات والأرض** في ستة أيام وكان عرشه على الماء **ليبلوكم** أيكم أحسن عملا.**(هود 7)** ولا نستطيع أن نحدد حقيقة الستة أيام التي خلق الله فيها العالم، هل هي ستة أيام بحسابات البشر، وأجرى الله فيها ما يجري في ألوف أو ملايين السنين؟ أم هي ستة أيام بتقدير الله تعالى فيجعلها بمقدار ستة آلاف أو ستة ملايين

==

1: عن عكرمة مولى ابن عباس- تفسير القرآن العظيم- ابن كثير- 249/8

أو ستمائة مليون سنة مما نعد ونحصى أكثر أو أقل كيفما يشاء الله ويُقدر؛ فهو رب الزمن وخالقه يصرفه كيفما يشاء؛ **وهو القائل سبحانه في أهل النار:** إن ربك فعال لما يريد.**(هود 107)**

قال ابن تيمية: قد أخبرت الكتب الإلهية أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام، فتلك الأيام ليست مقدرة بحركة الشمس والقمر، فإنه فيها خلق الشمس والقمر والأفلاك. وسواء كانت بقدر هذه الأيام أو كان كل يوم بقدر ألف سنة؛ فعلى القولين ليس مقدار هذه حركات ما خلق فيها، والحاصل أن الكتب الإلهية والسنة النبوية وإجماع المسلمين على أن الله خالق كل شيء، فإن كل ما سوى الله مخلوق.[1] وينتهي عالم الحياة الدنيا بالنفخة الأولى في الصور التي ستعلن نهاية هذا الوجود؛ ليبدأ زمن عالم الحياة الآخرة بالنفخة الأخرى.

عالم الحياة الآخرة:

الآخرة هو العالم النهائي والمستقر الأخير للوجود، ويبدأ زمن هذا العالم بالنفخة الثانية في الصور وإعلان قيامة عالم الآخرة، ثم يمتد زمنه إلى الأبد، فهذا العالم الذي يضم الجنة والنار يكون الزمن فيه عبارة عن أحقاب زمنية لا يعلم قدر الحقبة منها إلا الله؛ **قال تعالى:** لابثين فيه أحقابا.**(النبأ 23)** ويجدد الله تلك الأحقاب الزمنية المقدرة بقدرته المطلقة إلى أحقاب متتالية لا نهاية لها إلى الأبد.. هذا هو الوجود النهائي والحقيقي والمستقر الأخير للعالم. **قال تعالى:** وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ.**(العنكبوت 64)** أي أن الآخرة هي الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد.

وقال تعالى: إن في ذلك لآية من خاف عذاب الآخرة، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود. وما نؤخره إلا لأجل معدود. يوم يأت ذلك لا تكلم نفس إلا بإذنه، فمنهم شقي وسعيد. فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق. خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد. وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ.**(هود 103-108)** وكما قلنا فإن كل قانون من تلك القوانين التي تحكم كل عالم من تلك العوالم؛ هي قوانين مختلفة تتغير وتتبدل حسب العالم الذي تحكمه. ولا يمكن قياس قوانين عالم الحياة الدنيا المدركة بالعقل والحواس البشرية؛ بقوانين تلك العوالم الغيبية التي لا تدرك إلا بالخبر فقط.

==

1: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية- 278/1

أصول الدين في عقيدة أهل السنة

دين الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله عقيدة لأهل الأرض من الأنس والجن، **قال تعالى:** إن الدين عند الله الإسلام.(**آل عمران 19**) **وقال:** ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.(**آل عمران 85**) والإسلام هو تسليم المرء وإذعانه وخضوعه لما شرع الله طاعة لله ورسوله، فمن عدل عن ذلك في شئ فإنه لا يكون مسلما ولا متبعا لله ورسوله وإنما يكون متبعا للشيطان وهوى نفسه.

والإسلام دين التوحيد، والتوحيد هو أصل دعوة كل الأنبياء والرسل، **قال تعالى:** وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون.**الأنبياء 25.** ولا إله إلا الله هي كلمة التوحيد. **وقال تعالى:** ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.(**النحل 36**) والطاغوت لفظ مجمل لكل ما يعبد من دون الله. هذه هي العبادة التي خلقوا لها؛ وأرسلت الرسل بها، وبهذا أمر الله عباده في مواضع عديدة من كتابه؛ **فقال:** يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون.(**البقرة 21**) **وقال:** واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا.(**النساء 36**) **وقال:** وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه.(**الإسراء 23**) **وقال:** وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء.(**البينة 5**) فأمرهم تعالى بأن يعبدوه، وأن يخلصوا له في هذه العبادة. كما أن عبادة الله تعالى تكون بطاعته بما شرع لا بالأهواء والبدع

لذا فإن العبادة في مفهوم أهل السنة مبنية على أصلين اثنين لا ينفصلان بحال:

الركن الأول: عبادة الله وحده لا شريك له.

والركن الثاني: الإخلاص والصواب في تلك العبادة.

والتوحيد هو حق الله على كل من خلق؛ **قال عليه السلام:** حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا.[1]

والتوحيد هو أول ما يخاطب به الناس من أصول الديانة الإسلامية، **قال تعالى:** فاعلم أنه لا إله إلا الله.(**محمد 19**) **وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى أهل اليمن:** فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى.. الحديث.[2] كما إن التوحيد هو الشرط لصحة وقبول سائر الأعمال؛

==

1: صحيح الجامع عن معاذ بن جبل- رقم 7968

2: صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس- رقم 7372

فكما أنه لا صلاة إلا بطهور، ولا نكاح إلا بشهود؛ فإنه لا عبادة دون توحيد. والتوحيد هو سبب الفوز في الدنيا والآخرة، وهو أصل كل صلاح في تلك الحياة الدنيا وما بعدها، كما أن الشرك بالله هو أصل كل فساد في تلك الحياة الدينا وما بعدها.

لذا كان أول ما يجب على المسلم تعلمه والعناية به هو التوحيد، كما كان يعتني به السلف الصالح عملا وتطبيقا ودعوة. فالتوحيد أصل الدين وركنه وغيره يتفرع عنه ويبنى عليه، ويدور معه وجودا وعدما وصحة وبطلانا.

والإسلام كشريعة ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: قسم نظري يتناول فيه الاعتقادات؛ وهو الأصل، لذا يُطلق عليه علم أصول الدين أو علم أصول الفقه. **والقسم الثاني:** قسم عملي وهو الذي يتناول العبادات والمعاملات؛ وهو الفرع، ويُطلق عليه علوم الفقه. ويعتبر علم أصول الدين أو أصول الفقه هو أشرف علوم الدين. **يقول ابن أبي العز:** لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع (فقه العبادات والمعاملات)، ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة -رحمة الله عليه- ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين: "الفقه الأكبر".. والله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، فلا هدى إلا فيما جاء به. ولا ريب أنه يجب علي كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانًا عامًا مجملًا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه، وعلم الكتاب والحكمة، وحفظ الذكر، والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجب على الكفاية منهم.[1]

عقيدة أهل السنة والجماعة هي الإيمان بالله عقيدة وقولا وعملا،

عقيدة إسلام و إيمان وإحسان

أما الإسلام: فهو ما أمر به الله ورسوله من الأعمال الظاهرة، بعد الخضوع لله والإنقياد والذل له، وأن يؤدي حق الله تعالى عن خضوع وإنكسار، وهذه هي العبادة.

==

1: شرح العقيدة الطحاوية- ص 69-70

وأركان الإسلام خمسة هي: الشهادة والصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا. فمن أقام هذه الأركان وعمل بها صار مسلما.. تلك الأركان الخمسة للإسلام ليست بالطبع هي كل المطلوب من المسلم، بل إن هذه هي أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيام المسلم بها يعلن استسلامه وخضوعه، وتركه لها يُشعر بانحلال قيد انقياده.

وأما الإحسان؛ فهو يقين المسلم بأنه يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله تعالى يراه.

وأما الإيمان بالله في مصطلح العلماء فهو: العلم الذي يكون موضوعه الإيمان بالله الواحد الأحد، وما يجب أن يثبت له من صفات الكمال والجلال وما يليق به، وما يجب أن ينفى عنه، مع الإعتقاد الجازم بانفراده تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فلا نظير له ولا مثيل له في ذلك كله. وما يتصل بذلك من الإيمان بالأنبياء، وما يجب لهم وما يجوز وما يستحيل في حقهم، والإيمان بالكتب المنزلة، والإيمان بالملائكة والقضاء والقدر والإيمان بيوم البعث والحساب.

التعريفات السابقة من الإسلام والإيمان والإحسان هي المذكورة في الحديث النبوي الصحيح الثابت الذي يسأل فيه السائل: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ **قال:** الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. **قال:** صدقت. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ **قال:** أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. **قال:** صدقت. **قال:** فأخبرني عن الإحسان؟ **قال:** أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. الحديث..[1] والسائل والمصدق هو أمين الوحي جبريل عليه الصلاة والسلام.

مما سبق نفهم أن أصل دين الإسلام أو الإيمان عند أهل السنة يتكون من ستة أركان هي:

الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالأنبياء، والإيمان بالقدر خيره وشره، والإيمان بالبعث واليوم الآخر. وكلها مسائل اعتقادية قلبية. وكلها قد بينها الله ورسوله بيانا شافيا وافيا قاطعا للعذر، إذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول وأعظم ما أقام الله الحجة به على عباده.

أما إذا أردنا التعرف على أصول دين الإسلام عند الفرق الأخرى، فهي عند الشيعة خمسة: التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد. **وعند المعتزلة خمسة أركان هي:** التوحيد، والعدل، والوعيد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. **يقول القاضي عبد الجبار:** وهذه الأصول عليها مدار الدين،

==

1: عن عمربن الخطاب- صحيح مسلم- رقم8

ومن خالف بها فهو عظيم الخطأ وربما كفر أو فسق بذلك، فإذا عرفت هذه الأصول، يلزمك أن تعرف بعد ذلك الفقه.[1] ومع اعتقاد المسلم أصول الإيمان الستة، والعمل بأركان الإسلام الخمسة، لابد للمسلم المؤمن أن يجتنب اعتقاد أو عمل ما يناقض الإيمان والإسلام من الكفر والشرك والنفاق والبدع، ليبقى له إيمانه ويصلح إسلامه ويفوز برضاء خالقه وإنعامه عليه. فالإسلام إسلام لأنه تسليم المسلم وإذعانه وخضوعه لما شرع الله طاعة لله ورسوله، فمن عدل عن ذلك في شئ فإنه لا يكون مسلما ولا متبعا لله ورسوله وإنما يكون متبعا لهوى نفسه وللشيطان. **قال تعالى:** وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين.**(البينة 5)** والمقصود به البراءة من الشرك. وتشمل عقيدة أهل السنة والجماعة المحبة والتقديم والتوقير لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

محبة الصحابة وتوقيرهم:

يعتقد أهل السنة أن صحابة النبي وأوائل المدرسة المحمدية هم أعظم الأمة عقلا وأصدقهم إيمانا، وأنهم قد أثبتوا بالتجربة العملية الواقعية إيمانهم الحق بالله قولا وفعلا؛ وزكاهم الله ورسوله. لذا فإن فهمهم للقرآن والسنة وللشريعة وما أجمعوا عليه لابد أن يكون هو الدليل الشرعي الأصلي الذي لا يمكن تجاهله؛ والعقل والنص يرشدان إلى الأخذ والالتزام به. لذا يعتقد أهل السنة حب أصحاب النبي عليه السلام، فيحبون من يحبهم ويبغضون من يبغضهم، وحبهم من الإيمان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

صحابته عليه السلام هم خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله بعد النبيين. وقد **قال النبي عليه السلام:** احفظوني في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يشهد الرل وما يُستشهدُ، ويحلِف وما يُستحلفُ.[2]

ويثبت أهل السنة خلافة أبي بكر الصديق، تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة، وثبت عن **النبي عليه السلام قوله:** لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا.[3]

وروى أبو الدرداء: كانت بين أبي بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبا، فاتبعه

==

1: الأصول الخمسة- ص 67

2: خرجه الألباني في صحيح الجامع عن عمر بن الخطاب- رقم 206

3: خرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود- رقم 2383

أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه. فأقبل أبو بكر إلى رسول الله، فقال أبو الدرداء ونحن عنده: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما صاحبكم هذا فقد غامر.(أي سبق بالخير) قال أبو الدرداء: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقص على رسول الله الخبر، قال أبو درداء: وغضب رسول الله وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم. فقال رسول الله: هل أنتم تاركون لي صاحبي، هل أنتم تاركون لي صاحب، إني قلت يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر صدقت.[1] **وفي رواية قال عليه السلام:** إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ مرتين، فما أوذي بعدها.[2] ويثبت أهل السنة الفضل بعد أبي بكر لعمر بن الخطاب، ثم لعثمان بن عفان، ثم لعلي بن أبي طالب. **روى أبو بكرة نفيه بن الحارث أن النبي عليه السلام قال:** من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل: أنا، رايت كان ميزانا نزل من السماء فوزِنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان. فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.[3] **وروي عن محمد بن علي ابن الحنفية أنه قال لأبيه علي بن أبي طالب:** يا أبت من خير الناس بعد رسول الله؟ فقال: يا بني أو ما تعرف؟ فقلت: لا. قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: عمر. قال: وخشيت أن يقول ثم عثمان فقلت: ثم أنت؟ فقال ما أنا إلا رجل من المسلمين.[4] **وعن عبد الله بن عمر قال:** كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي لا نفاضل بينهم.[5]

ويعتقد أهل السنة محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله حيث قال يوم غدير خم: أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. **فقيل لزيد بن أرقم وهو راوي الحديث:** من أهل بيته؟ **قال:** الذين حُرِموا الصدقة: آل عليّ وآل عقيل وآل عباس.[6]

==

1: صحيح البخاري- رقم 4640

2: صحيح البخاري- رقم 3661

3: صحيح أبي داود للألباني- رقم 4634

4: صحيح البخاري- رقم 4671

5: صحيح البخاري- رقم 3697

6: تخريج العواصم من القواصم- شعيب الأرناؤوط- 42/8

ويتولى أهل السنة أزواج رسول الله أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، ويتبرءون من طريقة الروافض، الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم. ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة.[1]

وقد روى سفينة مولى رسول الله عليه السلام أنه قال: خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء أو من يشاء.[2] وكانت خلافة أبي بكر سنتين وثلاثة أشهرة، وخلافة عمر عشر سنين ونصفا، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن بن علي ستة أشهر. وأول ملوك الإسلام هو معاوية بن أبي سفيان، وكان خير ملوك المسلمين. أما الشيعة فيبترؤون من جمهور هؤلاء السادات، إلا نفر قليل منهم، نحو بضعة عشر نفرا.

***

ثم إن أوجب ما على المرء معرفته وتعلمه والإهتمام به؛ هو معرفة اعتقاد الدين:

والعقيدة لغة: تأتي من: العقْد، والتوثيق، والربط بقوة، والإحكام. تقول عقيدة المرء: ويقصد به الحُكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده. كعقيدة وجود الله وملائكته ورسله والبعث، **والجمع:** عقائد. **وشرعا فإن العقيدة يراد بها:** الإيمان الجازم لدى معتقده الذي لا يتطرق إليه شك. **يقول تعالى:** إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا.**(الحجرات 15)** وجدير بالذكر أن كلمة العقيدة والإعتقاد لم تذكر في القرآن ولا في السنة، وذلك رغم تتابع علماء الإسلام قديما وحديثا على عنونة مباحث هذا العلم ب"العقيدة" أو "العقائد". وعلم العقيدة هو أهم العلوم الشرعية وأفضلها، فمن خلاله يتوصل المؤمن إلى معرفة الله خالقه، ويوقع عمله على نحو ما أراد الله ورسوله حين أمر المرء أن يكون مسلما. وذلك لأن الإسلام قد عاد غريبا كما بدا، فأغلب العلماء قد فُتن بحب الدنيا وبحب المقام العالي والرياسة، وأغلب العباد جاهلون في عبادتهم مخدوعون صرعهم الشيطان.. وإذا تأملت وجدت أن غالب المسلمين اليوم الذين يشهدون بأن "لا إلا إلا الله" قد صاروا لا يفقهون معناها جيدا، فإذا سألتهم عن معناها قالوا يقصد بها أن لا رب إلا الله. وإذا تأملت وجدت أنه نفس المعنى الذي كان عليه المشركون والكافرون على عهد النبي عليه السلام، ومع ذلك لم يعتبرهم

==

1: مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية- 154/3

2: صحيح أبي داود للألباني- رقم 4647

الله ولا رسوله مؤمنين أو مسلمين، فتوحيد الربوبية مجردا غير كاف لإعتبار الإنسان مؤمنا أو مسلما، **وذلك المذكور في قوله تعالى:** قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل أفلا تذكرون. قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم. سيقولون لله قل أفلا تتقون. قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل فأنى تسحرون.**(المؤمنون 84-85)** هؤلاء الكفار كانوا يقرون بوجود الله وأنه خالقهم ورازقهم وأنه مدبر لجميع الأمور. ولكن لم يدخلهم هذا الإعتقاد في الإيمان والإسلام. فقد أقر هؤلاء الكفار أنهم كانوا يقصدون بعبادة تلك الأوثان وتقديسها هو التقرب والتشفع بها إلى الله، **قال تعالى:** والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.**(الزمر 3) وقال:** ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتبنؤون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون.**(يونس 18)** وعليه إذا قال المسلم: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعبد مع الله غيره؛ فهو والمشرك والكافر سواء، وإن كان ظاهره الإسلام، وإن قالها وخالف بظاهر قوله وفعله ما أدخله في الإسلام فهو خارج عنه، وإن من قالها وظن أن مخلوق قد يحييه ويميته ويرزقه غير الخالق، فظنه يكذب ظاهر إسلامه. **يقول الألباني:** لذلك، فإني أقول كلمة -وهي نادرة الصدور مني- وهي: إن واقع كثير من المسلمين اليوم شر مما كان عليه عامة العرب في الجاهلية الأولى من حيث سوء الفهم لمعنى هذه الكلمة الطيبة (يقصد كلمة التوحيد)؛ لأن المشركين العرب كانوا يفهمون، ولكنهم لا يؤمنون، أما غالب المسلمين اليوم، فإنهم يقولون ما لا يعتقدون، يقولون: لا إله إلا الله، ولا يؤمنون حقا بمعناها.[1] وعليه يجب أن تكون عقيدة التوحيد بكل لوازمها ومتطلباتها واضحة في ذهن المسلم مكتمل الإيمان.

والعقيدة والاعتقاد هما من الأمور القلبية الباطنية. والعقيدة بهذا المعنى تمثل أصل الإيمان وقاعدته. ثم لابد لهذا المعتقد الباطني أن يظهر إلى الواقع العملي الملموس، فلابد أن تعبر أعمال الجوارح عما استقر وسكن في القلوب أو النفوس، وإلا فإن العقيدة المزعومة في القلوب، ولا يكون لها ظهور على جوارح صاحبها، لا يستحق أن يطلق عليها اسم عقيدة.

==

1: التوحيد أولا يا دعاة الإسلام- ص 14

أركان الإيمان في معتقد أهل السنة

الإيمان لغة: هو التصديق. **قال تعالى:** وما أنت بمؤمن لنا لو كنا صادقين.**(يوسف 17)**

والإيمان من الألفاظ المنقولة من معناها اللغوي الذي هو مجرد التصديق؛ إلى معنى آخر شرعي هو: الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح والأركان. ويعتقد أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص وأن الناس يتفاضلون فيه، فيزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي. **والمراد بأركان الإيمان:** هو ما يتوقف عليه الإيمان، وما لا يقوم الإيمان إلا به، وإذا فقد ركن أو لم يتحقق، انهدم الإيمان وبطل. فلا يصح الإيمان إلا بتحقق تلك الأركان، وهي: **الركن الأول:** الإيمان بالله.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب السماوية.

الركن الر ابع: الإيمان بالرسل والأنبياء.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره كلا من عند الله.

أولا: الإيمان بالله

الإيمان بالله هو إثبات وجوده تعالى، **قال تعالى:** يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله.**(النساء 136)** والتصديق الذي لا شك فيه بأنه لا إله غيره ولا رب ولا معبود سواه. فالإيمان بالله هو حق الله على من خلق.

وقد كانت كل الشبهات التي أثارها الجهم بن صفوان قد بدأت من عدم اعتبار العمل مكون أساسي من مكونات الإيمان بالله. فذهب الجهم إلى أن الإيمان هو مجرد عمل قلبي يتمثل في المعرفة والتصديق بالقلب. أي عمل نفسي باطني فقط، ولا دخل للعمل الظاهري في مكون الإيمان بالله ولا حتى الإقرار به باللسان.

لذا ستجد أن الجهمية لا يكفرون أحد بسبب ترك كل الأعمال التي أمر الله بها، وإن عمل حتى كل عمل يناقض هذا الإيمان؛ فلا يتجاسروا على إطلاق الكفر عليه إلا إذا لم يقر الكفر بقلبه فقط.

إذ قد لخص جهم الإيمان بالله بمجرد المعرفة؛ وعنده الإيمان مجرد تصديق؛ والتصديق بالشئ والجزم به لا يدخله زيادة ولا نقصان؛ فإما أن يكون أو لا يكون؛ وإذا كان فهو لا يتفاضل فيه أحد، وعلى هذا قال إن الإيمان كله يتساوى فإيمان الواحد منهم كإيمان جبريل وإيمان محمد عليهما السلام والكافة يتساوون في ذلك!

وإلى جانب الكثير من الآراء الفاسدة التي أطلقها هذا الجهم؛ كان هو من أطلق القول بالجبر، أو هو من أوائل من فعلوا. فقال أن الإنسان مجبورا على أعماله، ولا قدرة له البتة على أن يفعل أية فعل، وإنما هو مضطر لا حول له ولا قوة في كل فعله، تماما مثل ريشة في مهب الريح أو كما تطلع الشمس أو تغرب. ومن هنا قال لا يضر عمل مع إيمان (وهو مجرد معرفة في القلب)، ولا تنفع طاعة مع كفر (وهو أيضا مجرد معرفة في القلب).

وإذا تأملت هذا وجدته نفس قول المرجئة الذين يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة.. إذا هي مسألة حول أصل الإيمان بالله، وماهية وحقيقة هذا الإيمان.

كان أبو حنيفة يقول أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان، ولا يكون المؤمن مؤمنا إلا بكلاهما لا يغني أحدهما عن الآخر. وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فلا يُدخل أبو حنيفة الأعمال ضمن مكون الإيمان كما يقر بقية أهل السنة. لذا أُتهم بأنه أقرب مذاهب أهل السنة إلى المرجئة.

أما معتقد أهل السنة في الإيمان فهو أنه الإيمان بالله مصطلح منقول من مفهومه ومدلوله اللغوي ؛من مجرد التصديق بشيء؛ إلى مفهوم شرعي مكون من اعتقاد قلبي باطني هو التصديق، وعمل بالجوارح الظاهرة، وإقرار باللسان. ويعتقدون كذلك أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي. وأن أهل الإيمان يتفاوتون فيه.. **أما دليل زيادة الإيمان، فقوله تعالى:** ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم.**(الفتح 4) وقوله:** ويزيد الله الذين اهتدوا

هدى.**(مريم 76) وقوله:** وما زادهم إلا إيمانا وتسليما.**(الأحزاب 22)** وغير ذلك من الآيات. ودليل تفاضل أهل الإيمان فيه، **قوله تعالى:** والسابقون السابقون. أولئك المقربون.**(الو اقعة 10-11) وقوله:** فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله.**(فاطر32)** وما يقبل الزيادة فهو بلا شك يقبل النقصان.

إذا التصديق والعمل هذا هو حقيقية الإيمان بالله وصحيح العقيدة كما يفهمه أهل السنة، ولا يعتقد عاقل أن الصحابة (أفضل الناس إيمانا بعد الأنبياء) كانوا مؤمنين بغير هذا المفهوم، ولهذا أثنى الله عليهم ورسوله؛ لأن إيمانهم كان صادقا في القلب والله وحده هو المطلع عليه، وكان صادقا في العمل وهو ما شهد الله لهم به. ولا ينفصل تصور سليم حقيقة للإيمان بعيدا عن هذا، بل هو لازم له. وفي القرآن والحديث الكثير مما يؤيد هذا المعنى الذي يوضح حقيقة الإيمان بالله وبأنه مركب من عمل القلب وعمل الجوارح؛ فيخطيء من يزعم أنه مؤمن ومصدق بقلبه، ولكن لا يؤمن بفعل تلك الأمور التي يُظهر بها ويُعلن ويؤكد على هذا الإيمان؛ فيكون رادا للقرآن والحديث مهما ادعى من تعليلات.

***

الإيمان بربوبية الله وبإلهيته

الإيمان بالله يتضمن الإيمان بربوبيته: بأن الله وحده الرب لا شريك له، وأنه وحده خالق كل شيء، وأن له وحده الملك والأمر، ويتضمن كذلك الإيمان بإلهيته بأنه وحده الإله المعبود الحق. فالتوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الإلهية، المتضمن لتوحيد الربوبية بأن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا، فيكون الدين كله لله، ولا يُخاف إلا الله، ولا يُدعى إلا الله، ويكون الله أحب إلى العبد من كل شئ، فيحب لله، ويبغض لله، ويتوكل عليه. والعبادة تجمع غاية الحب وغاية الذل، فيحبون الله بأكمل محبة، ويذلون له أكمل ذلك، ولا يعدلون به، ولا يجعلون له أندادا، ولا يتخذون من دونه أولياء ولا شفعاء. كما قد بين القرآن هذا التوحيد في غير موضع، وهو قطب رحى القرآن الذي يدور عليه، والقرآن ثلثه توحيد، وثلثه قصص، وثلثه أمر ونهي. **قال ابن تيمية:** وليس لأحد أن يعبد إلا الله وحده، فلا يصلي إلا لله، ولا يصوم إلا لله، ولا يحج إلا بيت الله، ولا يتوكل على الله، ولا يخاف إلا الله، ولا ينذر إلا لله، ولا يحلف إلا بالله.[1]

قال تعالى: وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا.**(الجن 18) وقال:** إياك نعبد وإياك نستعين.**(الفاتحة 4)**

==

1: مجموع فتاوى- 1/80-81

وقال: له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال.**(الرعد 14) وقال تعالى:** قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين.**(الانعام 163) وقال:** وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون. **(الأنبياء 25)** فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله، فقد اتخذه ربا وإلها، وأشرك مع الله غيره.

***

الشرك بالله:

يعتقد أهل السنة بأن الله واحد لا شريك له. وأن الشرك بالله يحبط العمل، ويورث صاحبه النار، **قال تعالى:** لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين.**(الزمر65)** ويعتقد أهل السنة أن نفي الشريك عن الله يتم بنفي ثلاثة أنواع من الشرك. شرك الربوبية، وشرك الإلهية، وشرك في الأسماء والصفات:

شرك الربوبية: بأن يعتقد الإنسان أن مع الله خالقا آخر، **مثاله:** قال المجوس أن الله هو خالق الخير، وأن الشيطان هو خالق الشر. وقريب منهم المعتزلة والشيعة وعامة القدرية الذين يقولون أن الإنسان والشيطان هما خالقين الشر، وأن الله لا يخلق إلا الخير. **قال ابن تيمية:** فإن الرب سبحانه هو المالك المدبر، المعطي المانع، الضار النافع، الخافض الرفع، المعز لمذل، فمن شهد أن المعطي أو المانع، أو الضار أو النافع، أو المعز أو المذل غيره، فقد أشرك بربوبيته.[1]

وشرك الإلهية: بأن يتعبد الإنسان لغير الله، أو أن يجعل لله ندا؛ أي: مثلا في عبادته، أو محبته، أو خوفه، أو رجائه، أو إنبابته؛ فهذ هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه. كالمستغيثين بالأنبياء والملائكة والصالحين، وندائهم عند الشدائد. وشرك الإلهية هو الذي قاتل عليه رسول الله عليه السلام مشركي العرب، **قال تعالى:** ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله.**(البقرة 165)**

وشرك الأسماء والصفات: بأن يصف الإنسان الخلق ببعض صفات الله الخاصة به، كعلم الغيب مثلا. فمن نفى عن الله الشرك في توحيده إياه، فوحده في ذاته وفي عباده وفي صفاته، فهو الموحد، ومن أخل بشئ منه، فقد أصاب توحيده بعطب وخلل.

===

1: مجموع فتاوى- 92/1

حكم التوسل بالنبي وبالصالحين:

قال تعالى: ادعوا ربكم تضرعا وخفي إنه لا يحب المعتدين.**(الأعراف 55)** والدعاء من أفضل العبادات، وأي عبادة كي تصح فيجب أن تكون مبنية على السنة والاتباع، لا على الهوى والابتداع. **وقال تعالى:** ولا تدعُ مع الله مالا ينفعك ولا يضرك فإنك إذا من الظالمين. وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يرد بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم.**(يونس 106-107)** **وقال تعالى:** ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون.**(الأحقاف 5)** **وقال:** أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله.**(النمل 62)** **وقال قال النبي عليه السلام لابن عباس:** إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت استعن بالله.[1]

ومعنى التوسل: هو التقرب إلى الشيء والتوصل إليه. وهم قسمان: قسم مشروع: ومنه التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته. **قال تعالى:** ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها.**(الأعراف 180)** ومنه التوسل إلى الله بالإيمان والأعمال الصالحة التي قام بها المتوسل، كما قال الله عن أهل الإيمان: ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.**(آل عمران 193)**

كما جاء في حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار، فلما انطبقت عليهم الصخرة، توسلوا إلى الله بذكر أعمالهم الصالحة الخالصة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انطَلَق ثلاثةُ رهْطٍ ممن كان قبلَكم؛ حتى أووا المبيتَ إلى غارٍ فدخلوه، فانْحدَرتْ عليهم صخرةٌ من الجبلِ، فسدَّتْ عليهم الغارَ، فقالوا: إنَّه لا يُنجيكم من هذا الصخرةِ إلا أن تدعوا اللهَ بصالحِ أعمالِكم. قال رجلٌ منهم: اللهمَّ كان لي أبوانِ شيخانِ كبيرانِ، وكنتُ لا أغْبِقُ (حلب الشاة بالعشي) قبلَهما أهلًا ولا مالًا، فنأى بي في طلبِ شيءٍ يومًا فلم أُرِحْ عليهما حتى ناما، فحلبتُ لهما غبوقَهُما فوجدتُهما نائمينِ، فكَرِهتُ أن أغْبِقَ قبلَهما أهلًا أو مالًا، فلبِثْتُ والقدحُ على يدَيَّ أنتظرُ اسْتيقاظَهما حتى برَق الفجرُ، فاستيقظا فشرِبا غبوقَهُما، اللهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجْهِك، ففرِّجْ عنَّا ما نحن فيه من هذه الصخرةِ؟ فانفرجتْ شيئًا لا يستطيعونَ الخروجَ.

وقال الآخرُ: اللهمَّ كانتْ لي ابنةُ عمٍّ، كانتْ أحبَّ الناسِ إليَّ، فأردتُها على نفسِها، فامْتَنعتْ منِّي، حتى ألَمَّتْ بها

==

1: صحيح الترمذي للألباني- عن عبد الله بن عباس- رقم 2516

سنةٌ من السنينِ فجاءتني، فأعطيتُها عشرينَ ومائةَ دينارٍ؛ على أن تُخَلِّي بيني وبين نفسِها، ففعلتْ حتى إذا قدَرْتُ عليها قالتْ: لا أُحِلُّ لك أن تفضَّ الخاتمَ إلا بحقِّه، فتحرَّجتُ من الوقوعِ عليها، فانصرفتُ عنها، وهي أحبُّ الناسِ إليَّ، وتركتُ الذهبَ الذي أعطيتُها، اللهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجْهكَ، فأَفْرِجْ عنَّا ما نحن فيه، فانفرجتِ الصخرةُ غيرَ أنَّهم لا يستطيعونَ الخروجَ منها.

وقال الثالثُ: اللهم استأجرتُ أجراءَ، فأعطيتُهم أجرَهم، غيرَ رجلٍ واحدٍ ترك الذي له وذهب، فَثَمَّرْتُ أجرَه حتى كثُرتْ منه الأموالُ، فجاءني بعد حينٍ فقال: يا عبدَ اللهِ أدِّني أجري. فقلتُ له: كل ما ترى من أجرِك من الإبلِ والبقرِ والغنمِ والرقيقِ. فقال: يا عبدَ اللهِ لا تستهزئُ بي. فقلتُ: إني لا أستهزئُ بك، فأخذَه كلَّه فاستاقَه فلم يترك منه شيئًا، اللهمَّ فإن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجْهِك فأفْرِجْ عنَّا ما نحن فيه، فانفرَجتِ الصخرةُ، فخرجوا يمشونَ.[1]

أما التوسل الغير مشرع فهو التوسل بطلب الدعاء والشفاعة من الأموات، أو التوسل بجاه النبي والتوسل بذات المخلوقين أو حقهم. **ويقصد بالتوسل بالأنبياء والصالحين بمعنى سؤال الله بذواتهم**، كقولهم: للهم إني أسألك بحق أو بجاه النبي صلى الله عليه وسلم. **وكان أبو حنيفة يكره أن يقول الداعي:** أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، ونحو ذلك.. وتارة يقول: بجاه فلان عندك، يقول: نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده أن فلانا عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجب دعاءنا. وهذا أيضا محذور، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه، يطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يؤمنون على دعائه، كما في الاستسقاء وغيره. فلما مات صلى الله عليه وسلم قال عمر -لما خرجوا يستسقون-: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا. معناه بدعائه هو ربه وشفاعته وسؤاله، ليس المراد أنا نقسم عليك به، أو نسألك جاهه عندك، إذ لو كان ذلك مرادا لكان جاه النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من جاه العباس.[2]

وعليه لا يجوز طلب الدعاء من الأموات، وذلك لأن الميت لا يقدر على الدعاء، كما كان يقدر عليه في الحياة،

==

1: خرجه الألباني في صحيح الجامع عن عبد الله بن عمر- رقم 1504

2: شرح العقيدة الطحاوية- ص 237-238

وطلب الشفاعة من الأموات لا يجوز، لذا فإن عمر بن الخطاب والصحابة لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حيا كالعباس، ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا بالنبي لا عند قبره ولا عند غيره. كما أن التوسل بحق المخلوق لا يجوز لأن الله سبحانه لا يجب عليه حق لأحد.
وقد أباح العلماء الاستغاثة والاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه، قال تعالى: وتعاونوا على البر والتقوى.(المائدة 2) **وقال في قصة موسى:** فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه.**(القصص 15)** وكما يستغيث الرجل بأصحابه في الحرب وغيرها؛ مما يقدر عليه المخلوق. أما فيما لا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز الاستغاثة أو الاستعانة بالمخلوق عليه، كشفاء الأمراض وتفريج الكربات ودفع الضر وجلب النفع.

***

بما يكفر المؤمن؟

يعتقد أهل السنة أن كل من ثبت له عقد الإسلام؛ فإنه لا يزول عنه إلا بنص أو إجماع.. أما الجاهل المتأول فهو معذور يجب تعليمه. فإذا قامت عليه الحجة من القرآن والسنن؛ فخالف ما فيهما عنادا فهو كافر.. أما من قال أن الله هو فلان لإنسان بعينه، أو أن الله يحل في جسم من أجسام خلقه، أو أن بعد محمد نبيا، فإنه لا يختلف اثنان في تكفيره لصحة قيام الحجة بكل هذا على كل أحد؛ ولو أمكن أن يوجد أحد يدين بهذا لم يبلغه قط خلفه؛ لما وجب تكفيره حتى تقوم الحجة عليه.
وأما من تكفير الناس بما تؤول إليه أقوالهم؛ فخطأ، فالمعتزلة تنسب أهل السنة تجوير الله وتشبيهه بخلقه، وهم ينسبون إليهم مثل ذلك سواء بسواء، ويلزمهم أهل السنة أيضا تعجيز الله، وأنهم يزعمون أنهم يخلقون كخلقه، وأن له شركاء في الخلق؛ وأنهم مستغنون عن الله، ومن أثبت الصفات يسمي من نفاها باقية؛ لأنهم قالوا تعبدون غير الله تعالى؛ لأن الله تعالى له صفات وأنتم تعبدون من لا صفة له، ومن نفى الصفات يقول لمن أثبتها أنتم تجعلون مع الله عز وجل أشياء لم تزل وتشركون به غيره، وتعبدون غير الله؛ لأن الله تعالى لا أحد معه ولا شئ معه في الأزل، وأنتم تعبدون شيئا من جملة أشياء لم تزل؛ وهكذا في كل ما اختلف فيه حتى في الكون والجزء وحتى في مسائل الأحكام والعبادات؛ فأصحاب القياس يدعون على أهل الظاهر خلاف الإجماع؛ وأصحاب الظاهر يثبتون عليهم خلاف الإجماع وإحداث شرائع لم يأذن الله بها، وكل فرقة فهي تنتفي بما تسميها به الأخرى وتكفر من قال شيئا من ذلك؛ فصح أنه لا يكفر أحد إلا بنفس قوله، ونص معتقده.
وقد قال عليه السلام: أن رجلا كان قبلكم رغسه الله مالا (بارك له فيه وكثَّره) فقال لبنيه لما حُضِر: أي أب

كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال: فإني لم أعمل خيرا قط، فإذا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في يوم عاصف؛ ففعلوا. فجمعة الله عز وجل فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك. فتلقاه برحمته.[1] **وفي رواية:** كان رجل ممن قبلكم، يسئ الظن بعمله؛ فلما حضرته الوفاة؛ قال لأهله: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم اذروني في البحر، فإن الله إن يقدر عليّ لم يغفر لي. قال: فأمر الله عز وجل الملائكة؛ فتلقت روحه. قال له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: يا رب ما فعلت إلا من مخافتك، فغفر الله له.[2] فهذا إنسان جهل إلى أن مات أن الله يقدر على جمع رماده واحيائه، وقد غفر له لإقراره وخوفه وجهله.. ولا شك في أنه إنما أمر بذلك ليفلت من عذاب الله. وأبين من شئ في هذا **قول الله:** وإذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء..**(المائدة 112)** فهؤلاء الحواريون الذين أثنى الله عليهم قد قالوا: بالجهل لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء. ولم يبطل بذلك إيمانهم. وهذا ما لا مخلص منه؛ وإنما كانوا يكفرون لو قالوا ذلك بعد قيام الحجة وتبينهم لها. **وبرهان ضروري آخر لا خلاف فيه:** وهو أن الأمة مجمعة كلها بلا خلاف من أحد منهم، وهو أن كل من بدل آية من القرآن عامدا وهو يدري أنها في المصاحف بخلاف ذلك، وأسقط كلمة عمدا كذلك أو زاد فيها كلمة عامدا؛ فإنه كافر بإجماع الأمة كلها. ثم إن المرء قد يخطيء في التلاوة فيزيد كلمة؛ وينقص أخرى، ويبدل كلامه جاهلا مقدرا أنه مصيب ويكابر في ذلك ويناظر قبل أن يتبين له الحق، ولا يكون بذلك عند أحد من الأمة كافرا ولا فاسقا ولا آثما، فإذا أوقف على المصاحف أو أخبره بذلك عند أحد من الأمة كافرا ولا فاسقا ولا آثما، فإذا أوقف على المصاحف أو أخبره بذلك من القراء من تقوم الحجة بخبره، فإن تمادى على خطاه فهو عند الأمة كلها كافر بذلك لا محالة؛ وهذا هو الحكم الجاري في جميع الديانة.. **قال ابن حزم:** وقد أقر عمر بن الخطاب لرسول الله أنه لم يفهم آية الكلالة؛ فما كفره بذلك ولا فسقه ولا أخبره أنه آثم بذلك، لكن أغلظ له في كثرة تكراره السؤال السؤال عنها فقط. وكذلك أخطأ جماعة من الصحابة في حياة رسول الله في الفتيا؛ فبلغه عليه السلام ذلك فما كفر بذلك أحد منهم ولا فسقه ولا جعله بذلك آثما، لأنه لم يعانده عليه السلام أحد منهم. وهذا كفتيا أبي السنابل بن بعكك في آخر الأجلين، والذين أفتوا على الزاني غير المحصن الرجم.[3]

==

1: عن أبي سعيد الخدري- صحيح البخاري- رقم 3478

2: عن حذيفة بن اليمان- صحيح النسائي للألباني- رقم 2079

3: ابن حزم- الفصل- 3/139-141

يقصد ابن حزم الحديث: أن امرأة من أسلم يقال لها سُبيعة، كانت تحت زوجها؛ ثم توفى وهي حبلى، فخطبها أبو السنابل بن بَعْكَكٍ (رجل من بني عبد الدار)؛ فأبت أن تنكحه. فقال: والله ما يصلح أن تنكحيه حتى تعتدي آخر الأجلين، فمكثت قريبا من عشر ليال؛ ثم جاءت النبي فقال: انكحي.[1]

وفي لفظ: جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس عنده؛ فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة؟ فقال ابن عباس: آخر الأجلين. قال أبو سلمة: "وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن. قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي (يعني أبا سلمة). فأرسل ابن عباس غلامه كُريبا إلى أم سلمة يسألها؛ فقالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى؛ فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخُطبت، فأنكحها رسول الله، وكان أبو السنابل فيمن خطبها.[2]

فإن قالوا: إذا كان المجتهد معذور إذا أخطأ؛ فاعذروا اليهودي والنصراني وسائر الملل؛ فإنهم أيضا مجتهدون قاصدون الخير؟ **رد عليهم:** أننا لم نعذر من عذرنا برأينا، ولا كفرنا من كفرنا بظننا؛ ولا يدخل الجنة أحدا؛ بل يُدخلها من شاء. ولا يختلف اثنان من أهل الأرض ولا نقول من المسلمين؛ بل من كل ملة؛ في إن رسول الله قطع بالكفر على أهل كل ملة غير الإسلام الذين تبرأ أهله من كل ملة حاشى التي أتاهم بها عليه السلام فقط. فوقفنا عند ذلك، ولا يختلف اثنان في أنه عليه السلام قطع باسم الإيمان على كل من اتبعه، وصدق بكل ما جاء به، وتبرأ من كل دين سوى ذلك. فوقفنا أيضا عند ذلك ولا مزيد. فمن جاء نص في إخراجه عن الإسلام بعد حصول اسم الإسلام له، أخرجناه منه سواء.. وكذلك من أجمع أهل الإسلام على خروجه عن الإسلام؛ فواجب إتباع الإجماع في ذلك. وأما من لا نص في خروجه عن الإسلام بعد حصول الإسلام له، ولا إجماع في خروجه أيضا عنه؛ فلا يجوز إخراجه عن الإسلام بعد حصوله فيه. وقد نص الله على ما قلنا **فقال:** ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.**(آل عمران 85) وقال تعالى:** ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا.**(النسا 150) وقال:** قل أبالله وآياته ورسله كنتم تستهزؤون لا تعذروا قد كفرتم بعد إيمانكم.**(التوبة 65-66)** فهؤلاء كلهم كفار بالنص. وصح بالإجماع على أن كل من جحد شيئا صح عندنا بالإجماع أن رسول الله أتى به فقد كفر. وصح بالنص أن كل من استهزأ بالله أو بملك من الملائكة أو بنبي من الأنبياء عليهم السلام، أو

==

1: عن أم سلمة- صحيح البخاري- رقم 5318

2: عن أم سلمة- صحيح البخاري- رقم 4909

بآية من القرآن، أو بفريضة من فرائض الدين فهي كلها آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة إليه؛ فهو كافر. ومن قال بنبي بعد النبي عليه الصلاة والسلام أو جحد شيئا صح عنده بأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو كافر؛ لأنه لم يحكم النبي فيما شجر بينه وبين خصمه. **وقال تعالى:** وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم.**(الرعد 6)** فبعض الظلم مغفور بنص القرآن. . وقد أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أهل الأرض، وهم أهل الحديبية بأن يحلقوا وينحروا، فتوقفوا حتى أمرهم ثلاثا وغضب عليه السلام وشكا ذلك إلى أم سلمة؛ فما كفروا بذلك، ولكن كانت معصية تداركهم الله بالتوبة منها، وما قال مسلم قط أنهم كفروا بذلك لأنهم لم يعاندوه ولا كذبوه. **وقال سعد بن عبادة:** والله يا رسول الله لأن وجدت لكاع يتفخذها رجل أدعهما حتى آتي بأربعة شهداء. قال: نعم. قال: إذن والله يقضي إربه، والله لأتجللنهما للسيف. فلم يكن بذلك كافرا، إذ لم يكن عاندا ولا مكذبا؛ بل أقر أنه يدري أن الله تعالى أمر بخلاف ذلك.. ومن قذف عائشة رضي الله عنها فهو كافر؛ لتكذيبه القرآن، وقد قذفها مسطح وحمنة فلم يكفرا؛ لأنهما لم يكونا حينئذ مكذبين لله تعالى، ولو قذفاها بعد نزول الآية لكفرا.. **قالوا اختلف الصحابة في الفتيا في الاعتقاد بل في الفتيا فلم يكفر بعضهم بعضا ولا فسق بعضهم بعضا..** ولكن هذا ليس بشئ؛ فقد حدث إنكار القدر في أيامهم؛ فما كفرهم أكثر الصحابة. وقد اختلفوا في الفتيا واقتتلوا على ذلك، وسفكت الدماء كاختلافهم في تقديم بيعة علي على النظر في قتلة عثمان. **وقد قال ابن عباس:** من شاء باهلته عند الحجر الأسود أن الذي أحصى رمل عالج لم يجعل في فريضة واحدة نصفا ونصفا وثلثا.(يقصد أن هذان نصفان قد ذهب بالمال فأين موضع الثلث؟)[1]

****

اعتقاد أهل السنة في مرتكب الكبيرة:

يعتقد أهل السنة أن من مات على التوحيد؛ سيدخله الله الجنة، **روى أبو هريرة عن النبي أنه قال:** يا أبا هريرة وأعطاني نعليه: اذهب بنعلى فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة.[2] **وروى عثمان ابن عفان أن النبي قال:** من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله. دخل الجنة.[3] **وروى عبد الله بن مسعود أن النبي عليه السلام قال:** من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار. **وقلت**

==

1: الفصل- 3/142-143

2: صحيح الجامع للألباني- رقم 857

3: صحيح مسلم- رقم 26

أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندا دخل الجنة.[1] ورغم ذلك لا يقول أهل السنة أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة، كما تقول المرجئة. ولا يكفرون مرتكب الكبيرة كما يقول الخوارج والمعتزلة، فالكافر عند أهل السنة هو من سماه الله تعالى ورسوله كافرا، ولا يخرج من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه. وأهل السنة مقرون بما جاء به النبي عليه السلام وما تواتر عن صحابته أنهم من أهل الوعيد.

واستدل أهل السنة على ذلك بقوله تعالى: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.**(النساء 116)** لذا فالمشرك لا ترجى له المغفرة، لأن الله نفى عنه المغفرة، وما سوى الشرك من الذنوب في مشيئة الله، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه.

ويعتقد أهل السنة أن التوبة الصادقة تكون سببا لغفران الذنوب، **قال تعالى:** قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم.**(الزمر 53) وقال:** إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا.**(النساء 116) وقال تعالى:** إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون شيئا.**(مريم 60) وقال تعالى:** إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما.**(الفرقان 70)**

أما الخوارج والمعتزلة فيعتقدون أن مرتكب الكبيرة غير التائب من ذنبه، يخلد في النار يعذب لا يخرج منها أبدا، الفرق أن الخوارج يعتبرون مرتكب الكبيرة كافرا وليس مؤمنا. أما المعتزلة فيعتبرونه فاسقا لا كافرا ولا مؤمنا! ويعتقد المعتزلة أن الله يجب عليه أن من أدخله النار لا يخرج منها أبدا، وإنه لو أخرج من وعدهم بالنار إلى الجنة يكون قد خالف وعيده وكذب، وهو ما لا يجوز، لذا قالوا أن من دخل النار خلد فيها إلى أبد الأبدين.

أما أهل السنة فيعتقدون أن الله يغفر لمن يشاء من مذنبي الموحدين، ويعذب من يشاء، **أو كما قال تعالى:** يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.**(آل عمران 129)**

حيث يتفق عليه أهل السنة أنه يوجد حد أدنى من الإيمان إذا ما توافر في القلب مثقال ذرة منه؛ كان وسيلة أخيرة للإنسان للخروج من النار؛ **أو كما قال عليه السلام:** يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير. **وفي رواية:** من إيمان بدل من خير.[2] وخبر النبي عليه السلام ينص أنه

==

1: صحيح البخاري- رقم 4497

2: صحيح البخاري- رقم 44

يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ولم يخص ذلك بأمته، بل ذكر الإيمان مطلقا. وهو مصداقا **لقوله تعالى:** فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره.**(الزلزلة 7)** وهو ما خالفهم فيه الخوارج الذين يقولون بتخليد مرتكب الكبيرة في النار مثله مثل الكافر. واتفقت معهم المعتزلة وقالوا بتخليد مرتكب الكبيرة في النار ولكن بدرجة من العذاب أخف من الكافر، وذلك لأنهم يضعونه في منزلة بين منزلتين فلا هو كافر ولا هو مؤمن بل هو فاسق، والفاسق عندهم مثل الكافر يخلد في النار بكبيرته إن لم يتب عنها قبل الموت. ولكن في درجة من العذاب أخف؛ لأنه ليس بكافر وبالطبع ليس بمؤمن!

أما أهل السنة فمتفقون على أن المؤمن مرتكب الكبيرة غير التائب أمره موكول إلى الله؛ قد يغفر له بفضله ويرحمه، أو لا يغفر له ويدخله النار بعدله فيعذبه ما شاء من الزمن، ثم يخرجة في النهاية من النار طالما كان في قلبة مثقال ذرة من إيمان ويدخله الجنة.

مع التأكيد على أن فعل الله هذا لا يخالف فيه عدله أبدا بحال. وهو ما لم تقبله المعتزلة وقالت أنه يخالف عدله؛ وأن فعل هذا من الله -على حد تعبيرهم- هو فعل قبيح لا يجوز على الله أن يفعله بل يستحيل أن يفعله، لأنه بفعله هذا يخلف وعيده مما قضى بعذاب مرتكب الكبيرة مخلدا في النار. وهذا أصل من أصول المعتزلة الخمسة التي يدينون بها إلى الله؛ ومن لا يقر بهذا فهو عندهم ليس من أهل العدل والتوحيد كما يصفون أنفسهم.

ويعتقد أهل السنة أن لا أحد يدري ما ختم له به، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار؛ لأن ذلك مغيب عنهم، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان. ويشهد أهل السنة أن من ماتوا على الإسلام فعاقبتهم الجنة؛ إلا من سبق القضاء عليهم من الله أنهم يعذبون في جهنم مدة لذنوبهم التي اكتسبوها ولم يتوبوا منها؛ فإنهم يردون أخيرا إلى الجنة، ولا يبقى أحد في النار من المسلمين؛ فضلا من الله ومنة. ومن مات على الكفر فمرده إلى النار، لا ينجو منها، ولا يكون لمقامه فيها منتهى.[1]

==

1: الصابوني- عقيدة السلف- ص 286-287

الرد على المعتزلة في الوعد والوعيد

أهل السنة يتفقون مع المعتزلة على أن الله لا يخلف وعده لا محالة، ويخالفونهم في الوجوب على الله؛ وأنه ليس في مقدوره أن يغيره أو يبدله. فالله يفعل ما يشاء؛ وإرادته كاملة ومشيئته مطلقة، وأنه يفي بوعده **وهو القائل:** ومن أوفى بعهده من الله.**(التوبة 111)** لا لأنه واجب عليه.

أما وعيده العاصين؛ فيذهب أهل السنة أنه لا يجب وقوعه؛ فإن الله قد يوقعه بهم عدلا، وقد يعفو عنهم فضلا؛ فيرفع عنهم العقوبة كاملة، أو يخفف منها، وليس في ذلك إخلاف للميعاد. فقد اتفق أهل السنة أن الله لا يجب عليه شئ؛ وأن الطاعات وعمل الصالحات من العبد لا يلزم عليها الثواب، ولا يجب على الله أن يدخل صاحبها الجنة. وأن العبد لا يدخل الجنة إلا بفضل الله ورحمته لا بعمله. وأنه لا يجب على الله إدخال العصاة النار؛ وإنما يدخل النار من يشاء بعدله، أو لا يدخلها برحمة وفضل من الله؛ فلا وجوب على الله ؛ فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير.**(البقرة 284)** والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.**(النساء 48)** ويؤمنون أن المشرك مصيره جهنم؛ لا لأنه يجب على الله أن يدخله النار؛ بل لأن الله أخبرنا بأنه شاء أن يدخل الكافر النار. كما يؤمنون أن الله يدخل المؤمن الجنة؛ لا لأنه يجب على الله أن يدخل المؤمن الجنة؛ بل لأن الله أخبرنا بأنه شاء أن يدخل المؤمن الجنة. وعند أهل السنة أن مرتكب الكبيرة الذي مات دون توبة؛ فإن أمره موكل إلى الله؛ إن شاء غفر وإن شاء عذب، وإن شاء عذبه بقدر معصيته ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة.

وقال أهل السنة أن الله لا يخل بما أوجب به نفسه؛ ولا موجب عليه إلا نفسه؛ والمتفضل مختار بما تفضل به. أما تنزهه سبحانه عن الظلم مع قدرته عليه؛ لا يعني أو يستلزم إيجاب شئ على الله؛ فهو فعال لما يريد، وقد أراد العدل والرحمة للعباد وتعفف عن الظلم وتنزه عنه بمشيئته. **فإن قيل:** إن هذا إيجاب عليه سبحانه؟ **قلنا:** هذا إيجاب عليه منه ولا يمس ذلك التوحيد بشئ، كما لا يتعارض ذلك مع خصائصه وصفاته العلية.[1]

وأما الإيجاب على الله بالقياس على خلقه فباطل وقول مبتدع. فكتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم، وليس لأحد حق عليه؛ وما أحقه الله لأحد فهو من فضله وإحسانه؛ لا من باب المعاوضة؛ وأن الباري لكونه إله وربا وخالقا ومالكا له تعالى التصرف المطلق فيما شاء من مخلوقاته، فاعلا لما يريد. **يقول ابن تيمية:**

==

1: القضاء والقدر- فاروق الدسوقي- ص 375

وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى والتحريم بالقياس على خلقه؛ فهو قول القدرية؛ وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول، وصريح المعقول. وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شئ وربه ومليكه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئا؛ ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب **قال:** إنه كتب على نفسه الرحمة على المخلوق. فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير، وهو الخالق لهم، وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح، ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم: أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير على المستأجر، فهو جاهل في ذلك. وإن كان كذلك لم تكن الوسيلة إليه إلا منّ به من فضله وإحسانه، والحق الذي لعباده؛ هو من فضله وإحسانه ليس من باب المعاوضة، ولا من باب ما أوجبه غيره عليه، فإنه سبحانه يتعالى عن ذلك.[1] والإيجاب على الله ينافي مشيئته واختياره المطلق في مخلوقاته.

ويعتقد أهل السنة: أن المخلوق أقل وأعجز من أن يوجب على خالقه شئ؛ وأن الله لا يجب عليه إلا ما أوجبه على نفسه؛ ويعتبر بذلك متفضلا بما أوجب؛ والمتفضل مختار بما تفضل به؛ **قال تعالى:** كتب على نفسه الرحمة.**(الأنعام 12) وقال:** وكان حقا علينا نصر المؤمنين.**(الروم 47)** كل هذا قضى الله به وجعله واجبا؛ وكوّنه حقا؛ فوجب ذلك منه لا عليه؛ فليس لأحد على الله حق؛ ولا يضيع لديه سعي. ولا يعقل أن للمخلوق أن يقول: يجب على الله أن يفعل كذا. فيا ليت شعري من أوجب على الله هذا الذي قضي بوجوبه عليه؛ ولابد لكل وجوب وإيجاب من موجب ضرورة، وإلا كان يكون فعلا لا فاعل له، وهذا كفر؛ فمن هذا الموجب على الله حكما ما؟ وأف لكل عقل يقوم فيه أنه حاكم على خالقه ومحدثه؛ بعد أن لم يكن، ومرتبه على ما هو عليه، ومصرفه على ما يشاء. وإما أن يكون الله تعالى أوجب ذلك على نفسه بعد أن لم يزل غير موجب له على نفسه. وهذا الحق ولذلك كان مباحا له تعالى أن يعذب من لم يقدره على ترك ما عذبه عليه، وعلى خلاف سائر ما ذكرت أنه أوجبه على نفسه، وإذا وجب ذلك على نفسه بعد أن لم يكن واجبا عليه؛ فممكن له أن يسقط ذلك الوجوب عن نفسه، وأما أن يكون تعالى لم يزل موجبا ذلك على نفسه؛ فإن قال بهذا لزمته عظيمتان مخرجتان له عن الإسلام وعن جميع الشرائع؛ وهما أن الباري لم يزل فاعلا، ولم يزل فعله معه؛ لأن الإيجاب فعل، ومن لم يزل موجبا فلم يزل فاعلا؛ وهذا قول أهل الدهر نفسه.

ورد عليهم: بأن أهل السنة لا ينازعونهم في دلالة الآية على الوجوب؛ ولكنهم يخالفونهم في كونه من حكم

==

1: اقتضاء الصراط المستقيم- ص 409-410

الاستحقاق؛ وكونه من باب التفضل والكرم. فالناس ليسوا خدما لله بل عبيدا له؛ واشتغال العبد بالطاعة لا يكون علة لاستحقاق الثواب على الله؛ فلا يستوجب للإنسان بعمله على الله شيئا. ولهذا لا ظلم من الله لعده عندما لا يثيبه على عمله؛ لأن الظلم هو منع واجب مستحق للغير؛ والعبد لا يستحق عليه الله شيئا. وإذا تفضل الله وأوجب على نفسه ثوابا لعبده؛ فهذا يفعله بمشيئته ولا يمنعه من ذلك مانع. وأنه إذا وعد سبحانه بشئ كان وقوعه واجبا بحكم وعده؛ فهو تعالى الصادق في خبره الذي لا يخلف الميعاد.

***

الإيمان بأسماء الله وصفاته

الله تعالى هو أعظم وأجل وأكبر معلوم، ولذلك كان العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأشرفها وأعظمها، فمن عرف الله عرف ما سواه ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل، فالعلم بالله أصل كل علم؛ وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته.[1]

وتعبر مشكلة الصفات من أهم المشاكل الكلامية على الإطلاق وأعظمها تشعبا وأكثرها مثارا للخلاف وتنازع الآراء بين الفرق المختلفة من مثبتين ونفاه، حتى إنه من غير المبالغة أن نقول إنهما هي المحور الذي تدور عليه مباحث علم الكلام كله تقريبا. فهي متصلة بمسألة التوحيد الذي هو المطلب الأقصى لهذا العلم، كما أن لها تعلقا بمسألة قدم العالم وحدوثه ومسألة الاختيار والجبر وما إلى ذلك من المسائل التي لا تهم علم الكلام وحده؛ بل هي من صميم البحث الفلسفي أيضا.[2] ويستلزم الإيمان بالله الإيمان بأنه تعالى لا يُوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله عليه السلام، وذلك على الوجه اللائق به تعالى من جهة الكمال والجلال، وعلى نحو ما أراده الله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل. **قال تعالى:** ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها.**(الأعراف 180) وقال:** وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم.**(الروم 27)**

==

1: مفتاح دار السعادة- 86/1

2: باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الالهيات- ص 92

مجمل اعتقاد أهل السنة في باب صفات الله

يعتقد أهل السنة أن الله تعالى يوصف بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث. وحمل تلك الصفات على الحقيقة لا المجاز، يؤمنون بها من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. وأنه سبحانه له ذاته حقيقية، وله صفات حقيقية، وله أفعال حقيقية، ومع ذلك ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. وكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فإن الله منزه عنه حقيقية.[1] **قال الشافعي:** لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته، لا يسع أحدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يُدرك بالعقل، ولا بالرؤية والفكر، ولا نكفر بالجهل بها أحدا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ونثبت هذه الصفات، وننفي عنها التشبيه كما نفاه عن نفسه فقال: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.**(الشورى 11)**.[2] **ويقول البيهقي:** هذا هو مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في هذا الباب، ولم يرد عن أحد منهم أنه أوّل شيئا من صفات الله عز وجل.[3]

قال ابن تيمية: والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ويُحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوما أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.[4]

ويعتقد أهل السنة أن تأويل صفات الله هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمها. ويكفي أن يفهموا معاني ما خوطبوا به، ويفهموا من كلام الله ما قصد إفهامهم إياه، من كل القران لا من بعضه دون بعضه. ويمروها كما جاءت بلا كيف. ويعتقدون إن الله قد نفى عن نفسه مماثلة مخلوقاته في شيء.. أي شيء. **فقال تعالى:** ولم يكن له كفوا أحد.**(الإخلاص 4) وقال:** ليس كمثله شيء.**(الشورى 11) قال تعالى:** هل تعلم له سميا.**(مريم 65)** فأنكر أن يكون له سميّ. **وقال تعالى:** فلا تجعلوا لله أندادا.**(البقرة 22)** فأنكر أن يكون له ندا. ونهى عن ضرب الأمثال له، **وقال:** فلا تضربوا لله الأمثال.**(النحل 74)** فأنكر أن يكون له مثل، فلا مثيل له تعالى في ذاته ولا في

===

1: الفتوى الحموية الكبرى- ص 91-93

2: اجتماع الجيوش الإسلامية- ص 242-243

3: أسماء الله وصفاته المعروف بالأسماء والصفات- ص 29

4: مجموع الفتاوى- 5/58-59

صفاته، ولا في أفعاله. فالقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. فصفات الله تناسب ذاته وتليق به، كما تتناسب صفات العبد مع ذاته وتليق به، **ولهذا قال بعضهم:** إذا قال لك السائل: كيف ينزل؟ أو كيف استوى؟ أو كيف يعلم؟ أو كيف يتكلم ويقدر ويخلق؟ **فقل له:** كيف هو في نفسه؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفية ذاته. فقل له: وأنا لا أعلم كيفية صفاته، فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف. لذا فإن المشهور بين أهل السنة والجماعة أنه لا يقال في صفات الله "كيف"؟ ولا في أفعاله "لم"؟.[1]

حيث يعتقد أهل السنة أن من يقال له كيف؟ هو من لم يكن ثم كان، ولكن الذي لا يحول ولا يزول، ولم يزل، وليس له مثل، فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو، وكيف يعرف قدر من لم يبد ومن لم يمت ولا يبلى، وكيف يكون لصفة شئ منه حد أو منتهى؟ فتأويل صفات الله هو الحقيقة التي انفرد بعلمها الله، أو هو الكيف المجهول الذي **قال فيه السلف كمالك بن أنس وغيره:** الاستواء معلوم، والكيف مجهول. فالاستواء معلوم يعلم معناه وتفسيره ويترجم بلغة أخرى، وأما كيفية ذلك الاستواء؛ فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

وروي عن ابن عباس أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل؛ من ادعى علمه فهو كاذب.[2]

هذا هو موقف أهل السنة وأئمتهم من السلف تجاه النصوص المذكور فيها الله وما يخص ذاته وأسمائه، يأخذونها على ظاهرها مع نفى التشبيه، ومماثلتها بصفات المخلوقين، وينكرون على المشبهة الذين يقولون أن اليد جارحة أو يد كيدي، وقدم كقدمي، ونزول كنزولي، واستواء كاستوائي ونحو ذلك. فهذا ثابت صريح عن غير واحد من السلف، وأئمة السنة. ولا يُعرف عن أحد من السلف وأئمة الإسلام المعروفين أنه **قال:** إن الله تعالى: جسم أو أنه جوهر أو متحيز، ولا قال إنه ليس بجسم ولا جوهر ولا متحيز، ولا قال هو في جهة، ولا ليس في جهة، فهذه الألفاظ نفيا وإثباتا لا توجد في القرآن والحديث، لذا لا يوجد ذكر نفيها ولا إثباتها في كلام أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من أئمة المسلمين المعروفين بالإمامة في الدين. **ولا يُعرف أيضا عن أحد من السلف أنه قال:** إن مراد الله تعالى منها غير ظاهرها؛ فضلا عن أن يقول يجب القطع بشئ، بل لفظ الظاهر مجمل؛ فقد يراد بالظاهر ما يماثل صفات المخلوقين، فهذا هو الذي نفاه

==

1: بيان تلبيس الجهمية- 3/2

2: الفتوى الحموية- ص 291

السلف، كما دل الكتاب على معنى ذلك. ويلاحظ أن مشركي العرب قد أنكروا المعاد. وناظروا النبي عليه، بخلاف الصفات فإنهم لم ينكروا منها شيئا، فعلم من هذا أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات. أما الصحابة سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيمانا، فإنهم قد تنازعوا في الكثير من مسائل الأحكام، ولكنهم لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على اثبات ما نطق به الكتاب والسنة على كل حال، فكلمتهم واحدة من أولهم إلى آخرهم لم يسموها تأويلا، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا، ولم يبدوا لشئ منها إبطالا، ولا ضربوا لها مثالا.. ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها. بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوا القرآن عضين، فأقروا ببعض آيات الصفات وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه، كاللازم لهم فيما أقروا به وأثبتوه.[1] **يقول المقريزي:** من أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي، ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقم عن أحد من الصحابة -رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم- أنه سأل رسول الله لله عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه.. إلى أن قال: ولا فرّق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلل والجود والعز والعظمة، وساقوا الكلام سوقا واحدا، وهكذا أثبتوا رضي الله عنهم ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك، مع نفي مماثلة المخلوقين، فأثبتوا بلا تشبيه، ونزهوا من غير تعطيل، ولم يتعرض مع ذلك أحدهم إلى شيء من هذا ورأوا بإجاعهم إجراء الصفات كما وردت.[2]

ويعتقد أهل السنة أنه لا يجوز أن يُعتقد أن الله وُصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها، فلم يزل تعالى موصوفا بصفات الكمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده. ولا يُعترض على هذا بالصفات الاختيارية ونحوها من صفات الفعل، مثل: الخلق والإحياء والإماتة، والقبض والبسط، والغضب والرضى، والحب والكراهية، والاستواء والإتيان والمجيء والنزول، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله. وإن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت، لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلما بالأمس،

==

1: لوامع الأنوار- السفاريني- 6/1

2: الخطط والآثار- 356/2

لا يقال: أنه حدث له الكلام، ولو كان غير متكلم، لأنه لآفة كالصغر والخرس، ثم تكلم يقال: حدث له الكلام. فالساكت لغير آفة يسمى متكلما بالقوة، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء، وفي حال تكلمه يسمى متكلما بالفعل، وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب الفعل، ولا يخرج عن كونه كاتبا في حال عدم مباشرته الكتابة هو كاتب بالفعل، ولا يخرج عن كونه كاتبا في حال عدم مباشرته الكتابة.[1] وهكذا فإن الله تعالى لم يكن معطلا عن كماله قط في أي زمن من الأزمان، من الكلام والإرادة والفعل. وأن فعله تعالى وإرادته متلازمان، فما أراد أن يفعل فعل، وما فعله فقد أراده.

***

الصفات الثبوتية والصفات السلبية:

عند أهل السنة صفات الله تعالى تنقسم إلى صفتين: سلبية وثبوتية.

الصفات الثبوتية: هي الصفات التي أثبته الله لنفسه في القرآن والسنة، وهي جميعها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه. منها: العلم والحياة والحكمة والكبرياء والاستواء وغيرها.

والصفات السلبية: هي الصفات التي نفاها الله سبحانه عن نفسه في القرآن والسنة وكلها صفات نقص في حقه. ومثالها: النوم والموت والجهل والنسيان والعجز والظلم.

وقد أثبت الله تعالى في القرآن لنفسه صفات سلبية، فقال تعالى: لا تأخذه سنة ولا نوم.**(البقرة 255) وقال:** وتوكل على الحي الذي لا يموت.**(الفرقان 58) وقال:** وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض.**(فاطر 44) وقال:** وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. **(العنكبوت 40) وقال:** ولا يظلم ربك أحدا. **(الكهف 49)** وكل نفي ينفيه الله تعالى عن نفسه، يثبت من خلاله كماله، فنفي أخذ السنة والنوم والموت يتضمن كمال حياته وقيوميته، ونفي الظلم يضمن كمال عدله، ونفي العجز يضمن كمال قدرته ومطلق قوته.ويؤكد أهل السنة أن إثبات الصفات قد جاء في كتاب الله مفصلا والنفي مجملا، عكس طريقة المعتزلة المذمومة، فإنهم يأتون بالنفي مفصلا والإثبات مجملا، وقد أجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم، ولا شخص ولا جوهر ولا عرض، ولا بذي لون وطعم ولا رائحة ولا مجسة، ولا بذي حرارة ولا رطوبة ولا يبوسة، ولا طول ولا عرض ولا

==

1: شرح العقيدة الطحاوية- ص 125

عمق، ولا اجتماع ولا افتراق، ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض، وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء، وليس بذي جهات، ولا بذي يمين ولا شمال وأمام وخلف وفوق وتحت، ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان، ولا يجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم، ولا يوصف بأنه متناه، ولا يوصف بمساحة ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الحواس، ولا يقاس بالناس، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه. ولا تجري عليه الآفات ولا تحل به العاهات، وكل ما خطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه له.[1]

وفي الواقع فإن في جملة ما ذكروه حق وباطل، ولكن هذا النفي المجرد فيه إساءة أدب، لأنك لو قلت لملك أو أمير، أنت لست بزبال ولا دلال لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقا. وإنما يكون المدح إذا أجملت النفي فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك أنت أعلى منهم وأشرف وأجل، فإن أجملت في النفي أجملت في الأدب، أما المعطلة فناقضوهم فجاءوا بنفي مفصل وإثبات مجمل، ويبقى التعبير عن الحق يكون دائما بالالفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة. والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات، ولا يتدبرن معانيها، ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده.[2]

ويعتقد أهل السنة أن صفات الله الثبوتية من جهة تعلقها بالله إلى قسمين:

صفات ذاتية، وصفات فعلية.

أما الصفات الذاتية: فهي التي لا تنفك عن ذات الله، وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفا بها، وأنها ملازمة لذات الله. **ومنها:** العلم والحياة والقدرة والعزة والحكمة والوجه واليدين والعين.

أما الصفات الفعلية: وهي التي تنفك عن الذات، وهي تتعلق بالمشيئة والقدرة، على معنى ان الله إذا شاء فعلها وإذا لم يشأ لم يفعلها. **ومنها:** الخلق والرزق والعدل والاستواء والمجيء والنزول والإتيان.. وكلا القسمين يجتمعان في أنهما صفات لله أزلا وأبدا لم يزل ولا يزال متصفا بها ماضيا ومستقبلا بما يليق بجلال الله وكماله.

==

1: الأشعري- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين- 235/1

2: ابن أبي العز- شرح العقيدة الطحاوية- ص 58

الصفات الخبرية:

الصفات الخبرية أو السمعية هي ما كان الدليل عليها مجرد النص، كاستوائه تعالى على العرش ونزوله إلى سماء الدنيا ومجيئه يوم القيامة وكمحبته ورضاه عن المؤمنين وسخطه وغضبه على الكافرين، وكالوجه واليد والعين والقدم وغير ذلك مما جاء به الكتاب واستفاضت به أحاديث النبي الصحيحة. وشعار أهل السنة في ذلك أنهم يثبتون كل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

قال البيهقي: فلله عز اسمه أسماء وصفات، وأسماؤه صفاته، وصفاته أوصافه، وهي على قسمين: أحدهما صفات ذات، والآخر صفات فعل. صفات ذات: هو ما يستحقه تعالى فيما لم يزل ولا يزال، وهو على قسمين: أحدهما عقلي، والآخر سمعي. **العقلي: ما كان طريق إثباته أدلة العقول مع ورود السمع به، وهو على قسمين: أحدهما:** ما يدل خبر المخبر به عنه، ووصف الواصف له به على ذاته، كوصف الواصف له بأنه شيء ذات موجود قديم إله ملك قدوس جليل عظيم عزيز متكبر، والاسم والمسمى في هذا القسم واحد.

والثاني: ما يدل خبر المخبر به عنه ووصف الواصف له به على صفات زائدات على ذاته قائمات به، وهو كوصف الواصف له بأنه حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم باق، فدلت هذه الأوصاف على صفات زائدة على ذاته قائمة به كحياته وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه وبقائه، والاسم في هذا القسم صفة قائمة بالمسمى، لا يقال إنها هي المسمى ولا أنها غير المسمى.

وأما السمعي: فهو ما كان طريق إثباته الكتاب والسنة فقط، كالوجه واليدين والعين، وهذه أيضا صفات قائمة بذاته لا يقال فيها إنها هي المسمى ولا غير المسمى، ولا يجوز تكييفها فالوجه له صفات وليست بصورة، واليدان له صفتان وليستا الجارحتين، والعين له صفة وليست بحدقة، وطريق إثباتها له صفات ذات ورود خبر الصادق به. وأما صفات فعله فهي تسميات مشتقة من أفعاله ورد السمع بها مستحقة له فيما لا يزال دون الأزل، لأن الأفعال التي اشتقت منها لم تكن في الأزل، وهو كوصف الواصف له بأنه خالق رازق محيي مميت منعم مفضل، فالتسمية في هذا القسم إن كانت من الله فهي صفة قائمة بذاته، وهي كلامه لا يقال إنها المسمى، ولا غير المسمى وإن كانت التسمية من المخلوق فهي فيها غير المسمى ومن أصحابنا من ذهب إلى أن جميع أسمائه لذاته الذي له صفات الذات وصفات الفعل، فعلى هذا الاسم والمسمى في الجميع واحد والله أعلم.[1]

==

1: الاعتقاد- ص21-22

أسماء الله توقيفية:

أسماء الله توقيفية يعني لا نثبت منها إلا ما ثبت بآية من كتاب الله أو حديث صحيح عن النبي عليه السلام. **قال أهل التفسير:** من الإلحاد في أسمائه تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة.[1] **وقال البغوي:** قال أهل المعاني الإلحاد في أسماء الله تسميته بما لم يتسم به ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.[2] **وقال ابن القيم:** أسماء الله الحسنى.. لا يقال هي غيره ولا هي هو، وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون أسماؤه غيره وهي مخلوقة، ولمذهب من ورد عليهم ممن يقول اسمه نفس ذاته لا غيره.[3] وجدير بالذكر أنه لم يصح حديث يجمع أسماء الله الحسنى كلها. **ومن الأسماء التي لم نقف لها على دليل:** الخافض- الرافع- المعز- المذل- العدل- الجليل- الباعث- المحصي- المبدي- المعيد- المحيي- المميت- الواجد- الماجد- الوالي- المنتقم- مالك الملك- ذو الجلال والإكرام- المقسط- الجامع- المغني- المانع- الضار- النافع- النور- الهادي- البديع- الباقي- الرشيد- الصبور- الحنان- البادىء- الكافي- المغيث- الدائم- الصادق- القديم- الفاطر- العلام- المدبر- ذو المعارج- ذو الطول- ذو الفضل- الرفيع.وإن كان ابن تيمية تكلم بإثبات اسم النور والهادي.[3]

الله من يسمي نفسه:

يعتقد أهل السنة أنه لا يحل لأحد أن يسمي الله عز وجل بغير ما سمى به نفسه ولا أن يصفه بغير ما أخبر به تعالى عن نفسه، **قال عز وجل:** وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِه.**(الأعراف180)** فمنع الله تعالى أن يسمى إلا بأسمائه الحسنى وأخبر أن من سماه بغيرها فقد ألحد.

لا يجوز اشتقاق إسما لله من أفعاله:

يعتقد أهل السنة أنه لا يحل لأحد أن يشتق لله تعالى اسمًا لم يسم به نفسه. **دليله:** أنه **تعالى قال:** وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا.**(الشمس 5)**، **وَقَالَ:** وَأَكِيدُ كَيْدًا.**(الطارق 16)**، **وَقَالَ تَعَالَى:** ويمكرون ويمكرُ الله والله خير الماكرين. **(الأنفال 30)** ولا يحل لأحد أن يسميه البناء ولا الكياد ولا الماكر ولا المتجبر ولا المستكبر ولا حتى على سبيل المجاز، ومن ادعى غير هذا فقد ألحد في أسمائه تعالى.

==

1: ابن حجر- فتح الباري- 221/11

2: معالم التنزيل- 307/3

3: لوامع الأنوار- 29/1

4: انظر مجموع الفتاوى- 382/6

هل الإسم هو المسمى أم الاسم غير المسمى؟

غالبية أهل السنة على أنه: لا يقال في أسماء الله أنها هو ولا أنها غيره، بل هي دالة عليه. **قال الشافعي:** إذا سمعت الرجل يقول الإسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة.. **ومن قال بهذا احتج بقوله تعالى:** بغلام اسمه يحيى.**(مريم 7)** فأخبر أن اسمه يحيى، ثم قال يا يحيى فخاطب اسمه فعلم أن المخاطب يحيى وهو اسمه هو. ولذلك **قال**: ما تعبدون من دونه إلا أسماء..**(يوسف 40)** وأراد المسميات. **وقال:** تبارك اسم ربك.**(الرحمن 78)** **كما قال:** تبارك الذي نزل الفرقان.**(الفرقان 1)** **وكما قال:** تبارك الذي بيده الملك.**(الملك1)** **قال الشافعي:** ولو كان اسمه غيره أو لا هو المسمى، لكان القائل إذا قال: عبدت الله- والله اسمه- أن يكون عبد اسمه إما غيره أو ما لا يقال إنه هو، وذلك محال **وقوله:** إن الله تسعة وتسعين اسما. معناه تسميات العباد لله، لأنه في نفسه واحد.[1]

وذهب فريق آخر إلى أن الإسم غير المسمى وردوا على من قالوا الاسم هو المسمى واستدلوا بقوله تعالى: إن الله يبشرك بغلام اسمه يحيى.. **قالوا:** وهو نص لا يحتمل التأويل في أن الاسم هو: الياء والحاء والياء والألف، ولو كان الاسم هو المسمى، لما عقل أحد معنى قوله: لم نجعل له من قبل سميا. ولا فهم ولكان فارغا حاشا لله من هذا، ولا خلاف في أن معناه لم يطلق هذا الاسم على أحد قبله.

وقوله: وعلم آدم الأسماء كلها. نص جلي على أن الأسماء كلها غير المسميات، لأن المسميات كانت أعيانا قائمة وذوات ثابتة تراها الملائكة، وإنما جعلت الأسماء فقط التي علمها الله آدم وعلمها آدم الملائكة.

وأن قوله: تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام.**(الرحمن 78)** فحق ومعنى تبارك تفاعل من البركة، والبركة واجبة لاسم الله الذي هو كلمة مؤلفة من حروف الهجاء، ونحن نتبرك بالذكر له وبتعظيمه ونجله ونكرمه، فله التبارك وله الإجلال منا ومن الله وله الإكرام من الله ومنا حيثما كان من قرطاس أو في شيء منقوش فيه أو مذكور بالألسنة، ومن لم يجل اسم الله كذلك ولا أكرمه فهو كافر بلا شك، فالآية على ظاهرها دون تأويل.

وقوله: ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم. **(يوسف 40)** فقوله حق على ظاهره، فصح يقينا أنه تعالى لم يعن بالأسماء ها هنا ذوات المعبودين؛ لأن العابدين لها لم يحدثوا قط ذوات المعبودين، بل الله توحد بإحداثها هذا ما لا شك فيه. والوجه الثاني: أن أولئك الكفار إنما كانوا يعبدون أوثانا من حجارة أو بعض المعادن أو من خشب، وبيقين ندري أنهم قبل أن يسموا تلك الجمل من الحجارة والمعادن ومن

==

1: الاعتقاد- ص22-24

الخشب؛ باسم اللات والعزى ومناة وهبل وود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وبعل، قد كانت ذواتها بلا شك موجودات قائمة، وهم لا يعبدونها ولا تستحق عندهم عبادة، فلما أوقعوا عليه هذه الأسماء عبدوها حينئذ، فصح يقينا أنهم لم يقصدوا بالعباد إلا الأسماء كما قال تعالى لا الذوات المسميات، فعادت الآية حجة عليهم وبرهانا على أن الاسم غير المسمى.[1]

قالوا: ويدل على أن الاسم غير المسمى قول عائشة: ما أهجر إلا اسمك. بيانا أن الاسم غير المسمى وأن اسمه عليه السلام غيره، لأنها أخبرت انها لا تهجره وإنما تهجر اسمه. **نص الحديث أنه عليه السلام قال لعائشة:** إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى. قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت علي غضبى، قلت: لا ورب إبراهيم. قالت: قلت: أجل، والله –يارسول الله- ما اهجر إلا اسمك.[2] **قالوا:** ولا خلاف في أن الاسم هو كلمة من الكلام، وأن المسمى ليس كلمة.

واحتج من قالوا أن الاسم هو غير المسمى بقوله تعالى: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها. **(الأعراف 180) قالوا:** والله واحد والأسماء كثيرة، وقد تعالى الله عن أن يكون اثنين أو أكثر. **وقال عليه السلام:** إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا؛ من أحصاها دخل الجنة.[3]

قالوا: ومن قال ان خالقه أو معبوده تسعة وتسعون؛ فهو شر من النصارى الذين لم يجعلوه إلا ثلاثة. **وقوله تعالى:** قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى. **(الإسراء 110)** وهذا ما لا حيلة لهم فيه، لأن لفظة الله هي غير لفظة الرحمن بلا شك، وهي بنص القرآن أسماء الله تعالى والمسمى واحد لا يتغاير بلا شك. **واستدلوا بقوله تعالى:** ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه. **(الأنعام 121) قالوا:** وهذا بيان أيضا جلي مجمع عليه من أهل الإسلام أن الذي عنده التذكية فهو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة مثل الله والرحمن والرحيم، وسائر أسمائه عز وجل. **يقول ابن حزم:** ذات الخالق هي الله المسمى، والتسمية: هي تحريكنا عضل الصدر واللسان عند نطقنا بهذه الحروف، وهي غير الحروف، لأن الحروف هي الهواء المندفع بالتحريك، فهو المحرك بفتح الراء، والإنسان هو المحرك بكسر الراء، والحركة هي فعل المحرك في دفع

===

1: الفصل- ابن حزم- 5/19-20

2: خرجه البخاري في صحيحه عن عائشة- رقم 5228

3: صحيح البخاري عن أبي هريرة- رقم 7392

المحرك، وهذا أمر معلوم بالحس مشاهد بالضرورة، ومتفق عليه في جميع اللغات. **قال ابن حزم:** واحتجوا من طريق النظر بأن قالوا: أنتم تقولون أن اسم الله تعالى هو الله نفسه، ثم لا تبالون بأن تقولوا أسماء الله تعالى مشتقة من صفاته فعليم مشتق من علم وقدير مشتق من قدرة، وحي من حياة، فإذا اسم الله هو الله واسم الله مشتق، فالله تعالى على قولكم مشتق، وهذا كفر بارد، فصحت البراهين المذكورة من القرآن والسنة والإجماع والعقل واللغة والنحو على أن **الإسم غير المسمى بلا شك.**[1]

والصحيح: أن القول بخلاف الاسم أهو المسمى أم غيره، هو خلاف حادث لم يرد في الكتاب ولا السنة، ولا يرد عن السلف. وهذا السؤال فيه إجمال، فلا يجاب بإطلاق إنما يفصل في ذلك، ويقال: الاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده ونحو ذلك، فهذا المراد به المسمى نفسه. وإذا قلت الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحمن من أسماء الله ونحو ذلك، فالاسم هنا للمسمى ولا يقال غيره، لما في لفظ الغير من الإجال. فإذا أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد الله كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله.[2]

***

الرد على الفلاسفة والمعتزلة نفاة الصفات

رأينا كيف يُثبت أهل السنة لله تعالى كل ما ثبت عنه بنص الكتاب والسنة، ويؤمنون بذلك بلا حرج ولا تحرج، وما نفي عن الله في القرآن والسنة نفوه، وما سكت نص القرآن والسنة عنه أمسكوا عن الخوض فيه وسكتوا عنه. وبالطبع لا يعقل أن يكون رؤساء المعتزلة وغيرهم من الفرق المبتدعة في الدين أعلم من الصحابة وتابعيهم، كما قال بعض الأغبياء ممن لم يقدرهم حق قدرهم. فهؤلاء كانوا ينظرون إلى الصحابة وتابعيهم على أنهم مجرد جهلاء أميين لا يعلمون إلا الإيمان المجرد بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك. وبالطبع هذا جهل وكذب وافتراء، فإن الصحابة أعلم الناس بعد النبي عليه السلام بكتاب الله وشرعه ومنهاجه، فالصحابة قد أخذوا عن رسول الله ألفاظ القرآن ومعانيه، وكانت عنايتهم بأخذ المعاني أكبر وأعظم من عنايتهم بالألفاظ. فصحابته عليه السلام من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين تبعوهم بإحسان هم الذين بهم

==

1: الفصل- 5/22-23

2: كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري- ص 87-88/ وشرح العقيدة الطحاوية- ص79

قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، هم الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة.

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة -لاسيما العلم بالله وأحكام آياته وأسمائه- من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان، وورثة المجوس والمشركين، وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم؛ أعلم بالله من ورثة الأنبياء والقرآن والإيمان؟[1]

وجاء في صحيح مسلم: إن بعض المشركين قالوا لسلمان الفارسي: لقد علمكم نبيكم كل شئ حتى الخِراءِةِ. **قال سلمان:** أجل..[2] والخِراءَةَ: آداب الغائط. **ويعلق ابن القيم على هذا بقوله:** ومن المحال أن يكون صلى الله عليه وسلم قد علمهم آداب الغائط، قبله وبعده ومعه، وآداب الوطء والطعام والشراب، ويترك أن يعلمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدون بقلوبهم في ربهم ومعبودهم الذي معرفته غاية المعارف، والوصول إليه أتم المطالب، وعبادته وحده لا شريك له أقرب الوسائل، ويخبرهم بما ظاهره ضلال وإلحاد، ويحيلهم في فهم ما أخبره به عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله على مستكرهات التأويل، وما تحكم به عقولهم.. فكيف يتوهم من لله ورسوله في قلبه وقار أن يعتقد أن رسول الله قد أمسك عن بيان هذا الأمر العظيم ولم يتكلم فيه بالصواب؟ معاذ الله، بل لا يتم الإيمان إلا بأن يعتقد أن رسول الله قد بين ذلك أتم البيان واوضحه غاية الإيضاح، ولم يدع بعده لقائل مقالا ولا لمتأول تأويلا.[3]

أما المعتزلة ومن تابعهم فينفون الصفات ويرون امتناع قيام الصفات بالله، وذلك لاعتقادهم أن الصفات أعراض، وأن قيام العرض به يقتضي حدوثه، فردوا جميع ما يضاف إلى الله إلى إضافة خلق، أو إضافة وصف من غير قيام معنى به؛ لأنهم يقولون إنما الصفات مجرد العبارة التي يعبر بها عن الموصوف، وينفون أن يكون لله وصف قائم به على أو قدرة أو إرادة أو كلام.[4] وقد أخذ المعتزلة عن الجهمية قولهم في نفي الصفات، فكان **واصل ابن عطاء يقول:** إن من أثبت لله تعالى معنى أو صفة قديمة فقد أثبت إلهين.[5] إلا إن قول واصل

==

1: ابن تيمية- الفتوى الحموية الكبرى- ص 212-215

2: صحيح مسلم- رقم 262

3: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية- ص 19-20

4: مجموع الفتاوى- 335/3

5: الشهرستاني- الملل والنحل- 53/1

كان غير ناضج؛ أما المعتزلة الذين خلفوه فبعد اطلاعهم على كتب الفلاسفة قد توسعوا في هذه المسألة، وتوصلوا إلى نتائج وحلول أخرى. وكان هؤلاء الفلاسفة يرن أن الله واحد من كل وجه، فنفوا صفات الباري الذين يزعمون أنها زائدة عن الذات، فقالوا إن الله عليم بذاته لا بعلم زائد على ذاته. وكان من أهم من تأثر به المعتزلة في قولهم هذا هو أفلوطين؛ الذي كان يتحدث عن تعالية الله ويمنع أن نطلق عليه صفة من الصفات؛ لأننا بذلك نشبه الله بالأفراد؛ فلا نقول إن لله علما لأنه هو العلم، ولا نصفه بالجمال أو الخير لأنه هو الجمال والخير ومصدر كل شيء جميل وخير، وليس يحتاج الله إلى بصر لأنه ذاته النور الذي يبصر به الناس. ويرى الغزالي والشهرستاني أن المعتزلة وافقوا الفلاسفة على هذا القول.[1]

والمعتزلة ترى أن الله عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته؛ لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به، لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية. **يقول الخياط:** أنه لو كان الله عالما بعلم؛ فإما أن يكون ذلك العلم قديما أو محدثا. ولا يمكن أن يكون قديما؛ لأن هذا يوجب وجود اثنين قديمين وهو قول فاسد. ولا يمكن أيضا أن يكون علما محدثا؛ لأنه لو كان كذلك يكون قد أحدثه الله في نفسه أو في غيره أو لا في محل. فإن كان أحدثه في نفسه أصبح (أي الله محلا للحوادث، وما كان محلا للحوادث فهو حادث وهذا محال. وإذا أحدثه في غيره كان ذلك الغير عالما بما حله منه دونه، كما أن من حله اللون فهو المتلون به دون غيره، وكما أن من حلته الحركة فهو المتحرك بها دون غيره. ولا يعقل أن يكون أحدثه لا في محل، فلا يبقى إلا حال واحد وهو أن الله عالم بذاته.[2]

وهكذا يرى المعتزلة أن الصفات لو قامت بالذات للزمها خصائص الأعراض؛ لأن القائم بالشيء محتاج إليه حتى لولاه لما تحقق له وجود به، وعندها يصبح الله تعالى محلا للأعراض ويلزم التركيب والتجسيم والإنقسام.[3] ويكون المركب مفتقرا إلى أجزائه وأجزاؤه غيره، والمفتقر إلى غيره ممكن وليس بواجب في نفسه.[4] ويرى الشهرستاني أن المعتزلة لا ينكرون الصفات كوجوه واعتبارات عقلية لذات واحدة، ولكنهم ينكرون إثبات صفات هي ذوات موجودات أزلية قديمة قائمة بذاته تعالى. فإنها إذا كانت موجودات وذات وراء الذات؛ فإما أن تكون عين الذات، فإن كانت عين الذات فذاك مذهب المعتزلة وبطل قول أهل السنة هي وراء الذات،

==

1: انظر المعتزلة- جار الله- ص 63

2: الانتصار- 111-112

3: الصواعق المرسلة- 29/1

4: بغية المرتاد- ص 96

وأما إن كانت غير الذات فهي حادثة أو قديمة. وليس من مذهب السلف أنها حادثة، فيبقى أنها قديمة. فإن كانت كذلك فقد شاركت الذات في القدم، فأصبحت آلهة آخرى ، لأن القدم أخص وصف القديم والاشتراك في الأص يوجب الاشتراك في الأعم.[1] وجدير بالذكر أن المعتزلة وإن نفى بعضهم الصفات؛ وقال إن الله عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته. وإن أثبتها البعض الآخر، ولكنه اعتبر أنها هي الذات، فقال إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته، قادر بقدرة وقدرته ذاته، حي بحياة وحياته ذاته، إلا أنهم شذوا عن هاتين القاعدتين في بعض الصفات الأخرى ولا سيما الإرادة والكلام والسمع والبصر. فلم يقولوا إن الله مريد بذاته ومتكلم بذاته، وسميع بذاته بصير بذاته، ولا قالوا إنه تعالى مريد بإرادة وإرادته ذاته، متكلم بكلام وكلامه ذاته، سميع بسمع وسمعه ذاته، بصير ببصر وبصره ذاته. وقال أكثر المعتزلة ولا سيما البصريين منهم في إرادة الله إنها ليست قديمة؛ بل محدثة لا في محل، بها يخصص الله الأشياء بالوجود دون العدم.[2] فيزعم المعتزلة إن إرادة الله حادثة لا في محل. لإن لا وجه لإثبت الإرادة الحادثة قائمة بذات الله لأن ذاته ليست محلا للحوادث، ولا وجه لإثبات كونها في ذات أخرى لأنها تكون منسوبة إلى تلك الذات دون الله، فيتعين أن الإرادة حادثة لا في محل. ويؤخذ من هذا أن الله إذا أراد فعل شيء خلق إرادة لا في محل يأتي ذلك الشيء، وهذه الإرادة الخلوقة تتقدم على المفعول بلحظة واحدة.[3] ومن المعتزلة من نفى الإرادة عن الله أصلا، فقال النظام والكعبي إن الله غير مريد على الحقيقة، وإنه لا يوصف بها إلا مجازا. فإذا قلنا إنه تعالى مريد؛ فمعناه أنه عالم قادر غير مكره في فعله ولا كاره له، وإذا قلنا أنه مريد لأفعاله فالمراد أنه خالقها ومنشئها على وفق علمه، وإذا قلنا إنه مريد لأفعال عباده فالمعنى أنه آمر بها.[4] **وقال الجاحظ:** يوصف الله تعالى بأنه مريد على معنى أنه لا يصلح عليه السهو في أفعاله أو الجهل، ولا يجوز أن يغلب ويقهر.[5]

و اتفق المعتزلة في عمومها على نفي السمع البصر، فقال الجبائي وولده: إن الله سميع بمعنى أنه حي لا آفة به تمنعه من إدراك المسموع والمرئي إذا وجدا. وقال النظام والكعبي ومن تبعهما من البغداديين: إن الله تعالى لا يسمع ولا يبصر شيئا على الحقيقة، وتأولوا وصفه بالسميع والبصير على معنى العلم بالمسموعات

===

1: نهاية الإقدام- ص 199

2: الاقتصاد في الاعتقاد- ص 58

3: نهاية الإقدام- ص 248

4: نهاية الإقدام- ص 238

5: الملل والنحل- 81/1

والمرئيات.. فالمعتزلة متفقون على أن الله لا يسمع ولا يرى بسمع وبصر قديمين أو محدثين، ومتفقون أيضا على أنه تعالى لا يسمع بأذن ولا يرى بعين؛ لأن هذا يؤدي إلى التشبيه والتجسيم. ولذلك فإن "العين" التي ترد في القرآن كما في الآيتين: ولتصنع على عيني. وتجري بأعيننا. يتأولونها على معنى العلم.[1]

وقد كانت حجة الفلاسفة والمعتزلة في نفي الصفات هي حجة التركيب؛ قالوا: لو كان له صفة لكان مركبا، والمركب مفتقر إلى أجزائه وأجزاؤه غيره، والمفتقر إلى غيره لا يكون واجبا بنفسه.

ولفظ المركب: قد يراد به ما ركبه غيره، أو كان متفرقا فاجتمع أو ما يقبل التفريق. والله تعالى منزه عن هذه المعاني باتفاق. أما الذات الموصوفة بصفاتها اللازمة لها؛ فإذا سميتم هذا تركيبا كان ذلك اصطلاحا لكم ليس هو المفهوم من لفظ المركب، ولا يستطيع الفلاسفة إقامة الدليل على نفيه.

فقولهم لكان مركبا: إن أردتم لكان غيره ركبه أو لكان مجتمعا بعد افتراقه، أو لكان قابلا للتفريق، فاللازم باطل؛ فإن الكلام إنما هو في الصفات اللازمة للموصوف الذي يمتنع وجوده بدونها. وإن أردتم بالمركب الموصوف أو ما يشبه ذلك فلم قلتم أن ذلك ممتنع؟

وقولكم والمركب مفتقر إلى غيره؛ قيل: أما المركب بالتفسير الأول فهو مفتقر إلى ما يباينه؛ وهذا ممتنع على الله تعالى. وأما الموصوف بصفات الكمال اللازمة لذاته الذي سميتموه أنتم مركبا فليس في اتصافه هذا ما يوجب كونه مفتقرا إلى مباين له.

فإن قلتم: هي غيره وهو لا يوجد إلا بها ؛ هذا افتقار إليها.

قيل لكم: إن أردتم بقولكم هي غيره إنها مباينة له فذلك باطل.

وإن أردتم أنها ليست إياه، قيل لكم: وإذ لم تكن الصفة هي الموصوف؛ فأي محذور في هذا.

فإذا قلتم: هو مفتقر إليها.

قيل لكم: أتريدون بالإفتقار أنه مفتقر إلى فاعل يفعله أو محل يقبله؟

أم تريدون أنه مستلزم لها فلا يكون موجودا إلا وهو متصف بها؟

أما الثاني فأي محذور فيه، وأما الأول فباطل؛ إذ الصفة اللازمة للموصوف لا يكون فاعلا لها.[2]

==

1: المعتزلة- جار الله- ص 72-73

2: ابن تيمية- منهاج السنة- ص 188-190

قالت المعتزلة والفلاسفة: إن الله عالم وقادر وحي ومريد، ولكن عله عين قدرته، وقدرته نفس إرادته، وإرادته هي حياته، والكل هو الذات.

ورد عليهم: أن من العلم ببدائه العقول أن القائم بنفسه ليس هو القائم بغيره، وأن الموصوف ليس هو الصفة، وعليه لا يكون العلم هو العالم أو المعلوم، وليس العقل هو العاقل أو المعقول. بل يجب التمييز بين مسمى المصدر واسم الفاعل واسم المفعول مستقر في فطر العقول وكل لغات العالم، فجعل أحدهما هو الآخر منتهى السفسطة.

قالت الفلاسفة والمعتزلة: لو كانت الصفات زائدة على الذات؛ فإما أن تكون محدثة فيلزم قيام الحوادث بذاته تعالى، وإما أن تكون قديمة فيلزم تعدد القدماء. وقد كفر النصارى لقولهم بقدماء ثلاثة، فكيف بمن أثبت أكثر من ذلك؟

ورد عليهم: 1: أما قولهم أنه يلزم على تقدير قدم الصفة تعدد القدماء، فالتلازم باطل؛ فليس يجب أن تكون صفة الإله إلها. وإن أرادوا أن الصفة توصف بالقدم، فليس المراد أنها توصف على سبيل الاستقلال؛ فإن الصفة لا تقوم بنفسها، ولا تستقل بذاتها، ولكنها تكون قديمة بقدم موصوفها. فإن الصفة لازمة للموصوف وتابعة له؛ تكون قديمة بقدمه وباقية ببقائه لا أنها تكون قديمة بقدم خاص أو باقية ببقاء خاص.

2: إذا ذكرنا الله فإننا لا نذكر ذاتا مجردة عن الصفات؛ فإن وجود مثل هذه الذات في الأعيان ممتنع. فإذا قال أحدهم أنه دعا الله أو عبد الله؛ فإنما يريد أنه دعا أو عبد الله الحي العليم القدير السميع البصير الموصوف بالعلم والقدرة وسائر صفات الكمال. وهم يثبتون أسماء الله فيقولون حيا وعليما وقدير ويمتنع وجود حي عليم قدير لا حياة له ولا علم ولا قدرة؛ فإثبات الأسماء دون الصفات سفسطة.

3: أما قولهم إن النصارى كفرا بإثبات قدما ء ثلاثة فخطأ، بل كان مناط كفرهم هو إثبات آلهة ثلاثة، قال تعالى: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد. ولم يقل وما من قديم إلا قديم واحد. فدلت الآية على أنهم كانوا يعتقدون أن الآلهة ثلاثة وأن هذا هو الذي كفروا به.

4: أما قولهم: إن زعمتم أن الله ونوره والله وقدرته والله وعظمته، فقد قلتم مثل النصارى حين زعموا أن الله لم يزل ونوره ولم يزل وقدرته.

رد عليهم: لا نقول أن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول لم يزل الله بقدرته ونوره لا متى قدر ولا كيف قدر. فقط نقول كان الله ولا شيء ولم يزل الله بصفاته كلها، فإننا نصف إلها واحدا بجميع صفاته. ومثال ذلك: النخلة. أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها واحد، وسميت نخلة بجميع

صفاتها، فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد. والإنسان الواحد له عينان ولسان وشفتان وأذنان ويدان ورجلان وبطن وصدر وجوارح كثيرة، وهكذا.. وقد سمى الله تعالى رجلا كافرا اسمه الوليد ابن المغيرة المخزومي فقال: ذرني ومن خلقت وحيدا. فقد سماه الله بجميع صفاته وحيدا.

كما لا يوجد في لغة العرب ولا في عامة اللغات أن الذات الموصوفة بالصفات لا تسمى واحدا وأحدا في النفي والاثبات، بل المنقول بالتواتر عن العرب تسمية الموصوف بالصفات واحدا وأحدا ووحيدا ونحو ذلك.

وهكذا يرى أهل السنة أن الصفات قائمة بذاته تعالى، وأنها زائدة على الذات بمعنى أنها زائدة على الذات التي يفرض تجردها عن الصفات. وأما الذات الموصوفة بصفاتها اللازمة لها فلا يقال إن هذه الصفات زائدة عليها، بل هي داخلة في مسمى أسمائها. **يقول ابن تيمية:** ومن لا تقوم به الصفات فهو عدم محض؛ إذ ذات لا صفة لها، إنما يمكن تقديرها في الذهن لا في الخارج، كتقدير وجود مطلق لا يتعين ولا يتخصص.[1] ويعتقدون أن هذه الصفات قديمة؛ إلا أن منها ما هو لازم للذات أزلا وأبدا كالحياة، ومنها ما هو قديم الجنس، ولكن تحدث في ذاته تعالى آحاده، وذلك مثل العلم و الإرادة والكلام.

فالارادة مثلا قديمة الجنس، ولكن هناك إرادات جزئية تحدث في ذاته تعالى وعنها تصدر المرادات الحادثة ولولا ذلك لم يحدث شيء؛ لأن الإرادة القديمة في نظره نسبتها إلى جميع الوجوه الممكنة نسبة واحدة، فلا تصلح للتخصيص. ولأنها لو صلحت للتخصيص لوجب وجود المراد معها في الأزل ضرورة وجوب مقارنة المعلول لعلته التامة. وكذلك العلم منه قديم، وهو انكشاف جميع الأشياء له في الأزل ولا يشذ عن علمه منها شيء. ولكن منه ما يحدث في ذاته بحدوث المعلومات وتجددها كما يشهد لذلك **قوله تعالى:** وليعلم الله الذين آمنوا.**(آل عمران 140) وقوله:** أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين.**(آل عمران 142)** ومثال ذلك يقال في السمع والبصر، فإنهما وإن كانتا صفتين قديمتين، لكن يحدث في ذاته تعالى إدراك للمرئيات والمسموعات بعد وجودها، كما أنهما يتعلقان بمشيئته واختياره، فهو ينظر إلى بعض مخلوقاته بمشيئته دون بعض، ويسمع بعض الأصوات بمشيئته دون بعض.[2]

==

1: مجموع فتاوى ابن تيمية- 516/12

2: مجموعة الرسائل الكبرى- ص 103

هل يمكن رؤية الله؟

يعتقد أهل السنة أن الله تعالى لا يراه أحد من مخلوقاته في الحياة الدنيا، وإنما يراه المؤمنون فقط في الآخرة. **واستدلوا على أن الله لا يمكن رؤيته في الحياة الدنيا بالعديد من الأدلة؛ منها: قوله تعالى**: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.**(الأنعام 103)** فلم يره لا ملك ولا رسول، حتى الملائكة حملة العرش لا يرونه ولا ينظرون إليه، **قال عليه السلام:** أذن لي أن أحدث عن ملك قد مرقت رجلاه الأرض السابعة والعرش على منكبه وهو يقول: سبحانك أين كنت وأين تكون.[1] فإذا كان حملة العرش أنفسهم لا يرونه فغيرهم أعجز. **وردت أم المؤمنين عائشة على من قال أن النبي عليه السلام قد رأى ربه في رحلة المعراج، فقالت:** من حدثك أن محمد صلى الله عليه وسلم رأى ربه، فقد كذب، وهو يقول: لا تدركه الأبصار.**(الأنعام 103)**، ومن حدثك أنه يعلم الغيب، فقد كذب، وهو يقول: لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله.**(النمل 65).**[2]

وقد طلب نبي الله موسى عليه السلام من ربه أن يجعله يراه، فسأل الرؤية، **قال تعالى:** ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك.**(الأعراف 143)** ولو كانت رؤية الله مستحيلة وغير ممكنة بحال؛ لما سألها موسى بداية، ولكان رد الله عليه "لا تراني" ولكنه رد عليه تعالى **بقوله:** لن تراني. أي لن تراني في الدنيا ولا تطيق عليها، **قال ابن القيم:** وإنما منعه الله إياها في الدنيا لمعان: **أحدهما:** إن النظر الذي في عينه خلقه الله للفناء فلا ينظر به إلى الله الذي هو باق ولا يفنى. **والثاني:** أن الدنيا دار تكليف؛ فمعرفة الخلق له إنما هي عن غيب ليكون لهم الثواب لا معرفة ضرورية. **والثالث:** أن رؤية الله تعالى من أجل النعم التي ادخرها الله لأهل الجنة في الآخرة، فلم يعطها أحد في الدنيا. ولا يجوز أن يكون المراد **بقوله تعالى:** لن تراني. من رؤيته في الدنيا والآخرة، لأنه لو أراد ذلك وقال: لا تسألن عما ليس لك به علم، كما **قال لنوح عليه السلام:** فلا تسألن ما ليس لك به علم، ولنهى موسى عن ذلك. ثم **قال الله لموسى:** ولكن انظر إلى الجبل. أي اجعل الجبل علما بيني وبينك لأنه أقوى منك، فإن استقر مكانه فسوف تراني، وإن لم يستقر الجبل مكانه فإنك لن تطيق رؤيتي في الدنيا. وفي **قوله تعالى:** فإن استقر مكانه فسوف تراني. دليل على جواز رؤية الله سبحانه لأن الله قادر على أن يقر الجبل مكانه.[3]

==

1: خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي هريرة- 406/1

2: صحيح البخاري- رقم 7380

3: الإنتصار- ص 642- 643

ويعتقد أهل السنة أن المؤمنين سيرون ربهم يوم القيامة في الجنة، وأنهم سينظرون إلى وجهه الكريم. **قال تعالى:** وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة.**(القيامة 22-23) وقال في الكفار:** كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون.**(المطففين 15) قال ابن القيم:** ويدل على أن المؤمنين عن ربهم غير محجوبين، إذ لو كانوا عنه محجوبين لما كان لوصف المشركين بذلك المعنى.[1]

وروى جرير بن عبد الله قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى القمر ليلة -يعني البدر- فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته..[2] **وقال عليه السلام:** إنكم سترون ربكم عيانا.[3] **وروي أن أناس سألوا النبي فقالوا:** يا رَسولَ اللَّهِ، هلْ نَرَى رَبَّنَا يَومَ القِيَامَةِ؟ **قالَ:** هلْ تُضَارُّونَ في الشَّمْسِ ليسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ **قالوا:** لا يا رَسولَ اللَّه. **قالَ:** هلْ تُضَارُّونَ في القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ليسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ **قالوا:** لا يا رَسولَ اللَّهِ. **قالَ:** فإنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَومَ القِيَامَةِ كَذلكَ.. الحديث.[4] والمقصود تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي. وفي الحديث دليل على علو الله على خلقه. أما كيف ستكون تلك الرؤية؟ فهذا الذي لا علم لأحد به.

وكان عليه الصلاة والسلام يدعو ويقول: اللهم وأسألك لذة العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك،وشوقا إلى لقاك.[5] **وفي الحديث الصحيح:** إذا دخل أهل الجنة نادى مناد أهل الجنة: إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ألم يثقل موازيننا، ألم يدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟! فيكشف الحجاب؛ فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب إليهم ولا أقر لأعينهم من النظر إليه وهي الزيادة، ثم تلا "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة".**(يونس 26) قال ابن رجب:** كل أهل الجنة يشتركون في الرؤية ولكن يتفاوتون في حال الرؤية، وفي أوقات الرؤية.[6]

==

1: الإنتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار- ص 641

2: جزء من حديث خرجه البخاري في صحيحه- رقم 554

3: خرجه ابن خزيمة في التوحيد عن جرير بن عبد الله- ص413

4: خرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة- رقم 6573

5: خرجه ابن أبي ليلى في كتاب السنة عن عمار بن ياسر- رقم 434- ص 185 وصححه الألباني

6: المحجة في سير الدلجة- ص 71

أما المعتزلة فينكرون رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة، وإمامهم قاسم الرسي يتهم أهل السنة بأنهم مشبهة، فقال: المشبهة قد فسروا قول الله (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناضرة) على معنى: أن الله يرى بالأبصار في الآخرة وينظر إليه جهرة. **يقول:** فاما أهل العلم والإيمان (يقصد المعتزلة) ففسروها على غير ما قال أهل التشبيه المنافقون، فقالوا وجوه يومئذ ناضرة. **نقول:** مشرقة حسنة. إلى ربها ناظرة. **نقول:** منتظرة ثوابه وكرامته ورحمته وما يأتيهم من خيره وفوائده. . ليس معنى ذلك أنهم ينظرون إلى الله جهرة بالأبصار.. وكيف يرونه بالأبصار وهو لا محدود ولا ذو أقطار؟.. ومن أدركته الأبصار فقد أحاطت به الأقطار، ومن أحاطت به الأقطار كان محتاجا إلى الأماكن، وكانت محيطة به، والمحيط أثر من المحاط به وأقهر بالإحاطة.[1]

وذهبت الأشعرية إلى: أن المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة، ولكن نفوا أن تكون الرؤية في جهة العلو أو غيرها؛ لأنهم موافقون للمعتزلة في إنكار هذا الأمر، فزعموا أن الرؤية ليست رؤية بصر وعين، بل هي نوع إدراك، **يقول الآمدي:** ليس الإدراك إلا نوعا من العلوم يخلقه الله تعالى في البصر وذلك لا يوجب في تعليقه بالمدرك مقابلة ولا جهة أصلا.[2] وما قال عاقل قط أن العلم يضاف إلى البصر إلا في هذا التحريف العجيب! وهكذا نرى أن كل من نفى الجهة، وأثبت الرؤية كالأشعرية؛ لابد وأن يحاول تحريف المراد بالرؤية، لأن الرؤية تحتاج إلى مقابلة وجهة. **يقول ابن رشد:** وسبب وقوع هذه الشبهة في الشرع أن المعتزلة، لما اعتقدوا انتفاء الجسمية عنه سبحانه، واعتقدوا وجوب الصريح بها لجميع المكلفين، وجب عنده؛ إن انتفت الجسمية أن تنتفي الجهة، وإذا انتفت الجهة انتفت الرؤية، إذ كل مرئي في جهة من الرائي، فاضطروا لهذا المعنى لرد الشرع المنقول، واعتلوا للأحاديث بأنها أخبار آحاد، وأخبار الآحاد لا توجب العلم، مع أن ظاهر القرآن معارض لها، أعني **قوله تعالى:** لا تدركه الأبصار. وأما الأشعرية فراموا الجمع بين الاعتقادين، أعني بين انتفاء الجسمية وبين جواز الرؤية لما ليس بجسم بالحس، فعسر ذلك عليهم ولجئوا إلى حجج سوفسطائية مموهة، أعني الحجج التي توهم أنها حجج وهي كاذبة.[3] **وكان مما استدل به المعتزلة قوله تعالى:** لا تدركه الإبصار. **قالوا:** فنفى نفي عام أن تدركه الأبصار. والرد عليه: أن الإدراك هو فقط الذي نفاه الله، وذلك لإن الإدراك يعني الإحاطة **ودليله قوله:** إنا لمدركون.**(الشعراء 61) أي:** إنا لمحاط بنا، **وقوله:** لا تخاف دركا ولا تخشى.**(طه 77)** ومعلوم أنه لم يخف الرؤية وإنما خاف الإحاطة. **قال ابن القيم:** ويحتمل أن الله أراد نفي الرؤية في الدنيا لأن

==

1: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية- محمد عمارة- ص 53

2: غاية المرام- ص 168

3: الكشف- ص153

الرؤية إليه أفضل اللذات، فلا تكون إلا في أفضل الدارين؛ بدليل ما ذكرنا من الآيات والأخبار لأن الخاص يقدم على العام.[1] **قال ابن أبي العز الحنفي:** فإن هؤلاء المعتزلة يزعمون أنهم يتزهون الله بهذا النفي، وهل يكون التنزيه بنفي صفة الكمال؟! فإن نفي الرؤية ليس بصفة كمال، إذ المعدوم لا يُرى، وإنما الكمال في إثبات الرؤية ونفي إدراك الرائي له إدراك إحاطة، كما في العلم، فإن نفي العلم به ليس بكمال، وإنما الكمال في إثبات العلم، ونفي الإحاطة به علما، فهو سبحانه لا يُحاط به رؤية، كما لا يحاط به علما.[2]

****

استواء الله على العرش:

يعتقد أهل السنة أن الله مستو على عرشه حقيقة، استواء يليق بجلاله وعظمته، لا يشبه استواءه استواء المخلوق في شيء. **والعرش في اللغة:** عبارة عن السرير الذي للملك، كما **قال تعالى عن بلقيس:** ولها عرش عظيم.**(النمل 23)**.. فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات.. والعرش ليس حاملا لله ولا محيطا به ولا حاويا له سبحانه، فالله أعظم شأنا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك، بل هو تعالى بقدرته يحمله، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملة العرش، وغناه عن العرش، وافتقار العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له.[3] **وقد قال تعالى:** ولله ما في السماوات والأرض وكان الله بكل شيء محيطا.**(النساء 126) وقال:** ألا إنه بكل شيء محيط.**(السجدة 54)** فالله تعالى أحاط بخلق ما خلق بعظمته وسعة علمه وقدرته.

أما المعتزلة وجمهور الأشاعرة المتأخرين فينكرون الاستواء، وقال عبد القاهر البغدادي أن العرش المنصوص عليه هو الملك والسلطان، **قال:** والصحيح عندنا تأويل العرش في هذه الآية على معنى الملك، كأنه أراد أن الملك ما استوى لأحد غيره.[4] **وفسر القاضي عبد الجبار قوله تعالى:** ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية. **قال:** لأن العرش في السماء مكان لعبادة الملائكة فيحملونه ويطوفون حوله ويضاف إلى الله تعالى من حيث خلقه، كما يضاف العبد إلى الله تعالى.[5]

==

1: الإنتصار- ص 648

2: شرح العقيدة الطحاوية- ص 180

3: شرح العقيدة الطحاوية- ص 246 وص 259

4: أصول الدين- ص 132

5: تنزيه القرآن- ص439

وكان أول من أظهر مقالة أن الله ليس على العرش حقيقة، وإنما استوى بمعنى استولى ونحو ذلك، هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، فنسبت مقالة الجهمية إليه.[1]

وممن أنكروا صفة الاستواء ويأولونها تأويلات مختلفة: الجويني وأبو حامد الغزالي وفخر الدين الرازي والإيجي والآمدي، يقولون الاستواء هو الاستيلاء بالقهر والغلبة والقدرة. **وقال أبي الحسن الأشعري:** المراد بالإستواء هو فعل فعله الله في العرش وسماه استواء. وكلهم اتفقوا أن الاستواء مستلزم للتجسيم. **وقالوا:** لو كان الله على العرش للزم أن يكون العرش محمولا بالملائكة الذين يحملون العرش، فيلزم منه احتياج الخالق إلى المخلوق. **وقالوا:** لو كان الله مستويا على العرش، فإما أن يكون أكبر من العرش، أو أصغر أو مساويا له. ويفسر ابن حزم الأندلسي الاستواء بأنه فعل فعله الله في العرش، وهو انتهاء خلقه إليه، فليس بعد العرش شيء. وقال أن الاستواء في اللغة يقع على الانتهاء؛ **قال تعالى:** فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما.**(القصص 14) أي:** فلما انتهى إلى القوة والخير. **وقال تعالى:** ثم استوى إلى السماء وهي دخان.**(فصلت 11) أي:** أن خلقه وفعله انتهى إلى السماء بعد أن رتب الأرض على ما هي عليه.. وهذا هو الحق وبه نقول لصحة البرهان به وبطلان ما عداه.[2] **وفسر ابن حزم قوله:** ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية.**(الحاقة 17) قال:** لعله عنى عز وجل السموات السبع والكرسي فهذه ثمانية أجرام هي يومئذ والآن بيننا وبين العرش، ولعلهم أيضا ثمانية ملائكة، والله أعلم.. **وقد قال تعالى:** الذين يحملون العرش ومن حوله.**(غافر 7)** فصح يقينا أن للعرش حملة، وهم الملائكة المنقادون لأمره تعالى، كما نقول أنا أحمل هذا الأمر، أي أقوم به وأتولاه.. وأما الحامل للكل والممسك للكل فهو الله عز وجل، **قال تعالى:** إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا أن أمسكهما من أحد من بعده. **(فاطر 41).**[3] **وقال ابن حزم:** الله تعالى لا في مكان ولا في زمان أصلا وهو قول الجمهور من أهل السنة وبه نقول، وهو الذي لا يجوز غيره لبطلان كل ما عداه. **ولقوله تعالى:** ألا أنه بكل شيء محيط.**(فصلت 54)** فهذا يوجب ضرورة أنه تعالى لا في مكان، إذ لو كان في المكان لكان المكان محيط به من جهة ما أو من جهات، وهذا منتف عن الباري.[4]

==

1: ابن تيمية- الفتوى الحموية- ص 13

2: الفصل- 98/2

3: الفصل 98/2-99

4: الفصل- 98/2

وقد رد أهل السنة على كل ما سبق بما يلي:

1: أن كلامهم هذا قد يكون صحيحا لو أثبت أن لله استواء مثل استواء المخلوق، أما أن يكون استواء الخالق لائق به غير مماثل لاستواء الخلق، فلا يرد عليه مثل هذه الإلزامات. وذلك لأننا نثبت لله استواء يليق به، فالله مستو على عرشه حقيقة ومع هذا فلا يفتقر إلى شيء من خلقه، ولا يحتاج إليه، فهو الحامل للعرش والملائكة حملته بقوته وقدرته، فالسماء فوق الأرض وليست محتاجة إليها، وكذلك السحاب فوق الأرض. ولكن حدثت لهم هذه الشبهة بسبب توهمهم الباطل المتبادر في أذهانهم، حيث توهموا أن الله إذا وصف بالاستواء، كان استواؤه مثل استواء المخلوق، وهذا الفهم الخاطيء هو الذي حملهم على تعطيل الرب من ذلك، فشبهوا أولا ثم عطلوا، فوقعوا في التشبيه والتعطيل معا.

2: قالوا: إذا كان مستويا على العرش فلابد أن يكون الله أكبر من العرش أو اصغر منه او مساويا له.

ورد عليهم: أنه نفس الخطأ الذي وقعوا فيه بناء على تقديرهم المبني على قولهم: إن علو الله على عرشه واستواءه عليه مستلزم لكونه جسما متحيزا. أما إذا كان فوق العرش ولم يكن الله جسما متحيزا فلا يلزم شيء من هذه اللوازم الباطلة.

3: كما أن قولهم أن الاستواء هو الاستيلاء، فاللغة لا تساعدهم على هذا التأويل، فالاستواء لغة يراد به العلو والارتفاع، **قال تعالى:** ثم استوى إلى السماء.**(فصلت 11)** وقيل الاستواء هو الاستقرار في العلو. وقد سئل الخليل بن أحمد اللغوي الشهير: هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: هذا ما لا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتها.[1] كما إن الاستيلاء في اللغة لا يكون إلا إذا غلب أحدهما **قيل:** استولى، **قال النابغة:**

إِلّا لِمِثلِكَ أَو مَن أَنتَ سابِقُهُ   سَبقَ الجَوادَ إِذا اِستَولى عَلى الأَمَدِ.[2]

والله تعالى لا مغالب له ولا منازع.

كما أنه إذا كان معنى الاستواء هو الاستيلاء فلا فرق بين العرش وغيره من المخلوقات، **ولصح أن يقال:** استوى على الأرض، واستوى على الجبال إلخ. ولكن الله تعال خصه بالعرش لأنه أعظم المخلوقات. كما أنه قد ثبت بالنص أن العرش كان موجودا قبل خلق السماوات والأرض، وأن الاستواء بعد خلقهما، فكيف يكون الاستواء بمعنى الاستيلاء، والاستيلاء على ماذا؟ فهذا حاصل من قبل ومن بعد.

==

1: الفتاوى- 146/5

2: شرح أصول اعتقاد أهل السنة- اللالكائي- 399/2

4: كذلك يبطل ما ذهب إليه البغدادي من تأويل العرش بالملك. فهذا منقوض **بقوله تعالى:** ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية.**(الحاقة 17) وقوله:** الذين يحملون العرش ومن حوله.**(غافر 7) وقوله:** وكان عرشه على الماء.**(هود 7)**

***

علو الله وفوقيته:

يعتقد أهل السنة أن الله فوق السماوات السبع، مستوي على عرشه، وأنه تعالى قائم بنفسه بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يخالطهم أو يمتزج بهم ولا يحل فيهم، وأن علمه وقدرته وسلطانه في كل مكان. كما يعتقدون أن الله تعالى لا في مكان ولا في زمان بل هو تعالى خالق الزمان والمكان، وقد كان الله تعالى موجود قبلهما ودونهما، وإنما المكان للأجسام، والزمان إنما هو مدة بقاء كل ساكن أو متحرك، أو محمول ساكن أو متحرك، وكل هذا مبعد عن الله تعالى.

ويستدل أهل السنة على علوه سبحانه بالنص والفطرة والعقل:

من النصوص: استدل أهل السنة بالعديد من الآيات والأحاديث التي تثبت علوية وفوقية الله تعالى، **من ذلك قوله:** يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه. **(السجدة 5) وقوله:** إليه يصعد الكلم الطيب.**(فاطر 10) وقوله:** إني متوفيك ورافعك إلي.**(آل عمران 55) وقال:** أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض.**(الملك 15) وقوله:** تعرج اللملائكة والروح إليه.**(المعارج 4) وقوله:** يخافون ربهم من فوقهم.**(النحل 45) وقوله:** الرحمن على العرش استوى. **(طه 5) وقوله:** تنزيل من حكيم حميد.**(فصلت 42)** ومثل ذلك كثير لا يحصى في كتاب الله.

ومن الحديث: قصة معراج النبي عليه السلام إلى ربه، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه. **وعندما سأل عليه السلام الجارية:** أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها: فإنها مؤمنة.[1] **وقال عليه السلام:** ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء.. الحديث.[2]

يقول ابن تيمية: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه فوق

==

1: خرجه مسلم في صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمي- رقم 537

2: صحيح مسلم عن أبي هريرة- رقم 1015

كل شيء، وعليٌّ على كل شيء، وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء.. ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا عن أحد من سلف الأمة لا من الصحابة، والتابعين، ولا عن أئمة الدين -الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف- حرف واحد يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهرا. ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش، ولا أنه بذاته في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل، وأنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصبع ونحوها؛ بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبي لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات، في أعظم مجمع حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعل يقول: ألا هل بلغت؟ فيقولون: نعم. فيرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ويقول: اللهم اشهد غير مرة، وأمثال ذلك كثير.[1]

واستدل أهل السنة على علو الله بأنه أمر مستقر في فطرة الإنسان، فكل الناس حتى الأطفال يتجهون بقلوبهم وأيديهم إلى أعلى اضطرارا في قلوبهم، وهذا يقتضي أن هذا الأمر في فطرتهم بأن الله يكون مكانه فوق بالأعلى. وقد ذكر ابن تيمية أنه في إحدى مناظراته لأحد نفاة صفة العلو، وأن الإمام أخذ يجادله حتى ضاق صدره، فرفع طرفه ورأسه إلى السماء وقال: يا ألله. فقال له: أنت محقق! لمن ترفع طرفا ورأسك وهل فوق عندك أحد؟ فقال: أستغفر الله ورجع عن ذلك لما تبين له أن اعتقاده يخالف فطرته، ثم بين له فساد هذا القول فتاب من ذلك، ورجع إلى قول المسلمين المستقر في فطرهم.[2]

واستدل أهل السنة على علو الله بالعقل فقالوا: أن الله إما أن يكون خلق العالم في نفسه، أو خلقهم خارج نفسه. والأول لا يعقل لأن الله منزه أن يكون محلا للقاذورات فلزم أن يكون الله بائن من خلقه. وإذا كان تعالى بائنا من خلقه، فقد وجب أن يكون الله فوق العالم، لأنه لا يمكن أن يكون ما يعلوه تعالى، ولا يكون مع وجود غيره إلا عاليا عليه. **أما قوله تعالى:** وهو معكم أينما كنتم.**(الحديد 4) وقوله:** ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا.**(المجادلة 7) وقال النبي عليه السلام لصاحبه أبي بكر في الغار**: لا تحزن إن الله معنا.**(التوبة 40)** كل هذا حقا على ظاهره، ومقتضاها أن الله معهم بعلمه، مطلع عليهم، شهيد عليهم. فإن ذلك معناه أن الله معنا حقيقة بقدرته وعلمه وإحاطته، وهو أيضا فوق العرش بذاته حقيقة، **وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى:** الذي خلق السماوات والأرض في

==

1: الفتوى الحموية الكبرى- ص 216 وص 232-233

2: انظر درء تعارض العقل والنقل- 343/6-344

ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير.**(الحديد 4)** فأخبر أنه فوق العرش، يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا. وذلك أن كلمة "مع" في اللغة إذا أطلقت فليس في ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو النجم معنا، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة.

***

أما المعتزلة والجهمية وبعض متأخري الأشاعرة فيقولون أن الله ليس فوق العالم، ولا فوق العرش. وأن الله ليس داخل العالم ولا خارجا عنه، ولا حالا فيه. **وقالوا:** أن لو ثبتت صفة العلو لله، فإن ذلك يلزم أن يكون في حيز، ولو كان محازيا للعالم لكان أكبر منه أو أصغر أو مساويا له، وهذا يوجب أن يكون له مقدارا وكل مقدر فالعقل يفرض أصغر منه أو أكبر. وقالوا إثبات العلو يلزم منه أن يكون الله في جهة، ولو كان في جهة لافتقر إلى محل، وللزم أن يكون المحل أزليا، لأنه تعالى أزليا، أو يكون الله حادثا لان المحل حادث، وكلاهما ممتنع. وقالوا أن الأرض كرة تدور، فكل كل يشار إليها على أنه فوق، فهي بالنسبة للباقين أسفل. وقالوا أن اتجاه القلوب والأيدي نحو العلو لأن السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة. **قال الإمام الزيدي (والزيدية يعتقدون معتقد المعتزلة) يحيى بن الحسين ردا على سؤال: أين الله أفي الأرض أم في السماء أم فيما بينهما؛ قال:** بل هو فيهما وفيما بينهما، وفوق السماء السابعة العليا، ووراء الأرض السابعة السفلى، لا تحيط به أقطار السماوات والأرضين، وهو المحيط بهن وبما فيهن من المخلوقين. فكينونته فيهن ككينونته في غيرهن مما فوقهن وتحتهن، كيكونته قبل إيجاد ما أوجد من سماواته وأرضه، فهو الأول الموجود من قبل كل موجود، والمكوِّن غير المكوَّن، والخالق غير مخلوق، والقديم الأزلي الذي لا غاية له ولا نهاية، والذي لم يحدث بعد عدم، ولم يكن لأزليته غاية في العدم..الداني في علوه، والعالي في دنوه.. **فإن قيل:** فما معنى كينونته فيهن وفي غيرهن مما بينهن؟.. **قيل له:** .. معنى قولنا أنه فيهن: هو أنه مدبر لهن، قاهر لكل ما فيهن، مالك لأمرهن ولأمر ما بينهن وما تحتهن وما فوقهن، لأنه مسخر لهن، ولا دخل كدخول الأشياء فيهن.[1]

==

1: انظر المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية- محمد عمارة- ص 49-50

ورد عليهم أهل السنة **بأن كلامهم هذا كله فاسد**، وذلك لإن إثبات موجود لا هو داخل العالم ولا هو خارجه هو إثبات فاسد وغير معقول، وهو تقدير ذهني ليس له وجود في الخارج، وهو مستحيل. وقولهم "لا داخل العالم ولا خارجه" يتضمن أنه معدوم لا حقيقة له ولا وجود، وهو ما أنكره أهل السلف، وقالوا إن هذا يفضي إلى القول بالعدم. وقد توهم المعتزلة ومن سار على دربهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه، رغم أنك لو سألت جميع المسلمين: هل تفهمون من **قوله تعالى:** أن الله في السماء، أن السماء تحويه؟ لقال كل واحد منهم: هذا شيء لم يخطر ببالنا قط.

ثم إنظر إلى ما فعله المعتزلة هنا، يجعلون الأمر من ظاهر اللفظ شيئا محالا لا يفهمه الناس، ثم يريدون تأويله. وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه قد وسع السماوت والأرض، **قال تعالى:** وسع كرسيه السماوات والأرض. **(البقرة 255)** فإذا كان الكرسي يحيط بالسماوات والأرض ووسعها، فكيف يتوهم أن خلقا يحصر الله تعالى ويحيط به! **وقد قال تعالى:** فسيروا في الأرض.**(آل عمران 137) بمعنى:** على الأرض ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقة لا مجازي ويعلمه كل من عرف لغة العرب.

أما قولهم: لو كان في جهة لكان متحيزا أو له حيز.

رد عليه: أنه لا يسلم أن كل ما يسمى حيزا فهو أمر وجودي، هو وجودي لما هو داخل العالم، أما ما وراء العالم فهو ليس في حيز أو جهة وجودية. وأن كل افتراضاتهم تكون صحيحة لو صح أن ما فوق العرش لا يكون إلا جسما على المعنى الباطل الذي توهموه، أما لأنه تعالى ليس بجسم فلا تلزمه كل هذه اللوازم من التحيز وكونه غير متناه من جميع الجوانب، أو أنه لو كان متناهيا من جميع الجوانب لافترض فوقه أحيازا إلى آخر ما ذكروه. لأنهم بنوا كل هذا على اعتبار أن الأحياز والجهات لابد أن تكون أمرا وجوديا، وأنه يمكن أن تكون فوقه، والحيز لا يجب أن يكون أمرا وجوديا، وقد **قال عليه السلام:** وأنت الظاهر فليس فوقك شيء..الحديث.[1] فدل على أن الله ليس فوقه شيء، وكل موجود يسمى شيئا، والعدم ليس بشيء.

أما قولهم: بكروية ودوران الأرض.

رد عليه: فإن الفضاء المحيط هو الأعلى، وأن المركز الذي هو جوف الأرض هو الأسفل، وأن السماء عالية على الأرض من جميع الجهات، والأرض تحتها من جميع الجهات. كما أن الجهة تكون بالإضافة إلى المخلوق، فما حاذى رأسه كان فوقه، وما حاذى قدميه كان تحته، وما حازى جهته اليمنى كان عن يمينه، وما حاذى

===

1: خرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة- رقم 2713

جهته اليسرى كان عن يساره وهكذا، تتبدل جهاته بتبدل حركاته، مع ثبات الجهات نفسها. وبهذا يُعلم ان الله لا يكون حقيقة إلا عاليا أبدا، ولا يلزم كونه فوق السماوات أن يكون تحت شيء من المخلوقات.

أما قولهم: أن الإتجاه بالقلوب والدعاء إلى السماء والعلو، لا يكون إلا لأن السماء قبلة الدعاء كما الكعبة جهة الصلاة.

رد عليه: أنه لم يقل أحد أبدا أن السماء قبلة الدعاء لا في الكتاب ولا السنة ولم يؤثر عن سلف الأمة، حتى لم يؤثر عن الأنبياء قبل محمد عليهم السلام، أما كون الكعبة قبلة الصلاة فهذا أمر الله الذي أجمع عليه المسلمين. وقد كانت قبلة الصلاة بيت المقدس، فنسخت إلى الكعبة. أما قصد القلوب للمدعو في العلو فهو أمر فطري عقلي اتفقت عليه الأمم.

ولو كان الله في كل مكان على افتراضهم الخاطيء، فيلزم من ذلك أن يكون حاشاه فيما لا يليق به من الأماكن النجسة القذرية والمواضع التي يرغب عن ذكرها، ولوجب أن يزيد الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن، أو ينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان.

***

الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا:

يعتقد أهل السنة إن الله ينزل إلى السماء الدنيا؛ من غير أن يحدوا فيه حدا.[1] ونزوله تعالى إلى السماء على الوجه الذي يليق به، بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تحريف. وينظرون إلى نزوله هذا على أنه ليس حركة ولا نقلة. **ويستدلون بما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:** ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له.[2] **وفي رواية أخرى:** ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول: فيقول أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من الذي يسألني فأعطيه؟ من الذي يستغفرني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر.[3]

==

1: الفتوى الحموية- ص 355

2: صحيح البخاري- رقم 758

3: صحيح مسلم عن أبي هريرة- رقم 758

وقد أول البعض النزول بنزول أمره تعالى ورحمته، وهذا ليس بشيء؛ لأن أمره تعالى ورحمته لا يزالان ينزلان أبدا في الليل والنهار. كما أن هذا تأويل مبتدع لم يقل به أحد من الصحابة شيئا منها، ولا أحد من التابعين، وهو خلاف المعروف المتواتر عن أئمة أهل السنة.

وسُئل حماد بن زيد: يا أبا إسماعيل، الحديث الذي جاء: ينزل ربنا إلى سماء الدنيا. يتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حماد بن زيد، ثم قال: هو في مكانه يقرُبُ من خلقه كيف شاء.[1] فأثبت قربه تعالى إلى خلقه مع كونه فوق عرشه. **وعلق ابن رجب بقوله:** ومراده أن نزوله ليس هو انتقالا من مكان إلى مكان كنزول المخلوقين.[2]

ويعتقد أهل السنة أن الله تعالى ينزل في آخر الليل بلا كيف. وأما ما وراء ذلك من أسئلة فهو بدعة مختلقة لم يقل بها لا رسول الله ولا صحابته **كأن يقال:** هل يخلو العرش منه سبحانه أم لا؟ إلى غير ذلك من الأسئلة المبتدعة. إذا وصفه سبحانه وتعالى في هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر الصفات؛ كوصفه بالاستواء إلى السماء وهي دخان، ووصفه بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، ووصفه بالإتيان والمجيء في مثل **قوله تعالى:** هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلل من الغمام والملائكة.**(البقرة 210) وقوله:** وجاء ربك والملك صفا صفا.**(الفجر 22)**، وأمثال ذلك من الأفعال التي وصف الله تعالى بها نفسه التي تسميها النحاة أفعالًا متعدية، وهي غالب ما ذكر في القرآن، أو يسمونها لازمة لكونها لا تنصب المفعول به، بل لا تتعدى إليه إلا بحرف الجر، كالإستواء إلى السماء وعلى العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، ونحو ذلك؛ ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن القول في جميع ذلك من جنس واحد..

قال ابن القيم: وأما الذين أمسكوا عن الأمرين، **وقالوا:** لا نقول يتحرك وينتقل، ولا ننفي ذلك عنه، فهم أسعد بالصواب والاتباع، فإنهم نطقوا بما نطق به النص، وسكتوا عما سكت عنه، وتظهر صحة هذه الطريقة ظهورا تاما فيما إذا كانت الألفاظ التي سكت عنها النص مجملة محتملة لمعنين: صحيح وفاسد، كلفظ الحركة والإنتقال والجسم والحيز والجهة والأعراض والحوادث والعلة والتغير والتركيب، ونحو ذلك من الألفاظ التي تحتها حق وباطل، فهذه لا تقبل مطلقا ولا ترد مطلق، فإن الله لم يثبت لنفسه هذه المسميات، ولم ينفها عنه، فمن أثبتها مطلقا فقد أخطأ، ومن نفاها مطلق فقد أخطأ؛ فإن معانيها منقسمة إلى ما يمتنع إثباته لله، وما يجب إثباته له. فإن الإنتقال يرد به انتقال الجسم والعرض من مكان هو محتاج إليه إلى مكان آخر يحتاج

==

1: العرش للذهبي- 229/1

2: فتح الباري شرح صحيح البخاري- 117/3

إليه، وهو يمتنع إثباته للرب تعالى، وكذلك الحركة إذا أريد بها هذا المعنى امتنع إثباتها لله تعالى، ويراد بالحركة والانتقال حركة الفاعل من كونه فاعلا، وانتقاله أيضا من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلا. فهذا المعنى حق في نفسه لا يعقل كون الفاعل إلا به، فنفيه عن الفاعل نفي لحقيقة الفعل، وتعطيل له، وقد يراد بالحركة والانتقال ما هو أعم من ذلك، وهو فعل يقوم بذات الفاعل يتعلق بالمكان الذي قصد له، وأراد إيقاع الفعل بنفسه فيه. وقد دل القرآن والسنة والإجماع على أنه يجيء يوم القيامة، وينزل لفصل القضاء بين عباده، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وينزل عشية عرفة، وينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، وينزل إلى أهل الجنة. وهذه أفعال يفعلها بنفسه في هذه الأمكنة، فلا يجوز نفيها عنه بنفي الحركة والنقلة المختصة بالمخلوقين، فإنها ليست من لوازم أفعاله المختصة به، فما كان من لوازم أفعاله لم يجز نفيه عنه كنفي الشعور، وذلك يستلزم نفي الحياة.[1]

ضحك الله تعالى:

يعتقد أهل السنة أن الله تعالى يضحك بلا صفة تصف ضحكه، ولا يشبه ضحكه بضحك المخلوقين. **واستدلوا بقوله عليه السلام:** أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه.[2] **وقال عليه السلام:** يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة. قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: يقتل هذ فيلج الجنة، ثم يتوب الله على الآخر، فيهديه إلى الإسلام، ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد.[3] **وقال عليه السلام:** إن الله ينشيء السحاب، فينطق أحسن النطق، ويضحك أحسن الضحك.[4] **قال ابن تيمية:** وكذلك أحاديث الضحك متواترة عن النبي، وقد رواها الأئمة.[5] **وخالف في ذلك ابن عبد البروغيره فقالوا:** المراد بالضحك الرحمة والرضوان أو العفو والغفران.[6] ولكن هذا تحريف للكلم عن مواضعه؛ فما الذي أدراهم أن المراد بالضحك الرضى؟

==

1: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة- ص 473

2: صحيح الجامع عن نعيم بن همار الغطفاني- رقم 1107

3: صحيح مسلم عن أبي هريرة- رقم 1890

4: صحيح الجامع عن شيخ من بني غفار – رقم 1920

5: الفتاوى الكبرى- 614/6

6: الاستذكار- ابن عبد البر- 97/5

ثانيا: الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان. **قال تعالى:** آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.**(البقرة 285) وقال تعالى:** ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.**(البقرة 177) وقال تعالى:** ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا.**(النساء 136)** والملائكة هم عباد الله المطهرون الطاهرون، الكرام، البررة. تلك المخلوقات التي خلقها الله من النور، **أو كما قاله عليه السلام:** خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم.[1] وليس معنى أنهم مخلوقون من نور أنهم نور، ولا يعني أن الجان نار لأنهم قد خلقوا من نار، وذلك لأن الإنسان مخلوق من تراب وهو ليس تراب.

وذكر تعالى أن لهم أجنحة يطيرون بها، فقال: جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع.**(فاطر1)** وهم كائنات مجبولة عل العبادة والطاعة ولهم وظائف ومهام يقومون عليها، **قال تعالى:** لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.**(التحريم 6) وقال تعالى:** ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون.**(الأنبياء 19-20) وقال:** بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.**(الأنبياء 26-27) وذكر في القرآن والسنة بعض أسمائهم:** كجبريل وميكال أو ميكائيل ومالك خازن النار. **ومنهم من ذكر بصفته:** كملك الموت. **قال تعالى:** قل يتوفاكم ملك الموت الذي كل بكم.**(السجدة11)** ومنهم الحفظة كتبة الأعمال، **قال تعالى:** وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون.**(الانفطار10-12) وقال تعالى:** ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.**(ق 18) وقال:** وله معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله.**(الرعد 11) وقال:** أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون.**(الزخرف 80) وقال:** إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون.**(الجاثية 29)** ومنهم: المرسلات عرفا.**(المرسلات 1)** والناشرت نشرا.**(المرسلات 3)** والفارقات فرقا.**(المرسلات 4)** والملقيات ذكرا.**(المرسلات 5)** والنازعات غرقا.**(النازعات 1)** والناشطات نشطا.**(النازعات 2)** والسابحات سبحا.**(النازعات 3)**، ومنهم ملائكة الرحمة، وملائكة تحمل العرش، وملائكة العذاب، وملائكة الحفظ، وملائكة الموت، إلى غير ذلك مما لا يعلمه ولا يحصيه إلا الله.

===

1: خرجه مسلم في صحيحه عن عائشة- رقم2996

وقد تكلم العلماء في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، ولكن الحقيقة أن المفاضلة بين البشر والملائكة لا تجوز، فإن المفاضلة تكون بين الصنف الواحد، بين الملائكة وبعضهم البعض، بين الأنبياء بعضهم البعض، بين البشر بعضهم البعض، وكل هذا جاء فيه النص، **كقوله تعالى:** تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض.**(البقرة 253) وقوله:** ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض.**(الإسراء 55) وقال تعالى:** إن أكرمكم عند الله أتقاكم.**(الحجرات 13)** أما المفاضلة بين الملائكة والأنبياء من البشر فلا نص ولا نفي فيه ولا إثبات، ولم يتناوله أعلام الأئمة من الصدر الأول، ولا من بعدهم، ولا يتوقف عليه أصل من أصول عقيدة الفرقة الناجية. وعدم الإيمان بالملائكة هو كفر يخلد صاحبه في النار. **قال تعالى:** ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا.**(النساء 136) قال الشيخ تاج الدين الفزاري عن مسألة تفضيل البشر على الملائكة والعكس؛ قال:** اعلم أن هذه المسألة من بدع علم الكلام التي لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة، ولا من بعدهم من أعلام الأئمة، ولا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كثير من المقاصد، ولهذا خلا عنها طائفة من مصنفات هذا الشأن، وامتنع من الكلام فيها جماعة من الأعيان، وكل متكلم فيها من علماء الظاهر بعلمه، لم يخل كلامه عن ضعف واضطراب.[1]

***

الجن موجودون مخلوقون:

يعتقد أهل السنة أن وجود الجن حق، **قال تعالى:** يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنس.**(الرحمن33). وقال تعالى:** وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُوم.**(الحجر27)، وقال عليه السلام:** خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم.[2] وهناك سورة كاملة في القرآن باسم سورة "الجن".

والجن ليسوا كالأنس مولدون من أب واحد وأم واحدة، بل هم من أمهات وأباء شتى، وهم على أصناف ثلاثة: جن حيات وكلاب، وجن يمشي على قدمين كالإنسان، وجن له أجنحة يطير بها، **قال عليه السلام:** الجن ثلاثة أصناف: فصنف لهم أجنحة يطيرون بها، وصنف حياة وكلاب، وصنف يحِلُّون ويظْعنون.[3]

==

1: انظر شرح العقيدة الطحاوية- ص 283-284

2: صحيح مسلم عن عائشة- رقم 2996

3: صحيح الجامع عن أبي ثعلبة الخشني- رقم 3114

وهم خلق من خلق الله عز وجل فيهم الكافر والمؤمن، **قال تعالى حاكيًا عنهم أنهم قالوا:** وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً. وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا.**(الجن14-15)**. وأنهم يروننا ولا نراهم؛ **قال تعالى:** إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُم.**(الأعراف27)** وأنهم ينسلون ويموتون، **قال تعالى:** كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ.**(الرحمن26)**. **وقال تعالى:** كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْت.**(العنكبوت 57)** **وقال صلى الله عليه وسلم:** أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون.[1] وأنهم يأكلون، **قال عليه السلام:** لا تستنجوا بالعظام ولا بالروث فإنهما زاد إخوانكم من الجن.[2]

إذا الجن خلق موجود ووجوده حقيقة ثابتة يؤيدها العقل ولا يرفضها. ولكن رغم ذلك يبقى في غالب الأحوال إثبات الجان عن طريق السماع من الشرع لا العقل، وذلك أنه لا طريق للعقل إلي إثبات أجسام غائبة.

===

1: صحيح البخاري عن ابن عباس- رقم 7383

2: صحيح الجامع للألباني عن عبد الله بن مسعود- رقم 7325

ثالثا: الإيمان بالكتب السماوية

الركن الثالث من أركان الإيمان هو الإيمان بالكتب المنزلة من الله إلى رسله. **قال تعالى:** قل آمنت بما أنزل الله من كتب.**(الشورى 15)** هذه الكتب التي نزلت في أزمنة وأمكنة مختلفة وعلى أناس شتى، ونزلت بلغات مختلفة، فكل أمة نزل عليها كتابها بلغتها، **قال تعالى:** وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم.**(إبراهيم 2)** وفي كل كتاب بيّن الله فيه للمرسل إليهم ما يتبعون من الشريعة، **قال تعالى:** لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا.**(المائدة 48)** **وقد ذكر الله تعالى من هذه الكتب:** صحف إبراهيم، وزبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وقرآن محمد. **والمؤمن مطالب بالإقرار بالإيمان بتلك الكتب أو كما قال تعالى:** قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون.**(البقرة 136)** وقد أُمرنا بالإيمان بالكتب على ما أنزلها الله عليها بالصورة والهيئة الصحيحة التي نزلت به على رسله، لا على ما هي عليه الآن في أيدي الناس، لأنها حرفت وبدلت وغيرت بعد رسولهم، وحملوها على غير مرادها، وقالوا على الله ما لم يقل. وقد اشتركت كل الكتب السماوية في الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده والكفر بالطاغوت، **قال تعالى:** ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.**(النحل 36)** **وقال:** وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون.**(الأنبياء 25)**

ويستلزم هذا الإيمان بأن القرآن هو آخر الكتب السماوية التي أنزلت على آخر الأنبياء، وأنه نسخ الله به ما قبله من كتب. وأنه هو المهيمن على كل تلك الكتب، **قال تعالى:** وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه.**(المائدة 48)** ويستلزم هذا أيضا الإيمان بأن القرآن أو كلام الله أنزله على نبيه محمد وحيا عن طريق جبريل الأمين، أوحاه إليه بلفظه ومعناه، وأن الله قد تكلم به حقيقة، وأن كلام الله صفة من صفاته تعالى، وأن كلام الله ليس بمخلوق، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن الله قد تولى حفظه، فلا يمكن لمخلوق أن يبدله أو يحرفه أو يغيره. وأن جميع أشجار الأرض لو صنعت منها أقلاما، وجُعِل البحر مدادا وأمده معه بسبعة أبحر من مثله، فكتب بتلك الأقلام كلمات الله المحتوية على علمه وحكمته وقدرته، لنفد ماء الأبحر أو المداد ولو جيء بأمثالها مددا. **قال تعالى:** ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله.**(لقمان 27)**

إذا كلام الله هو صفة من صفاته ذاته، ويسري عليه ما يسري على بقية الصفات. ومن مخلوقات الله من سمع كلامه منه مباشرة، كما سمعه جبريل وموسى. أو كما يكلم الله عباده يوم القيامة بلا واسطة، ويكلم أهل الجنة. ومن مخلوقات الله من سمع كلامه بطريق غير مباشر، كما يسمع الأنبياء الوحي من جبريل تبليغا عنه، وكما سمع الصحابة القرآن من الرسول عن جبريل، فهو كلام الله تم تبليغه بواسطته.

***

القرآن كلام الله وليس بمخلوق

يعتقد أهل السنة أن الله تعالى متكلم، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته، يتكلم بها بمشيئته واختياره. ولا يعقل من المتكلم إلا من قام به الكلام وتكلم بمشيئته واختياره.وأنه لم يزل متكلما إذا شاء.

ويعتقدون أن كلام الله يضاف إلى الله إضافة معنى، كعلم الله، وقدرته، وحياته، وكل هذا من صفاته تعالى وليس منه شيء مخلوق. وإذا سألت أهل السنة: كيف يتكلم الله؟ قالوا: لا نعلم، ولا نعرف كيف تتكلم الجوارح من الأيدي والأرجل، ولا كيف تتكلم الجلود، **كقوله تعالى:** اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم.**(يس 65)**. **وقوله:** وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء.**(فصلت 21)**

وهكذا يعتقد أهل السنة أن القرآن الذي في المصاحف بأيدي المسلمين، من أول أم القرآن إلى آخر المعوذتين هو كلام الله عز وجل ووحيه أنزله على قلب نبيه محمد عليه السلام، وأن من كفر بحرف منه فهو كافر: **قال تعالى:** فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ الله.**(التوبة6)**، **وقال تعالى:** نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ.**(الشعراء 193-194)**، **وقال تعالى:** وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنا عَرَبِيّا.**(الشورى7)**. مع التأكيد على أن كل ما روي عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع لا يصح، وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود وفيها أم القرآن والمعوذتين.

***

أما المعتزلة والجهمية فيرون أن كلام الله مخلوق بائن عنه محدث في محل، وأنه صوت وصرف كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه. وأنه يضاف إلى الله إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله. وزعم الجهم بن صفوان أن الله لا يتكلم ولا يُكلم، حيث يرى إن إثباته متكلما يقتضي أن يكون جسما، والجسم حادث. ثم زعم الجهم أن الله يتكلم على سبيل المجاز لا الحقيقة، وزعم أيضا أن كلامه تعالى يُخلق في محل كالهواء، وورق الشجر؛ إذ المتكلم عنده من فعل الكلام، ولو في محل منفصل عنه. وهو الأمر الذي استقل عليه قول المعتزلة في صفة

الكلام. والعجيب أن المعتزلة يُخرجون أفعال العباد مما خلق الله، ويقولون أن العباد خلقوا أفعالهم، وفي نفس الوقت ينكرون انتساب كلام الله إلى ذات الله، وقالوا أن كلام الله محدث مخلوق ويدخل في عموم **قوله:** الله خالق كل شئ.**(الرعد 16) قالوا:** والقرآن شئ يدخل في عموم قوله؛ فالقرآن عندهم مخلوق. **قالت المعتزلة أن قوله تعالى:** الله خالق كل شئ. من العام المراد به الخاص؛ ولا سيما وأنتم تقولون إن القرآن لم يدخل في هذا العموم؛ وعليه فقد خصصنا من قوله تعالى: كل شئ. أفعال العباد.

ورُد عليهم بأن القرآن كلام الله وكلامه صفة من صفاته سبحانه، وصفات الخالق وذاته لا تدخل في المخلوق، فإن الخالق غير المخلوق؛ فليس ها هنا تخصيص البتة؛ بل الله بذاته وصفاته الخالق وكل ما عداه مخلوق؛ وذلك عموم لا تخصيص فيه بوجه.. مع التأكيد على أن أهل السنة يعتقدون أن أفعال العباد هي من صنعهم وأن أفعالهم قائمة بهم، وأنهم هم الذين فعلوها على الحقيقة والواقع. ولكن إضافتها إلى العباد فعلا وكسبا؛ لا ينفي إضافتها إلى الله خلقا ومشيئة، فهو سبحانه الذي شاءها وخلقها، وهم الذين فعلوها وكسبوها حقيقة، فلو لم تكن مضافة إلى مشيئته وقدرته وخلقه، لاستحال وقوعها منهم، إذ العباد أعجز وأضعف من أن يفعلوا ما لم يشأه الله؛ ولم يقدر عليه ولا خلقه.[1] ولو شاء الله لحال بينهم وبين الفعل؛ مع سلامة جوارحهم وصحتها أو آلة الفعل منهم؛ **كما قال تعالى:** ولو شاء ربك ما فعلوه.**(الأنعام 112)**

أما قول المعتزلة أن القرآن يدخل في عموم ما خلق الله؛ واستدلالهم بقوله: الله خالق كل شئ. يعتبره أهل السنة تأويل باطل لأنهم قد تعاموا عن **قوله تعالى:** تدمر كل شئ بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم.**(الأحقاف 25)** ورغم أن مساكنهم شئ؛ إلا أنها لم تدخل في عموم "كل شئ" الذي دمرته الريح. وذلك لأن المراد: أن الريح تدمر كل شئ يقبل التدمير بالريح عادة، وما يستحق التدمير. **وعموا كذلك عن قوله تعالى عن بلقيس ملكة سبأ:** وأوتيت من كل شئ.**(النمل 23)** والمراد بكل شئ: هو كل شئ يحتاج إليه الملوك.

وعلى هذا هو المراد من قوله: الله خالق كل شئ. أي أن كل شئ مخلوق، وكل موجود سوى الله فهو مخلوق، ولا يدخل في عموم كل شئ من مخلوقات الله ما يخص الله وصفاته؛ ولا يتصور انفصال صفاته عنه سبحانه. وبما أن كلام الله صفة من صفاته؛ وعليه يكون القرآن ليس داخلا في عموم الآية؛ فهو ليس مخلوق؛ فبان بطلان استدلالهم بهذه الآية.

==

1: ابن القيم- شفاء- ص117

واستدل المعتزلة بقوله تعالى: إنا جعلناه قرآنا عربيا.**(الزخرف 3) قالوا:** جعله أي خلقه فهو مخلوق.

ورد عليهم أهل السنة بأن الله قال: ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم.**(البقرة 224) وقال:** ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك.**(الإسراء 29) وقال:** وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا.**(الزخرف 19) قالوا:** وذلك نظير: إنا جعلناه قرآنا عربيا.**(الزخرف 3)**

واحتج المعتزلة بقوله تعالى: إنه لقول رسول كريم.**(الحاقة 40) قالوا:** وهذا يدل على أن الرسول سواء جبريل أو محمد قد أحدثه.

ورد عليهم: بأن الرسول هو من يبلغ عن مرسلِه، وأنه لم يقل إنه قول ملك أو قولي، فعلم أنه بلغه عمن أرسله به، لأ أنه أنشأه من نفسه. والإضافة إلى الرسول هي إضافة تبليغ، والرسول الأمين، هو الذي لا يزيد ولا ينقص في الكلام الذي أرسل بتبليغه بتمامه. كما ان الله قد كفر من قال أن كلام الله قول البشر، ومحمد بشر، فمن جعله قول محمد، بمعنى أنه أنشأه، فقد كفر.

واستدل أهل السنة بقوله عليه السلام: أعوذ بكلمات التامات التي من شر ما خلق.[1] فهل يعقل أنه عليه السلام عاذ بمخلوق؟ بل هذا **كقوله عليه السلام:** اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك.[2] **وكقوله:** أعوذ بعزة الله وقدرته.. الحديث.[3] وكقوله: أعوذ بعظمتك..الحديث.[4] وكل هذه صفات الله تعالى. وأنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء.

***

وقالت المعتزلة والجهمية: أن معنى كونه تعالى متكلما أنه خالق الكلام في غيره، وليس الكلام صفة قائمة به.

ورُد عليهم: أن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل، لا على غيره؛ فإذا خلق الله صفة في محل، كانت صفة لذلك المحل، لا لمن خلقها فيه، وهذا يجزم به العقل الصريح.

أما مخالفته للشرع، فهل الشجرة هي التي قالت لموسى عليه السلام: يا موسى إني أنا الله رب العالمين.**(القصص 3)** فعلى معتقد الجهم والمعتزلة تكون الشجرة التي زعموا أن الله خلق الكلام بها قد ادعت الربوبية والألوهية،

==

1: صحيح مسلم عن خولة بنت الحكم- رقم 2708

2: صحيح مسلم عن عائشة- رقم 486

3: صحيح الجامع للألباني عن أنس بن مالك- رقم 346

4: صحيح أبي داود للألباني عن عبد الله بن عمر- رقم 5074

وأمرت موسى بعبادتها. **وقال تعالى:** وكلم الله موسى تكليما.**(النساء 164) وقال:** ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه.**(الأعراف 143)** كما أنه ليس في اللغة أن من أوجد شيئا في غيره كان متصفا به، فلا يقال لمن أوجد الحركة في جسم من الأجسام أنه هو المتحرك بتلك الحركة، بل الجسم. فإذا كان كلامه تعالى غير قائم بذاته بل مخلوقا له منفصلا عنه، امتنع أن يكون كلامه بل يكون كلام من قام هو به، فإن ما قام به شيء من الصفات والأفعال يعود حكمه إليه لا إلى غيره. فإذا خلق الله في محل علما أو قدرة أو كلاما مثلا، كان ذلك صفة للمحل الذي خلق فيه، فيكون هو العالم القادر المتكلم به، ولم تكن تلك صفات الله بل مخلوقات له.

كما أن الرسل حين خاطبوا الناس بالوحي وأخبروهم أن الله قال ونادى ويقول لم يفهموهم أن هذه مخلوقات منفصلة عنه، بل الذي أفهموهم إياه أن الله نفسه هو الذي تكلم، والكلام قائم به لا بغيره، لذا عاب الله من يعبد إلها لا يتكلم فقال: ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا. ولا يحمد شيء بأنه متكلم ويذم بأنه غير متكلم، إلا إذا كان الكلام قائما به. ولا يعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم إلا من يقوم به القول والكلام، كما لا يعقل حي إلا من تقوم به الحياة، ولا عالم إلا من يقوم به العلم، ولا متحرك إلا من تقوم به الحركة، فمن قال إن المتكلم هو الذي يكون كلامه منفصلا عنه قال ما لا يعقل.[1]

ولا يجوز إطلاق القول بأن القرآن حكاية عن كلام الله، بل إذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من بلغه عنه مؤديا. والله تكلم به بحروفه ومعانيه بلفظ نفسه ليس شيء منه كلاما لغيره لا لجبريل ولا لمحمد ولا لغيرهما. ولا أن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، بل هذه الأقوال من اختراع بعض المتأخرين، والله تكلم به أيضا بصوت نفسه، فإذا قرأه العباد قرأوه بصوت أنفسهم، فإذا قال القارئ مثلا: الحمد لله رب العالمين. كان هذا الكلام المسموع منه كلام الله لا كلامه نفسه، وكان هو قرأه بصوت نفسه لا بصوت الله.

والله نادى موسى بصوت، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حروف ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف ولكن الحروف والأصوات التي تكلم الله بها صفة له غير مخلوقة ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم، كما أن علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده، فإن الله لا يماثل المخلوقين في شيء من صفاته

===

1: منهاج السنة- 23/1

رابعا : الإيمان بالرسل

الركن الرابع من أركان الإيمان بالله هو الإيمان برسل الله، ومعناه التصديق الجازم بأن الله قد اصطفاهم على خلقه، وخصهم برسالاته، وارتضاهم لحمل الأمانة، وجعلهم واسطة بينه وبين خلقه لتبليغ كلامه المحتوي على شرعه وأحكامه.

ويستلزم ذلك الإيمان بأن أنبياء الله ورسله، -من ذكرهم الله لنا ومن لم يذكرهم- صادقون، وهادون مهتدون، ومعصومون فيما يبلغونه عن الله، وأنهم كلهم على حق. لذا من يكفر بنبي من الأنبياء ثبتت نبوته فقد كفر بسائر الأنبياء، ومن يكفر برسل الله أو بعضهم فهو من الكافرين حقا. **يقول تعالى:** إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا.**(النساء 150-151)** ومن آمن برسل الله ووقرهم ولم يفرق بينهم في ذلك فهو مؤمن. **يقول تعالى:** والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما.**(النساء 152)**

وقد ذكروا فروقًا بين النبي والرسول وأحسنها أن من نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول. فالرسول أخص من النبي فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل العكس فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها.

ويستلزم الإيمان بالرسل الإيمان بأن الله رفع إدريس، وانه كلم موسى تكليما، وأن الله فضل بعض الرسل على بعض. **يقول تعالى:** تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتنا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس..**(البقرة 253) وقال تعالى:** ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما.**(النساء 163) وقال تعالى:** واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا.**(مريم 56-57)** وأن الله اتخذ محمد وإبراهيم أخلاء، **قال تعالى:** واتخذ الله إبراهيم خليلا.**(النساء 125) وقال عليه السلام:** لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا.[1] وخلته تعالى تكون كما يليق به كسائر صفاته.

===

1: صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود- رقم 2383

ويؤمن أهل السنة برسله تعالى كلهم، ويوقرونهم ولا يغلوا فيهم، ولم يجفوا عنهم، ولم يفرقوا بين أحد من رسله. واتخذوا هديهم نورا يستدلون به؛ **مصداقا لقوله تعالى:** وأنزلنا إليكم نورا مبينا.**(النساء 174) وقال:** أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس.**(الأنعام 122)** وأن الله أرسل الرسل لإقامة الحجة على الخلق، **قال تعالى:** لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.**(النساء 165)**

***

ويستلزم الإيمان بالرسل الإيمان بأن محمد بن عبد الله هو خاتم النبيين والمرسلين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة، وإلى الجن أيضا، فهو صاحب رسالة عالمية وباقية إلى أن يرث الله الأرض وما عليها. **قال تعالى:** قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون.**(الأعراف 158) وقال:** وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا.(سبأ 28) **وقال:** وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.**(الأنبياء 107) وقال تعالى:** ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين.**(الأحزاب 40)** ولا يسع أحد أن سمع بالرسول وإلا وجب عليه الإيمان به وإتباعه. **قال تعالى:** يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم.**(النساء 170)**

وقال عليه السلام: والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، لا يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار.[1]

وفوق الإيمان بالنبي محمد يجب طاعته، **قال تعالى:** من يطع الرسول فقد أطاع الله.**(النساء 80) وقال عليه السلام:** من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى.[2]

***

المعجزة والسحر:

يعتقد أهل السنة أن المعجزة أو الأمر الخارج للعادة الخارج عن سنن الله العامة في خلقه تكون لله فقط، ويظهرها على يد أنبيائه، تصديقا لهم في دعواهم؛ وتأييدا لهم في رسالته، مقرونا بالتحدي لأمتهم ومطالبتهم أن يأتوا بمثلها؛ فإذا عجزوا، كان ذلك آية من الله على إختيارهم إياهم وإرسالهم إليهم بشريعته.

==

1: خرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة- رقم 153

2: جزء من حديث خرجه الألباني في السلسة الصحيحة عن أبي سعيد الخدري- رقم 2044

والمعجزة تحيل الطبيعة، فعصا موسى الخشبية قد تحولت بقدرة الله وبأمره إلى حية من لحم ودم، أما السحر فهو حيل وتخييل لا يحيل طبيعة أصلا، كما حدث مع عصي وأحبال سحرة فرعون. **قال تعالى:** يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى.**(طه 66)** فصح أنها تخييلات لا حقيقة لها، ولو أحال الساحر طبيعة لكان لا فرق بينه وبين ما جاء به الأنبياء وهذا كفر ممن أجازه.

إذا المعجزة ليست من عمل النبي وإنما هي خلق محض من الله على خلاف سننه الكونية. أما السحر فمن عمل الساحر، وله فيه أسبابه ووسائله التي قد تنتهي بمن عرفها ومهر فيها وعمل بها إلى مسبباتها؛ فليس خارقا للعادة، ولا مخالفا للسنن الكونية. كما أن المعجزة تظهر على يد مدعي النبوة لتكون آية على صدقه في دعواه، أما السحر فهو حرفة أو صناعة يموه بها الساحر على الناس ويضللهم ويخدعهم؛ وذلك لينال مصلحة شخصية لنفسه فقط.

خامسا: الإيمان بالآخرة

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، ومعناه الإيمان بالبعث بعد الموت والحساب بالقضاء بين العباد، والصراط والميزان والجنة والنار وكل ما جاءت به النصوص عن البعث بعد الموت والحساب. **قال تعالى:** من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. **(البقرة 62)** ومن أنكر اليوم الآخر والبعث والحساب، فقد وقع في الكفر والخروج عن الملة.

ومن مستلزمات الإيمان بالآخرة الإيمان بأن علم وقت القيامة قد ادخره الله تعالى لنفسه، فلم يعلم بموعدها مخلوق. **قال تعالى:** إن الله عنده علم الساعة.**(لقمان 34)** وأن لتلك القيامة علامات صغرى وكبرى خارقات للمألوف والعادة، **قال تعالى:** يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون.**(الأعراف 187) من تلك الآيات:** خروج الدجال مدعي الربوبية، ونزول عيسى ليقتل الدجال، ثم يموت موتة طبيعية ويدفن في الأرض كباقي البشر. وكخروج أمة يأجوج ومأجوج ليفسدوا في الأرض ويهلكوا النسل والحرث. وهم بشر من سلالة آدم. **قال تعالى:** حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون.**(الأنبياء 96)** ثم خروج دابة عجيبة تكلم الناس، **قال تعالى:** وإذا وقع عليهم القول أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون.**(النمل 82)** وآخر آية هي خروج الشمس من مغربها.

ومن لزوم الإيمان بالآخرة الإيمان بفتنة القبر وعذابة ونعيمه. والإيمان بأن الجنة والنار موجودتان ومخلوقتان. وأن نعيم الجنة قائم لا يزول ولا تنفى الجنة ولا أهلها، وأن عذاب الجحيم قائم لا يزول لا تنفى جهنم ولا أهلها. وأن أهل الجنة خالدين فيها أبدا، وأن أهل النار خالدين فيها أبدا. **قال تعالى:** ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا.**(الجن 23) وقال:** إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعير خالدين فيها أبدا.**(الأحزاب 64-65)** وأن الله يُخرج من أهل النار بعفوه ويدخلهم الجنة بشرط أن يكون في قلبه مثقال ذرة من إيمان. **قال النبي عليه السلام:** يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شَعِيرةٍ أو بُرَّةٍ أو ذَرَّةٍ من خَيْرٍ أو من إيمان.[1] فإن فقدها فيكون عندئذ من أهل النار لا يخرج منها خالدا فيها للأبد.

===

1: الحديث خرجه البخاري عن أنس- رقم 44

النفس والروح:

يعتقد أهل السنة أن الروح مخلوقة، وأن الروح هي الكائن الحي الحساس اللطيف المدبر للجسد. واختلفوا في مسمى النفس والروح: هل هما متغايران، أو مسماهما واحد؟ **فالتحقيق:** أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة. فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالبا ما تسمى نفسًا إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها.

ونفس الإنسان لها صفات، فهي أمارة بالسوء عندما يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي، وإذا عارضها الإيمان صارت لوامة تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة، وهي التي تحب الخير والطاعة وتريده، وتبغض الشر والمعصية، وهذه كلها صفات وأحوال لذات واحدة. وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه.. ونفس الإنسان ذاته، هي جسده وروحه مختلطين، **قال تعالى:** لا تقتلوا أنفسكم.**(النساء 28) وقال:** فسلموا على أنفسكم.**(النور61)** وتطلق النفس على الروح مجازا، وذلك إذا ما كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها. وأطلق الله الروح على القرآن؛ **فقال:** وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا.**(الشورى 52)** وأطلق الروح على جبريل، فقال: نزل به الروح الأمين.**(الشعراء 193)**

وقد اختلف في هل الروح تموت أم لا؟

ذهب البعض إلى أن الروح لا تموت؛ فإنها خلقت للبقاء، **قال تعالى:** ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون.**(آل عمران 169)** هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم. ويمكن القول أن موت الروح هو مفارقتُها للجسد وخروجها منه. وبهذا تذوق الموت وفقا **لقوله تعالى:** كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون.**(العنكبوت 57)** فإن أُريد بموتها هذا القدر؛ فهي ذائقة الموت. وإن أريد بموتها أنها تُعدم وتضمحل وتصير عدما محضا؛ فهي لا تموت بهذا الاعتبار؛ بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، كما سيأتي بعد هذا، وأنها ستبقى على تلك الحالة حتى يردها الله في جسدها.

***

مستقر الأرواح المؤمنة والكافرة بعد الموت:

أما الروح المؤمنة فمستودعة في الجنة، **قال عليه السلام:** إنما نسمة المؤمن طير تعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة.[1] **قيل:** روحه مركبة في طائر كالبدن لها، ويعلق أي يأكل في شجر الجنة، وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة. ويحتمل أن تكون الروح في صورة الطائر أو على شكل طائر في الجنة. **وقال عليه السلام:** عن أرواح الشهداء في جوف طير خضر تعلق من ثمار الجنة.[2] **وفي رواية:** إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة تحت العرش، تسرح من الجنة حيث شات، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم إطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرحُ من الجنة حيث شئنا؟ فيفعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا انهم لم يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن تردّ أرواحنا في أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا فنقتل في سبيلك مرة أخرى! فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا.[3]

أما أرواح الكفار فإنها لا تصعد إلى السماء، ولا تفتح لهم أبوابها، **قال تعالى:** إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين. **(الأعراف 40)** بل يتم حبسها في الأرض السفلى في مكان يطلق عليه باب الأرض، **قال عليه السلام:** إذا حُضِرَ المؤمنُ أتَتْه ملائكةُ الرحمةِ بحَريرةٍ بيضاءَ، فيقولون : اخرُجي راضِيةً مرْضِيًّا عنك، إلى رَوحِ اللهِ ورَيحانٍ، وربٍّ غيرِ غَضبانَ، فتَخرُجُ كأطيبِ رِيحِ المسكِ، حتى إنه ليُناوِلُه بعضُهم بعضًا، حتى يأتونَ به بابَ السماءِ، فيقولون: ما أطيبَ هذه الريحَ التي جاءَتْكم من الأرضِ! فيأتون به أرواحَ المؤمنينَ، فلهم أشدُّ فرَحًا به من أحَدِكم بغائبِه يقدُمُ عليه، فيَسألونه: ماذا فعَل فلانٌ؟ ماذا فعَل فلانٌ؟ فيقولو : دعُوه فإنه كان في غمِّ الدنيا، فإذا قال: أمَا أتاكم؟ قالوا: ذُهِبَ به إلى أمِّه الهاويةِ وإن الكافرَ إذا احتُضِرَ أَتَتْه ملائكةُ العذابِ بمَسحٍ، فيقولون: اخرُجي ساخِطَةً مَسخوطًا عليكِ إلى عذابِ اللهِ عز وجل، فتخرُجُ كأنتَنِ رِيحِ جيفةٍ حتى يأتونَ به بابَ الأرضِ، فيقولون : ما أنتَنَ هذه الريحَ ! حتى يأتونَ به أرواحَ الكفارِ.[4]

ولا ندري أين باب الأرض هذا على وجه التحقيق، إلا أنه مكان في الأرض وليس في السماء كما ذهب ابن حزم الأندلسي وغيره، عندما قال أن أرواح الكفار هي التي عن شمال آدم في السماء الأولى التي رآهم فيها

==

1: صححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية عن كعب بن مالك- ص 422

2: صحيح الجامع عن كعب بن مالك- رقم 1559

3: صحيح الجامع عن كعب بن مالك- رقم 1558

4: خرجه الألباني في السلسلة الصحيحة عن أبي هريرة- رقم 1309

النبي عليه السلام في رحلة المعراج. قال عليه السلام ضمن ما قال في هذه الرحلة: فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لخازن السماء الدنيا: افتح. قال من هذا؟ قال: هذا جبريل. قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد صلى الله عليه وسلم. قال: فأرسل إليه؟ قال: نعم. ففتح. قال عليه السلام: فلما علونا السماء الدنيا، فإذا رجل عن يمينه أسوده وعن يساره أسوده، قال: فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، قال: فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح. قال: قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا آدم صلى الله عليه وسلم، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى.[1] فالذين عن يسار آدم في السماء الأولى لا يمكن أن يكونو أرواح الكفار، لأنه بالنص الصريح **قال تعالى:** لا تفتح لهم أبواب السماء.**(الأعراف 40)** فعُلم من هذا أن المذكورين ليسوا أرواح الكفار، أما من هم؟ الله تعالى أعلى وأعلم بهم.

***

فتنة القبروعذابه ونعيمه حق:

قلنا فتنة القبر حتى لا نضيق الفكرة فنقول عذاب القبر، إذ أن في القبر عذاب ونعيم، والذي يمكن أن نقرره في هذا الباب أن فتنة القبر أمر خاص بأمة الإسلام فقط. **برهان ذلك قوله عليه السلام:** إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ..الحديث.[2] والمقصود بالأمة هي أمة محمد فدل هذا على أن حساب القبر أو فتنة القبر هو ليس لكل الأمم بل هو مخصوص بتلك الأمة المحمدية فقط، إلا الشهداء. روى أن رجل من الصحابة سأل النبي عليه السلام فقال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد. قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة.[3] **والفتنة هنا:** معناها الإبتلاء والإمتحان والإختبار.

كذلك فالمتتبع لأحاديث القبر سيجد أن الميت سوف يسأل عن محمد عليه السلام وماذا يقول في هذا الرجل، فدل هذا على أن السؤال هو لأتباع محمد فقط لأن غيره من أهل الكتاب أو غيرهم قد بان أمرهم تجاه خاتم النبيين محمد في فترة حياتهم الدنيا، أما من شهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو الأولى بهذا السؤال في

==

1: صحيح مسلم عن ابي ذر الغفاري- رقم 163

2: خرجه مسلم في صحيحه عن زيد بن ثابت- رقم 2867

3: خرجه الألباني في صحيح النسائي- رقم 2052

القبر فيقال له ما قولك في نبي الله محمد، فإن كان من المسلمين المحققين إسلامهم فلسوف يشهد من فوره أنه محمد هذا هو نبي الله ورسوله، أما من قلد أو من لم يحقق إسلامه فلسوف يتتعتع في الكلام فيقول: ها، لا أدري. **روي عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** إذا أُقعد **المؤمن** في قبره أتيَ، ثم شهد أن لا إلا الله وأن محمد رسول الله، فذلك قوله: يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ.**(إبراهيم 27) قال:** نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك؟ فيقول ربي الله ونبي محمد.[1]

قال ابن عبد البر: والآثار الدالة على أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق ممن كان منسوبا إلى أهل القبلة ودين الإسلام بظاهر الشهادة، وأما الكافر الجاحد المبطل، فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه. وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام، فيثبت الله الذين آمنوا ويرتاب المبطلون.[2]

أما عذاب القبر فهو ليس بمخصوص بأمة محمد فقط بل هو لكل كفار الأمم من أمة محمد وغيرها ودليله هو **قوله تعالى في جند فرعون لعنه الله:** وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ. النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ.**(غافر45-46)** وفي هذه الآية دليل على عذاب آل فرعون في القبور إذ **يقول تعالى:** النار يعرضون عليها غدواً وعشياً. وهذا عذاب في القبر أو عذاب البرزخ لأنهم لم يذوقوا أو لم يعرضوا على النار في حياتهم الدنيا، ولم يدخلوا بعد نار الآخرة، فلم يبقى إلا عذابهم في الحياة البرزخية، كذلك **لأنه تعالى يقول بعدها:** ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب. فصح القول من أن العذاب أو النار التي يعرضون عليها هي في حياتهم البرزخية أو في قبورهم.

وخالف ابن القيم وقال أن السؤال يكون للكافر والمسلم. **واستشهد بقوله عليه السلام:** إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه ؛ فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل (لمحمد صلى الله عليه وسلم) فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهم جميعا.. **وأما المنافق والكافر فيقال له:** ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه من الثقلان..[3] والحقيقة أن المنافق كافر بلا شك، ورده يدل على ما ذهبنا إليه، فهو يقول: كنت أقول ما يقول الناس، فهذا يؤكد أنه لم يكن كافرا في الظاهر، وأنه

==

1: صحيح البخاري- رقم 1369 وصحيح مسلم- رقم 2871

2: التمهيد- 246/14

3: الروح- ص 252-253

كان منافقا يعلن الإسلام على لسانه ولا يعتقده بقلبه. فصح ما ذهبنا إليه من أن فتنة القبر لا تكون للكافرين وإنما لأمة محمد مؤمنهم حقا وكافرهم المنافق، والله تعالى أعلى وأعلم.

قبر كل إنسان هو مكان دفن جسده:

كما أن قبر كل إنسان هو مكان دفن جسده من الأرض، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أم لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً، ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر، كل هؤلاء سيصلهم نصيبهم من العذاب ما يصل إلى المقبور.

فتنة القبر وعذابه ونعيمه يقع على الروح والبدن معا:

كان ابن حزم يذهب إلى إن سؤال القبر وعذابه أو نعيمه إنما يقع على الروح دون الجسد الذي يبلى ويستحيل تراباً، ويستدل بذلك أنه لو ردت الروح إلى البدن لكان هذا بعثا، والبعث يوم القيامة فقط. لذا فإنه يؤكد أن فتنة القبر أو عذابه إنما يقع فقط على الروح دون البدن.

والذي نرجحه أن فتنة القبر وعذابه أو نعيمه يمر على الإنسان كما يمر عليه الرؤية أو الحلم، فالإنسان لو حلم أن أحدهم يحرقه بالنار فلسوف يتعذب تماماً كما لو كان يحدث في اليقظة، وكذلك فتنة القبر.فالميت عند قبره تركب فيه الروح بطريقة مخصوصة بحيث يمكن سؤاله وروحه متعلقة بجسده عن حقيقة عقيدته، ثم إن ثبت حسن عقيدته فأنه يرى بشارات من نعيم الآخرة بأن يرى نعيم الجنة في قبره، وإن ثبت فساد عقيدته فأنه يرى بشارات من عذاب الآخرة، بأن يرى عذاب النار في قبره. ثم بعد ذلك تعود الأرواح إلى مستقرها إلى يوم البعث فتنفخ في الأجساد النابتة من الأرض ويبدأ يوم القيامة.

وفتنة القبر وعذابه كل هذا إنما يدور في عالم روحاني لا قبل لنا بملاحظته ولا مشاهدته تماماً كما لا يمكننا الولوج إلى عالم الأحلام في الحياة الدنيا. فلو كان أحدهم مقبور في قبر زجاجي راقداً أمام أعين كل الناس، ما شاهد أحد من أهل الدنيا الأحياء ذلك العذاب أو النعيم الذي فيه صاحب القبر الزجاجي، لذا فلا مجال لإثبات عذاب القبر إلا بالنص الشرعي الصحيح الذي بين أيدينا من كتاب وسنة، والواجب علينا تصديق وقوعه. **قال ابن القيم:** فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانا

فيحصل له معها النعيم أو العذاب. ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين.[1]

أما المعتزلة فقد افترقوا في تلك المسألة على أقوال، فقال أبو الهذيل العلاف وبِشر أن من خرج عن سمة الإيمان فإنه يعذب بين النفختين، وأن المساءلة إنما تقع في تلك الأوقات. وأثبت البلخي وكذلك الجبائي وابنه عذاب القبر، ولكنهم نفوه عن المؤمنين وأثبتوه للكافرين والفاسقين. **وقال صالح قبة والصالحي:** عذاب القبر جائز، وأنه يجري على الموتى من غير رد الأرواح إلى الأجساد، وأن الميت يجوز أن يألم ويحس ويعلم، وهذا مذهب جماعة من الكرامية. **وقال بعض المعتزلة:** إن الله يعذب الموتى في قبورهم، ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون، فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام، وزعموا أن سبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران، والمغشي عليه، لو ضربوا لم يجدوا الآلام، فإذا عاد إليهم العقل وجدوا تلك الآلام. **وأما الباقون من المعتزلة؛ مثل:** ضرار بن عمر، وبشر المريسي، ويحيى بن كامل وغيرهم، فإنهم أنكروا عذاب القبر أصلا، وقالوا: إن من مات فهو ميت في قبره إلى يوم البعث. وهذه أقوال كلها فاسدة تردها الأخبار الثابتة.[2]

***

الجنة والنار مخلوقتان وباقيتان لا تفنيان:

يعتقد أهل السنة أن الله خلق الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء.[3] واستدلوا **بقوله تعالى:** عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى.**(النجم 14-15) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما** عرج به إلى السماء: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر.[4] **وقال عليه السلام** في حديث كسوف الشمس في آخره: قال إني أريت الجنة فتناولت منها عنقودا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا.[5] **قال ابن حزم:** اتفقت الأمة كلها برها وفاجرها؛ حاشا جهم والعلاف؛ على أن الجنة لا فناء لنعيمها، والنار لا فناء لعذابها، وأن أهلها خالدون أبد الآباد فيها إلى ما لا نهاية.[6]

==

1: الروح- ص 149

2: انظر كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة - ص 378-380

3: الحموية- ص 433

4: صحيح البخاري عن أنس- رقم 4964

5: صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس- رقم 748

6: الأصول والفروع- ص 145

أما أكثر المعتزلة فيقولون أنه من العبث أن نقول أن الجنة والنار خلقتا مع العالم حيث لم يوجد بعد صالح وطالح، أو أنهما خلقتا الآن؛ إذ أنهما لا تشغلان إلا بعد وقت. وكان الفوطي يقول بكفر من قال أن الجنة والنار مخلوقتان؛ إذ لا فائدة في وجودهما، وهما جميعا خاليتان ممن ينتفع بهما.[1] وكان يقول إن الله سيخلقهما يوم البعث والحساب.[2] وهذا أيضا رأي أكثر المعتزلة.. يرون أن القول بوجود الجنة والنار قبل يوم البعث لا يقبله عقل، لأنه لابد أن تشغل الجنة والنار مكانا غير موجود الآن في عالمنا، ولا في عالم الكواكب أيضا؛ ثم لو افترضنا وجود هذا المكان؛ فإنه سيكون خاليا لحين يوم البعث.[3] **واستدل أبو هاشم بن الجبائي؛ بقوله تعالى:** عرضها السماوات والأرض. وقال: الجنة والنار لم تخلقا قبل يوم البعث. ويقول: من المستحيل أن نتصور مثل هذه الأبعاد للجنة قبل فناء السماوات والأرض، إذ أن مداخلة الأجسام مستحيلة.[4] **ويرى بعض المعتزلة مثل أبو الهذيل العلاف:** إن أهل الجنة لو كانوا مع صحة عقولهم وأبدانهم يجوز منهم اختيار الأفعال ووقوعها منهم، لكانوا مأمورين منهيين، ولو كانوا كذلك لوقعت منهم الطاعة والمعصية، ولكانت الجنة دار محنة وأمر ونهي، ولم تكن دار ثواب، وكان سبيلها سبيل الدنيا. وقد جاء الإجماع بأن الدنيا دار عمل وأمر ونهي، والآخرة دار جزاء، وليست بدار أمر ولا نهي وهذا الإجماع يوجب ما قلت.[5] وكان أبو الهذيل يرى أن أهل الجنة لا يفعلون أي حركة، بل يتذوقون اللذة والسعادة، فهم ليسوا كالحجارة؛ بل هم أحياء عقلاء فهماء. فقط لم يعد يريدون أي شئ. **فكان أبو الهذيل يقول:** وتجمع فيهم اللذات كلها: اللذات الجسمية واللذات المعنوية، ويصيرون في الجنة باقين بقاء دائما وساكنين سكونا باقيا ثابتا لا يفني ولا يزول ولا ينفذ ولا يبيد.[6] وتقول المعتزلة أنه لا درجات في الجنة؛ فهم لا يميزون بين أهل الجنة؛ بمعني أنه ليس من استحقها أكثر من الآخر، فكل من استحق الجنة استحق فعلا نعيمها بأكمله، إذ أن الجنة هي مكان السعادة المطلقة، فلا توجد درجات في هذه السعادة.[7] **لذلك قال إبراهيم النظام:** وإن من تفضل الله عليهم بالجنة لا يكون لبعضهم على بعض درجة في التفضيل. وزعم أنه ليس لابراهيم بن رسول

==

1: انظر الفرق بين الفرق- ص 150 والملل والنحل للشهرستاني- 78/1

2: المو اقف للإيجي- ص 375

3: انظر ألبير نصري- 127/2-128

4: المو اقف للإيجي- ص 376

5: الانتصار للخياط- ص 70

6: انظر الإنتصار للخياط- ص 9 ومقالات الأشعري- 475/1-485 والملل للشهرستاني- 58/1

7: ألبير نصري- 132/2

الله في الجنة تفضيل درجة على درجات أطفال المؤمنين.[1] **وترى المعتزلة:** أن الفساق سيخلدون في النار، ومن دخل النار لا يخرج منها.. **ويقول أبو الهذيل:** أن حركات أهل النار تنقطع (مثل أهل الجنة) وأنهم يسكنون سكونا دائما.[2] ويستتبع هذا الكلام القول بأن حال أهل الجنة وأهل النار إلى عدم.. ولكن المعتزلة لا يقولون بذلك؛ فعندهم أن الثقلان مكلفان فلا يجوز اعدامها؛ إذ أن أفعالها العاقلة الحرة والخلقية كانت خلقا لها، وتبقى لها، فمن العدل أن تدوم حالة السعادة في الجنة وحالة الألم في النار، إذ أن هاتين الحالتين مكتسبتان لأفعال صدرت من كائن عاقل حر تعتبره المعتزلة كخالق لهذه الأفعال، لأن الفعل الحر خلق لإرادة حرة. فيستحيل القول بانعدام أهل الخلدين (الجنة والنار).[3]

ولهذا كان أبو الهذيل العلاف والمردار يقولان: إن أكل أهل الجنة وشربهم وجماعهم وتزاورهم وجميع لذاتهم باقية مجتمعة فيهم لا تفنى ولا تنقضي ولا تزول ولا تبيد.[4] وكل هذا لأن تخليد أهل الخلدان عندهم لا يقره العقل؛ إذا لم يأتي الوحي منبها بذلك.

***

الحوض حق:

الأحاديث الواردة في ذكر الحوض كثيرة وتبلغ حد التواتر، **منها قوله عليه السلام:** أنا فرطكم على الحوض.[5]

والفرط: هو الذي يسبق إلى الماء.

والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة هذا الحوض أنه حوض عظيم ماءه أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن، وأطيب ريحاً من المسك، وآنيته أو أكوابه أكثر من عدد النجوم، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه.

==

1: الفرق للبغدادي- ص 131

2: مقالات الأشعري- 1/474-475

3: ألبير نصري- 2/134

4: الانتصار للخياط- ص 12 ومقالات الأشعري- 1/474 وملل الشهرستاني- 1/58

5: صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود- رقم 6575

قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ **قال:** نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون عليّ غرا محجلين من أثر الوضوء.[1] والحوض هو الكوثر الذي أعطي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه كرامة له، **قال عليه السلام:** أنزلت عليّ آنفا سورة: بسم الله الرحمن الرحيم: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ. أتدرون ما الكوثر؟ فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته كعدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي. فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك.[2]

***

الصراط المستقيم حق:

يعتقد أهل السنة أن الصراط المستقيم حق، وهم المذكور في **قوله تعالى:** وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون.(**المؤمنون 74**) وهو طريق يوضع بين ظهراني جهنم فينجو من شاء الله تعالى ويهلك من شاء. **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** ويضرب جسر جهنم.. الحديث.[3] **وقال عليه السلام في هذا الحديث أيضًا:** وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم رأيتم شوك السعدان؟ فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عِظمِها إلا الله: فتخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل ثم ينجو.. وذكر باقي الخبر. **وفي رواية:** فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فاكون أول من يجوز من الرسل بأمته.[4]

إذا الصراط هو جسر علي جهنم يمر من فوقه الناس يريدون العبور إلى الجنة، وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنون ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم.

قال ابن أبي العز الحنفي: واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور **في قوله:** وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا.(**مريم 71**) ماهو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، **قال تعالي:** ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا.(**مريم 72**). **وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال:** والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة. **قالت حفصة:** يا رسول الله أليس الله يقول: وإن منكم إلا واردها؟ **قال:** ألم تسمعيه قال: ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا. أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم

==

1: صحيح مسلم عن أبي هريرة- رقم 247

2: صحيح الجامع للألباني عن أنس بن مالك- رقم 1498

3: خرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة- رقم 6573

4: البخاري عن أبي هريرة- رقم 806

دخولها.. كذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً، فقد بيّن صلى الله عليه وسلم أن الورود هو المرور على الصراط.[1]

***

الميزان حق:

يعتقد أهل السنة أن الميزان حق، وفيه توزن فيها أعمال العباد، ولا ندري كيف هو! **قال الله عزوجل:** وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِين.**(الأنبياء 47) وقال تعالى:** فأما مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ.**(القارعة 6-11)** وقد يكون هناك ميزان واحد لوزن الأعمال، والموزونات كثر، أو قد يكون هناك أكثر من ميزان والله تعالى أعلى وأعلم. **وقال عليه السلام:** إنه ليأتي بالرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة. وقال: اقرؤوا: فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا.**(الكهف 105)**.[2]

***

الله يجيء يوم القيامة للفصل بين عباده:

يعتقد أهل السنة أنه تعالى يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده؛ لقوله: وجاء ربك والملك صفا صفا.**(الفجر22) وقال تعالى:** هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر.**(البقرة 210)** أما كيفية مجيئه تعالى فالله أعلم به. فلفظا المجيئ والإتيان لفظا مجملان، ليس فيهما إثبات للحركة أو الإنتقال ولا نفيهما عنه، فالله تعالى لم يثبت لنفسه هذه المسميات ولم ينفها عنه. **قال سفيان بن عيينة:** كل ما وصف الله نفسه في كتابه فتسيره قراءته والسكوت عنه؛ ليس لأحد أن يفسره إلا الله ورسوله.[3]

===

1: شرح العقيدة الطحاوية- ص 416

2: خرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة- رقم 4729- وخرجه مسلم في صحيحه رقم 2785

3: لوامع الأنوار البهية- السفاريني- 261/1

الشفاعة حق:

صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبنص القرآن هناك شفاعة باطلة، وقد صح يقيناً أن الشفاعة التي أبطلها الله عز وجل هي غير الشفاعة التي أثبتها.

الشفاعة التي أبطلها الله هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار، **قال تعالى:** وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا.**(فاطر36)**. فإذ لا شك فيه فقد صح يقيناً أن الشفاعة التي أوجب الله عز وجل لمن أذن له واتخذ عنده عهداً ورضي قوله فإنما هي لمذنبي أهل الإسلام وهكذا جاء الخبر الثابت.

وأنكر الخوارج الشفاعة، واحتجوا بقوله تعالى: فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين.**(المدثر48)، وبقوله:** يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّه.**(الانفطار19)، وبقوله:** قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَدا.**(الجن21) وبقوله تعالى:** وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَة.**(البقرة48)**. **وبقوله:** مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَة.**(البقرة254)**.

أما المعتزلة فينكرون الشفاعة وقالوا لو حقت لكانت للمؤمنين فقط دون الفاسقين. ويستدلون بقوله تعالى: وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع.**(غافر 18)، وقال:** وما للظالمين من أنصار.**(البقرة 27)، وقال:** لا يشفعون إلا لمن ارتضى. **(الأنبياء 28)** وكل ذلك يدل على أن الفاسق لا شفاعة له، وأنه صلى الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين والتائبين؟[1]

وقول هؤلاء مردود مغلوط، إذ لا يجوز الإقتصار على بعض القرآن دون بعض، ولا على بعض السنن دون بعض، ولا على القرآن دون بيان السنة، وقد **قال تعالى:** لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم.**(النحل44)**. وقد نص الله على صحة الشفاعة في القرآن؛ **فقال:** لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدا.**(مريم87)**. فأوجب عز وجل الشفاعة إلا من اتخذ عنده عهداً بالشفاعة. وصحت بذلك الأخبار المتواترة عن النبي عليه السلام. **قال تعالى:** يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا.**(طه109)**. **وقال:** وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَه.**(سبأ23)**. فنص تعالى على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له فيها ورضي قوله، ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أفضل ولد آدم عليه السلام. **وقال تعالى:** مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه.**(البقرة255)، وقال تعالى:** مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِه.**(يونس3)**.

==

1: الأصول الخمسة لعبد الجبار- 93-94

وقال عليه السلام: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي.[1] **وقال عليه السلام لأبي هريرة عندما سأله:** يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه.[2] **وقال تعالى:** عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا.**(الإسراء 79) قال عليه السلام:** من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمود الذي وعدته. حلت له شفاعتي يوم القيامة.[3]

القول في الساق:

يعتقد أهل السنة أن لله تعالى ساق. **واستدلوا بقوله تعالى:** يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون.**(القلم 42) وبقوله عليه السلام:** يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقا واحدا.[4] ومنهم من نفى ذلك وأولوا النص، **قال الخطابي:** وقال غير ابن عباس من أهل التفسير والتأويل في قوله: يوم يكشف عن ساق. أي: عن الأمر الشديد. وأنشدوا: قد شمرت عن ساقه فشدوا   وجدَّت الجرب بكم فجدوا.. **قال:** وإنما جاء ذكر الكشف عن الساق على معنى الشدة.[5]

واعترض على ذلك بعدة اعتراضات؛ منها: أن لغة العرب في مثل ذلك أن يُقال: كشفت الشدة عن القوم. لا: كُشف عنها، كما **قال تعالى:** فلما كشفنا عنهم الرجز.**(الأعراف 135) وقال:** ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر.**(المؤمنون 75)**، فالعذاب والشدة هو المكشوف، لا المشكوف عنه. ثم إن يوم القيامة تحدث الشدة وتشتد ولا تزال إلا بدخول الجنة. **قال ابن القيم:** والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين والإصبع لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن، وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته، وهو حديث الشفاعة الطويل، وفيه: فيكشف الرب عن ساقه فيخرون له سجدا. ومن حمل لآية على ذلك قال: **قوله تعالى:** يوم يكشف عن

==

1: صحيح أبي داود للألباني عن أنس بن مالك- رقم 4739

2: صحيح البخاري عن أبي هريرة- رقم 99 و6570

3: صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله- رقم 614

4: صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري- رقم 4919

5: أعلام الحديث- 193/3

ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون. **مطابق لقوله:** فيكشف عن ساقه، فيخرون له سجدا، وتنكيره للتعظيم والتفخيم، كأنه قال: يكشف عن ساق عظيمة جلت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثيل أو شبيه.. وأيضا فهناك تحدث الشدة وتشتد ولا تزال إلا بدخول الجنة، وهناك لا يدعون إلى السجود، وإنما يدعون إليه ما كانت الشدة.[1] **وقال ابن تيمية: قوله تعالى:** يوم يكشف عن ساق. لم يقل يوم يكشف الساق، وهذا يبين خطأ من قال المراد بهذه كشف الشدة، وأن الشدة تسمى ساقا، وأنه لو أريد ذلك، لقيل: يوم يكشف عن الشدة و يكشف الشدة، وأيضا فيوم القيامة لا يكشف الشدة عن الكفار، والرواية في ذلك عن ابن عباس ساقطة الإسناد.[2]

***

مصير الأطفال يوم القيامة:

قالت الأزارقة من الخوارج: أن أطفال المشركين في النار. **واحتجوا بقوله تعالى حاكيا عن نوح:** رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا. إنك أن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا.**(نوح 26-27) وقالوا:** إن كان أطفال المشركين في الجنة وأنهم مؤمنون، فيلزمكم أن تدفنوا أطفال المشركين مع المسلمين، وأن لا تتركوه يلتزم إذا بلغ دين أبيه، فتكون ردة وخروجا عن الإسلام والكفر، وينبغي لكم أن ترثوه وتورثوه من أقاربه من المسلمين.[3]

وتوقف البعض في حكمهم، واستدلوا بالحديث: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم.[4] **وبالحديث الذي روته عائشة فقالت:** توفي صبي، فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أولا تدرين أن الله خلق الجنة وخلق النار، فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا.[5]

ورد عليهم أهل السنة: أن مقصد نوح هو كفار وقته الذين كانوا على الأرض حينئذ فقط؛ لا الكفار في كل مكان وزمان، خاصة وأن إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم كان أبواهما كافرين مشركين، وقد ولدا خير

==

1: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة- 253/1

2: انظر الرد على البكري- 543/2

3: انظر الفصل لابن حزم- 61/4

4: صحيح مسلم عن عبد الله بن عباس- رقم 2660

5: صحيح مسلم- رقم 2662

الإنس والجن من المؤمنين، وكذلك كان أفاضل الصحابة كانوا كفارا وأولاد كفار. وليس معنى تركنا للصلاة عليهم أنهم ليسوا مؤمنين، ولا لإنقطاع المواريث بيننا وبينهم، وكذلك دفنهم في مقابر آبائهم، وكذلك تركهم يخرجون إلى أديان آبائهم إذا بلغوا، فإن الله تعالى لم يأمرنا بالصلاة عليهم ولا الميراث منهم ولا دفنهم في مقابر المسلمين، وأوجب علينا كذلك أن نتركهم لآبائهم.

أما المتوقفين، فلا حجة لهما في شيء من الخبرين المذكورين؛ إلا أنهما قالهما رسول قبل أن يوحي إليه الله أنهم في الجنة. وقالوا: قد صح الإجماع على أن ما عملت الأطفال قبل بلوغهم من قتل أو طئ أجنبية، أو شرب خمر أو قذف أو تعطيل صلاة أو صوم؛ فإنهم غير مؤاخذين في الآخرة بشيء من ذلك ما لم يبلغوا. وكذلك لا خلاف في أنه لا يؤاخذ الله عز وجل آخذا بما لم يفعله، بل صح عن رسول الله: أن من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، فمن المحال المنفي أن يكون الله يؤاخذ الأطفال بما لم يعملوا مما لو عاشوا بعده لعملوه، وقد قال تعالى: اليوم تجزى كل نفس ما عملت. وقال: هل تجزون إلا ما كنتم تعملون. فصح أنه لا يجزي أحد بما لم يعمل ولا مما لم يسن.[1]

وذهب بعض المعتزلة أن الأطفال يحيلهم الله يوم القيامة إلى تراب، يقول ثمامة بن الأشرس: أن الآخرة باعتبارها دار ثواب أو عقاب، وليس فيها لمن مات طفلا ولا لمن لا يعرف الله بالضرورة طاعة يستحقون بها ثوابا ولا معصية يستحقون عليها عقابا، فيصيرون حينئذ ترابا إذا لم يكن لهم حظ في ثواب ولا عقاب.[2]

كذلك زعم هذا الأشرس أيضا أن اليهود والنصارى والمجوس يصيرون يوم القيامة ترابا؛ لأنهم غير عارفين ولا قاصدين لله إلى معصية على العمد لها، فزال عنهم بذلك -عند ثمامة- اسم الكفر، وزال عنهم الوعيد بزوال اسم الكفر عنهم، لأن الحكم بالوعيد تابع للاسم عند ثمامة.[3]

أما جمهور أهل السنة فقد ذهبوا إلى إن أطفال المشركين إذا ما ماتوا قبل البلوغ فهم في الجنة. فقد صح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه.. الحديث.[4] **وذكر عليه السلام فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال:** إني خلقت عبادي حنفاء، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم ينزل به

==

1: الفصل لابن حزم- 64/4

2: الفرق بين الفرق- ص 157

3: الانتصار للخياط- ص 87

4: صحيح مسلم عن أبي هريرة- رقم 2658

سلطانا.[1] فصح يقينا أن الغواية داخلة على الإيمان، وأن الأصل من كل واحد هو الإيمان، وكل مؤمن ففي الجنة. **وقال تعالى:** فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى. وليست هذه صفة الصبيان فصح أنهم لا يدخلون النار ولا دار إلا الجنة أو النار، فإذا لم يدخلوا النار فهم بلا شك في الجنة.

وقال عليه الصلاة والسلام ضمن ما قال في حديث طويل عن الرؤيا الكبيرة التي رآها أنه رأى إبراهيم عليه السلام في روضة خضراء مفتخر، وفيها من كل نورونعيم وحواليه من أحسن صبيان و أكثرهم، فقال عليه السلام: وأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الذي في الرَّوْضَةِ فإنَّه إبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ علَى الفِطْرَةِ قالَ: فَقالَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ: يا رَسولَ اللَّهِ، وأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ؟ فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: وأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ.. الحديث.[2] **قال ابن حزم:** فارتفع الإشكال وصح بالثابت من السنن وصحيحها أن جميع من لم يبلغ من أطفال المسلمين والمشركين ففي الجنة، ولا يحل لأحد تعدي ما صح بالقرآن والسنن.[3]

وقال قوم أن الصبيان هم خدم أهل الجنة، ورووا حديثا ضعيفا عن النبي عليه السلام فيه: أولاد المشركين خدم أهل الجنة. **وقالوا أنهم المذكورين في قوله:** ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا.**(الإنسان 19) وقال:** ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون.**(الطور24) ورووا عن علي بن أبي طالب والحسن البصري:** هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم، ولا سيئة يكونون خدما لأهل الجنة؛ إذ الجنة لا ولادة فيها.[4]

والصحيح: أنهم غلمان أنشأهم لله في الجنة إنشاءً؛ كما أنشأ الحور العين، وذلك ليكونوا خدما لأهل الجنة.[5]

أما الأصم الذي لم يسمع شيئا عن دعوة الإسلام، والأحمق الذي لا يعي ولا يُدرك، والعجوز الخرف، والذي مات في فترة خلا فيها الزمن من نبي أو نذير، فإن الله يختبرهم ويبتليهم ابتلاء مخصوص في موقف يوم القيامة، يحدد على أساسه مصيرهم إن كانوا في الجنة أو في النار. **فعن الأسود بن سريع، قال رسول الله**

==

1: خرجه الألباني وصححه في غاية المرام عن عياض بن حمار المجاشعي- رقم 9- ص 22

2: صحيح البخاري عن سمرة بن جندب- رقم 7047

3: الفصل- 65/4

4: البحور الزاخرة في علوم الآخرة- ص 1142

5: انظر حادي الأراح لابن القيم- ص 271

صلى الله عليه وسلم: أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا. وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر. وأما الهرم فيقول ربي لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا. وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك من رسول. فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم: أن ادخلوا النار. قال: فوالذي نفس محمد بيده؛ لو دخلوها لكانَت عليهم بَرْدًا وسَلامًا. **وعن أبي هريرة مثل هذا غير أنه قال في آخره:** ومَن لم يَدخُلْها يُسحَبْ إليها.[1]

***

الحور العين:

الحور العين: جمع حوراء وهي المرأة الشابة الجميلة البيضاء شديدة سواد العين. **قال تعالى:** وزوجناهم بحور عين.**(الدخان 54) وقال عليه السلام:** أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا تباغض بينهم ولا تحاسد، لكل امرئ زوجتان من الحور العين، يُرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم.[2] والحور العين هن نساء خلقهن الله وأنشأهن في الجنة إنشاء بلا آباء ولا أمهات، مثلهن في ذلك مثل الأولاد أو الغلمان المخلدون.

==

1: الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين- 47/1 قال الوادعي: هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح

2: صحيح البخاري عن أبي هريرة- رقم 3254

سادسا: الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقدر هو ركن الإيمان السادس. **ومعنى الإيمان القدر:** التصديق الجازم بأن الله قدر مقادير كل شيء قبل حدوثه وكتبه في اللوح المحفوظ. **قال تعالى:** إنا كل شيء خلقناه بقدر.**(القمر 49) وقال:** وخلق كل شيء فقدره تقديرا.**(الفرقان 2)** فلا يتم إيمان الإنسان حتى يؤمن بقضاء الله وقدره.

يعتقد أهل السنة أن كل ما حدث ويحدث وسيحدث في العالم، قد سبق علم الله به وأثبته في اللوح المحفوظ. وذلك قبل أن يخلق الله العالم وما فيه. وأنه لا محالة سيحدث بالضرورة، ولا يمكن لمخلوق أن يخرج عنه ولا يحيد. فإذا كُتب أن إنسان سيولد في مكان وزمان مقدر، على صفة وحال وهيئة مقدرة له، وأنه سيعيش من العمر كذا إلى الأجل المقدر له لن يعيش بعده ولا لحظة واحدة، وأنه سيرزق طوال عمره بالرزق كذا المقدر والمحدد له لن يرزق زيادة عنه أو ينتقص منه ولن يناله غيره. وأن هذا الإنسان سيحدث معه كذا وكذا من خير أو شر كلا من عند الله، وأن هذا الإنسان عندما يكون في إختيار ما، فإنه سيختار هذا الفعل أو يتركه بإرادته الحرة التي خلقها الله فيه وأنعم بها عليه، وأنه سيفعل هذا ويترك ذاك بقدرة واستطاعة قد خلقها الله فيه.. والقضاء والقدر متلازمان، القضاء هو الإجمال والقدر هو التفصيل، الأول هو الأساس والثاني هو البناء.. والإيمان بالقضاء والقدر على مفهوم أهل السنة يقتضي اثبات إرادة الله وقدرته كصفتين له، فالله مريد لجميع الكائنات وهو قادر على كل شئ.

<u>كتب عليك عين اختيارك الحر</u>

يعتقد أهل السنة أن الله قد منح الإنسان حريته، وترك بين يديه مسئولية تقرير مصيره، فإذا شاء آمن وإذا شاء كفر. ونظرا لتلك الحرية الإنسانية ظهر في الكون لأول مرة معاني جديدة وغريبة عن المنظومة الكونية؛ مثل: الشر والعصيان والظلم والجور والكفر والشرك وكل ما هو قبيح، ولولا تلك الحرية لما كان قد وقع كل هذا ولا حدث أبدا. أما الكتابة والقضاء والتقدير، فمعناهم أنه الله تعالى قد علم بعلمه المحيط الشامل ماذا سيفعل الإنسان بتلك الإرادة الحرة المختارة، وكيف أنه إذا وقع بين اختيارين فماذا سيختار، وإذا سلك طريقا يتفرع لطريقين؛ يعلم الله أيهما سيسلك، وإن خُيّر الإنسان بين فعل الشئ وتركه، فماذا سيختار ويفعل، وبناء عليه كتب الله على الإنسان عين ما يختار ويريد ويفعل، بحيث يتطابق فعل الإنسان مع ما سبق الله في علم الله وما أثبته في اللوح المحفوظ. لذا لا مخالفة بين ما علم الله وأثبت بقضائه وقدره، وبين ما يعمل الإنسان بإرادته الحرة المختارة، حيث أن علم الله وما أثبته من قضاء وقدر؛ إنما وقع بناء على عين اختيار

الإنسان الذاتي وما يريده وما تميل إليه نفسه. ومن ثم يكون علم الله بأهل الجنة وأهل النار؛ قد حدده علمه المبني على اختيار أهل الجنة أفعالهم، واختيار أهل النار أفعالهم. ولو علم الله أنهم كلهم سيطيعون ويؤمنون لقضى وقدر بأنهم جميعا إلى الجنة، ولو علم أنهم كلهم سيعصون ويكفرون لقضي وقدر بأنهم جميعا إلى النار. ومن هذا يتبين لنا أن فعل الإنسان المكتوب عليه بالقضاء والقدر؛ لا يكون معناه أن الإنسان مجبورا، بل معناه أن الله بعلمه الشامل والمحيط علم عين ما يختاره الإنسان وما تميل إليه نفسه.

ويستحيل أن يخرج فعل الإنسان عن عين ما سبق في علم الله وما قضى به وكتب وقدر، ولا نقصد بتلك الاستحالة الجبر أبدا؛ ولكن نقصد أن لو خالف الإنسان ما سبق في علم الله وقضى به وقدره؛ يكون معناه أن الله تعالى قد جهل أو أخطأ أو تغيرت إرادته؛ وكل هذا يستحيل أن يكون. وبناء عليه فقد أراد الله بإرادته الشرعية من كل الناس أن يؤمنوا، فمنهم من أراد ما أراد الله فآمن، ومنهم من أراد غير ما أراد الله فكفر. وكل من آمن ومن كفر لا يخرج عن مراد الله تعالى الكوني الذي لا تخرج عنه إرادة مخلوق.

***

أدلة أهل السنة على اعتقادهم في القضاء والقدر

قال ابن عباس: الإيمان بالقدر نظام التوحيد. فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده؛ ومن وحد الله وكذّب بالقدر؛ نقض تكذيبه توحيده.[1]

يقول النووي عن عقيدة أهل السنة في القضاء والقدر: واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر؛ ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدّر الأشياء في القدم؛ وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى؛ وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها؛ وأنها مستأنفة العلم؛ أي: إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها؛ وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم علوا كبيرا.[2] فلم يزل تعالى عالما بأنه سيخلق ما يخلق، وأنه رب ما يخلق من العالمين، ومالك كل شيء ويوم الدين.. وأنه سيكون كل ما يكون على ما هو كائن

وقال ابن القيم: وقد أجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب؛ وقد دل القرآن على أن الرب تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله وما يقوله؛ فكتب في

==

1: مجموع الفتاوى- 330/12 و انظر شفاء العليل- ابن القيم- ص 140

2: مسلم بشرح النووي- 190/1-192عليه إذا كونه.(ابن حزم- الفصل في الملل والأهواء والنحل- 134/2)

اللوح أفعاله وكلامه؛ فتبت يدا أبي لهب في اللوح المحفوظ قبل وجود أبي لهب.[1] **وقال اللالكائي عن عقيدة إثبات القدر خيره وشره:** وهو مذهب أهل السنة والجماعة، يتوارثونه خلفا عن سلف؛ من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا شك ولا ريب.[2]

واستدل أهل السنة على ذلك، بقول الله تعالى: ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا.**(الفرقان 21) وقال:** كل شيء عنده بمقدار.**(الرعد 8) وقال:** إنا كل شيء خلقناه بقدر.**(يس 38)، وقال:** قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.**(السجدة 5) وقال تعالى:** ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.**(النساء 65)** والأمر هنا هو أمر التدبير وإدارة شئون الخلائق، وترتيب وتنظيم الأحداث، وذلك هو الأمر الكوني التي يتم به ما يريده الله حتما؛ وذلك **مثل قوله:** وكان أمر الله مفعولا.**(الإسراء 23) وقال تعالى:** إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون.**(البقرة 117)** أي إذا قدر أمرا وإرادة فإنه ينفذها بمجرد قوله له "كن" فيكون. **وقال تعالى:** وكل شيء أحصيناه في إمام مبين.**(يس 12)** وهو اللوح المحفوظ. **وقال تعالى:** وكل شيء فعلوه في الزبر.**(القمر 52) أي:** كل شيء فعلوه مكتوب عليهم في اللوح المحفوظ.. **وقال النبي عليه السلام:** لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره.[3] **وبقوله عليه السلام:** لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة: بالله وحده لا شريك له، وأن الله بعثني بالحق، وبالبعث بعد الموت، وبالقدر خيره وشره.[4] كل تلك الآيات والأحاديث وغيرها عندما سمعها الصحابة؛ فهموا منها أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يمنع العمل ولا يحض على الإتكال عليه، بل الإيمان الصحيح بالقدر يوجب الجد في العمل والاجتهاد، فإن النبي عليه السلام أخبرهم بالقدر السابق، وأخبرهم كذلك أن هذا القدر يجري على الأسباب؛ فإن الانسان عندما ينال ما قدر له؛ فإنما يناله بالسبب الذي أقدر عليه ومكن منه وهيئ له؛ فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب، وكلما زاد الانسان اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى إليه. فإذا قدر له أن يرزق بولد لم ينل ذلك إلا بالوطء، وإذا قدر له أن يشبع ويرتوي فذلك لن يكون إلا بالأسباب المحصلة لذلك من الأكل والشرب، وهكذا في كل فعل وقول يفعله ويقوله الانسان.

==

1: شفاء العليل- ص 89-91 بتصرف يسير

2: في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة- 452/2

3: السلسلة الصحيحة للألباني عن جابر بن عبد الله- رقم 2439

4: صحيح الجامع عن علي بن أبي طالب- رقم 7584/ وصحيح الترمذي للألباني- رقم 2145

عقيدة أهل السنة في خلق أفعال العباد

عسل النحل وحرير دود القز وعش العصفور وبيت العنكبوت، هل هم خلق من مخلوقات الله تعالى أم هي خلق النحل ودود القز والعصفور والعنكبوت؟.. التمثال المنحوت والسفينة والحاسوب والتلفاز والسيارة والطائرة والعمارة المبنية والثياب المخاطة: وكل ما صنعه الإنسان بيديه؛ هل هو خلق من خلق الله أم هو خلق الإنسان؟ **ستقول المعتزلة:** كل ما صنعه المخلوق فهو من خلقه وليس خلقا من مخلوقات الله، **فالمبدأ عندهم هو أن:** خالق كل شئ عامله، وعامله فاعله.[1] **قال الإسفرايني:** ومما اتفقوا عليه (يقصد المعتزلة) قولهم: أن أفعال العباد مخلوقة لهم، وان كل واحد منهم ومن جملة الحيوانات كالبقة والبعوض والنملة والنحلة والدودة والسمكة، خلق؛ خلق أفعاله، وليس الباري خالقا لأفعالهم ولا قادرها على شيء من أعمالهم، وأنه قد لا يقدر على شيء مما يفعله الحيوانات كلها. ففعل الذباب والبقة والجرادة، أفعال هي خالقة لها، وليس الباري سبحانه قادرا عليها، فأثبتوا خالقين لا يحصون ولا يحصرون.**(التبصير في الدين- ص 64)** فلا يمانع المعتزلة أبدا من إطلاق لفظ الخالق على غير الله، ولا يرون في ذلك ممانع؛ فهم يرون أن الله لا يخلق أعمال العباد. بل يفعلها العباد بقدرتهم وبإرادتهم المستقلة عن إرادة الله تعالى وقدرته، وليس لله تعالى صلة بأفعال العباد من قريب أو بعيد، وليس له فيها تأثير في قليل أو كثير.[2]

أما أهل السنة سيقولون: كل ما صنعه الإنسان فهو من فعل الإنسان وهو في نفس الوقت مخلوقا من مخلوقات الله، وكذلك كل ما صنعه الحيوانات أو الحشرات؛ كبيت العنكبوت وعش العصفور وخلية النحل وعسله وحرير دود القز؛ فهو من فعلهم وهو أيضا خلق من خلق الله. فالله هو من خلق الإنسان والحيوان والحشرات، وكذلك هو من خلق مصنوعاتهم. **فالمبدأ عند أهل السنة هو أن:** الله خالق كل شئ. لا يستثنون من ذلك شيئا من الأشياء. لذا فهم يقرون بأن الله تعالى خالق أفعال العباد، ويقرون كذلك أن العبد فاعل قادر يفعل بمشيئته، وأن الله خالق ذلك كله. وأنه تعالى اذا خلق للعبد قدرة تامة ومشيئة جازمة كان هذا مستلزما لخلق المراد المقدور.[3]

==

1: الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية- يحى بن الحسين- تحقيق: محمد عمارة- ص150

2: المعتزلة- مزروعة- ص 126

3: لوامع الانوار البهية-152/1

ولا يعتقد أهل السنة أن أفعال العباد هي أفعال الله، بل يعتقدون أنها مخلوقة لله؛ مفعولة له، وهي فعل للعبد قائمة به، وليست فعلا لله قائما به، بل مفعوله غير فعله. والله تعالى لا يوصف بما هو مخلوق له؛ إنما يوصف بما هو قائم به. **قال التابعي يحيى بن سعيد الأنصاري:** ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة. **قال البخاري:** حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة.[1]

وليس معنى قول أهل السنة أن الله خلق أفعال العباد أنهم لا يفعلونها على الحقيقة، بل يؤكدون أن أفعال العباد هي خلق الله وهي في نفس الوقت أفعال العباد ومفعولات لله تعالى. **يقول ابن تيمية:** وأما جمهور أهل السنة المتبعون للسلف والأئمة فيقولون: إن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله ومفعول لله، **لا يقولون:** هو نفس فعل الله؛ ويفرقون بين الخلق والمخلوق، والفعل والمفعول، وهذا الفرق الذي حكاه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد عن العلماء قاطبة، وهو الذي ذكره غير واحد من السلف والأئمة.[2]

ومجمل عقيدة أهل السنة في خلق أفعال العباد: أن الله خالق كل شئ؛ خلقه بقضاء وقدر، والانسان وأفعاله ضمن ما خلق الله وقدر وقضى، وأن الانسان له اختيار حر في أفعاله يحمله تبعاتها ومآلاتها، فيكافأ بالخير على ما فعل من خير، ويعاقب على ما فعل من شر، وأن كل شئ خلقه الله هو حسن في ذاته؛ قد استمد حسنه من إبداع المبدع؛ إذ أنه خلق كل شئ فأحسن خلقه، وأنه خلق كل شئ بإرادته من غير قيد يقيدها.. وأنه ليس للأشياء قبل وجودها صورة للحسن، إنما صورة الحسن أو القبح جاءت بعد وجودها؛ ومن النظر فيما أبدع وكونه، لأن الحسن وغيره من الصور التي جاءت من إبداعه وإنشائه. **يقول اليافعي:** وقد اتفق سلف الأمة وخلفها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء السلف الصالحين على ان الخالق المبدع هو الله لا خالق سواه ولا مبدع إلا إياه؛ خلق الخلق وصنعهم، وأوجد قدرتهم وحركتهم، فلا يكون شئ إلا بخلقه وإبداعه وإرادته وقضائه.[3]

==

1: خلق أفعال العباد- ص26

2: منهاج السنة- 298/2

3: عبد الله بن أسعد اليافعي- مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة- ص 163

الانسان فاعل لأفعاله على الحقيقة

كما يؤمن أهل السنة بأن أفعال العباد مخلوقة لله؛ يؤمنون كذلك بأن أفعالهم تنسب وتضاف إليهم على الحقيقة. فإن الله قد أعطى الانسان المشيئة والقدرة على الاختيار؛ والناس هم الفاعلون حقيقة لأفعالهم. دل على ذلك العديد من الآيات منها: **قوله تعالى:** جزاء بما كانوا يعملون.**(السجدة 17)** **وقوله:** فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون.**(الحجر 92-93)** **وقوله:** أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنم تعملون.**(الأعراف 43)** **وقال:** لمثل هذا فليعمل العاملون.**(الصافات 61)** **وقال:** اعملوا ما شئتم.**(فصلت 40)** **وقال:** وقل اعملوا فسيرى الله عملكم.**(التوبة 105)** **وقال:** إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات.**(لقمان 8)**

كل تلك الآيات وأمثالها تدل دلالة قطعية على أن العبد إذا فعل فعلا، فإنه ينسب إليه حقيقة، ولهذا يجازى عليه ويحاسب، فإنه فعله واقع بمشيئته وقدرته، وأنه مختار له غير مضطر ولا مجبور. وهذا لا ينافي كون الله تعالى هو خالق العبد وصفاته وأفعاله؛ وهو تعالى الذي جعلهم فاعلين بأن أعانهم على فعلهم وأعطاهم الحول والقوة على فعله..

إذا للإنسان إرادة ذاتية خاصة به؛ وتلك الإرادة تخضع للإنسان ذاته؛ فيفعل ما يشاء ويختار وتميل إليه نفسه ويهواه، إرادة حرة ووفقا لتلك الإرادة الحرة يحاسبه الله؛ فيعاقبه أو يحسن إليه. وعلى ذلك أمره الله ونهاه وأقام عليه حجته وعرضه للثواب والعقاب، فأمره بما هو متمكن من إحداثه؛ ونهاه عمّا هو متمكن من تركه؛ ورتب ثوابه وعقابه وفقا لتلك الأفعال والتروك التي مكنه منها وأقدره عليها وناطها به. ومع ذلك فكل هذا مرتبط بمشيئة الله له؛ فكان الانسان مريدا شائيا بمشيئة الله له، ولولا مشيئة الله أن يكون شائيا لكان أعجز وأضعف من أن يجعل نفسه شائيا. فالرب سبحانه أعطاه مشيئة وقدرة وإرادة، وعرفه ما ينفعه وما يضره، وأمره أن يجري مشيئته وإرادته وقدرته في الطريق التي يصل بها إلى غاية صلاحه في الدنيا والآخرة. وترك له حرية الاختيار في فعل ما يشاء.

أدلة أهل السنة على أن أفعال العباد مخلوقة لله:

قال أهل السنة طالما أنه لا شيء في هذا الوجود إلا والله تعالى هو خالقه ولا خالق غيره؛ فإن الله خالق كل صانع وما صنع. **واستدلوا بقوله تعالى:** الله خالق كل شيء.**(الزمر62) وقوله تعالى:** ذلكم الله ربكم خالق كل شيء.**(غافر62) قالوا:** وأفعال العباد شيء مما خلقه الله. **واستدلوا بقوله تعالى:** أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون.**(الصافات 96) قال البخاري:** فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة.**(خلق أفعال العباد- ص 25)** وعمل الانسان في الآية هو نحت الأصنام التي يعبدها؛ إذا الفاعل (الانسان) والمفعول (الأصنام) والفعل (النحت) كل هذا مخلوق اخبرنا الله تعالى بنص الآية أنه خلقه.. وفي الآية جعل الله الأصنام المنحوتة معمولة للإنسان؛ وأخبر أنه خالقهم وخالق معمولهم، فإن (ما) هنا بمعنى الذي؛ والمراد: الذي خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام؛ وإذا كان خالقا للمعمول وفيه أثر الفعل؛ دل على أنه خالق لأفعال العباد، وأما قول من قال: إن ما مصدرية (أي: خلقكم وعملكم)؛ فضعيف جدا.[1] **قال ابن القيم:** فالأولى أن تكون ما موصولة؛ **أي:** والله خلقكم وخلق آلهتكم التي عملتموها بأيديكم فهي مخلوقة له؛ لا آلهة شركاء معه؛ فأخبر أنه خلق معمولهم.. ولا يقال: المراد مادته (من الخشب والحجر)؛ فإن مادته غير معمولة لهم، وإنما يصير معمولا بعد عملهم.[2]

ومما يدل على أن أفعال العباد مخلوقة مثلها مثل كل شيء صنعه الانسان بيديه؛ قول النبي عليه السلام: إن الله تعالى صانع كل صانع وصنعته.[3]

وقال الله تعالى: والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم.**(النحل 81)** فأخبر الله أنه هو الذي جعل السرابيل، وهي الدروع والثياب المصنوعة ومادتها؛ ولا تسمى سرابيل إلا بعد أن تحيلها صنعة الآدميين وعملهم؛ فإذا كانت مجعولة لله؛ فهي مخلوقة له بجملتها؛ صورتها ومادتها وهيآتها. ونظير هذا قوله: والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم. فأخبر سبحانه أن البيوت المصنوعة المستقرة والمنتقلة مجعولة له، وهي إنما صارت بيوتا بالصنعة الآدمية.[4]

==

1: ابن تيمية- مجموع الفتاوى- 17/8

2: شفاء العليل- 206/1

3: عن حذيفة بن اليمان- صحيح الجامع للألباني- رقم 1777

4: ابن القيم- شفاء العليل- ص 118-119

واستدلوا بقوله تعالى: وأنه هو أضحك وأبكى.**(النجم 43)** والضحك والبكاء فعلان اختياريان؛ ولكن هو سبحانه المضحك والمبكي حقيقة، والعبد هو الضاحك والباكي حقيقة.[1]

إذا الإنسان فاعل قادر مختار، والله خالق فعله وقدرته ومشيئته؛ فإذا حُقِقَ هذا المقام زالت كل الإشكالات. وأئمة أهل السنة وجمهورهم يقولون إن الله خالق هذا كله. والخلق عندهم ليس هو المخلوق، فيفرقون بين كون أفعال العباد مخلوقة مفعولة للرب، وبين أن يكون نفس فعله الذي هو مصدر فعل يفعل فعلا، فإنها فعلا للعبد بمعنى المصدر، وليست فعلا للرب بهذا الاعتبار، بل هي مفعولة له، والرب تعالى لا يتصف بمفعولاته.. وأهل السنة وأتباعهم يفرقون بين الأفعال الاختيارية الواقعة بحسب قصودنا ودواعينا وبين الأفعال الاضطرارية مثل حركة النبض وحركة الواقع من شاهق بإيقاع غيره.

****

الجمادات أيضا فاعلة عند أهل السنة:

الأكثر من هذا أن جمهور أهل السنة المثبتون للقدر؛ وكما يقولون أن الإنسان فاعل لفعله حقيقة، وأن له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية على الفعل، يثبتون ذلك أيضا للجمادات لفظا ومعنى؛ كما دل عليه الشرع والعقل من أن الله يخلق السحاب بالرياح، وينزل الماء بالسحاب، وينبت النبات بالماء، ولا يقولون: إن القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها، بل يقرون أن لها تأثيرا لفظا ومعنى، حتى جاء لفظ "الأثر" في مثل **قوله تعالى:** ونكتب ما قدموا وآثارهم.**(يس 12)** وإن كان التأثير هناك أعم منه في الآية لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الأسباب في مسبباتها، والله تعالى خالق السبب والمسبب، ومع أنه تعالى خالق السبب فلابد له من سبب آخر يشاركه، ولابد له من معارض يمانعه، فلا يتم أثره -مع خلق الله له- إلا بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع. أما الذين لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع، ويقولون إن قدرة الإنسان لا تأثير لها في الفعل. فهذا قول بعض مثبتة القدر كالأشعرية ومن وافقهم من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد. **فالأشعري يقول:** إن الله فاعل فعل العبد، وإن الفعل ليس فعلا للعبد بل كسبا له، وإنما هو فعل الله فقط. وهذا القول يعارضه أهل السنة الذين يقول جمهورهم: ان العبد فاعل لفعله حقيقة. **ويقول جمهور أهل السنة من السلف والخلف:** إن الإنسان له قدرة وإرادة وفعل، وهو فاعل لفعله حقيقة، ومحدث لفعله

==

1: شفاء العليل- ص 130

بإرادته وقدرته. وإن الله خلق قدرة العبد وإرادته، وذلك مستلزم لخلقه فعل الإنسان، والله جعله فاعلا محدثا له، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.. وقد أخبر أن العباد يفعلون ويصنعون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ويتقون ويفسقون ويصدقون ويكذبون ونحو ذلك في مواضع كثيرة، وأخبر أن لهم استطاعة وقوة في غير موضع. **يقول ابن تيمية:** وهذا قول جماهير أهل السنة من جميع الطوائف، وهو قول كثير من أصحاب الأشعري كأبي إسحاق الإسفراييني وأبي المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين وغيرهما. وإذا كان هذا قول محققي المعتزلة والشيعة، وهو قول جمهور أهل السنة وأئمتهم؛ بقى الخلاف بين القدرية الذين يقولون: إن الداعي يحصل في قلب الإنسان بلا مشيئة من الله ولا قدرة، وبين الجهمية المجبرة الذين يقولون: إن قدرة الإنسان لا تأثير لها في فعله بوجه من الوجوه، وأن الإنسان ليس فاعلا لفعله.. وإن أثبت أحدهم كسبا لا يُعقل، كما أثبته الأشعري ومن وافقه. وإذا كان هذا النزاع في الأصل بين القدرية النفاة لكون الله يعين المؤمن على الطاعة ويجعل فيهم داعيا إليها، ويختصهم بذلك دون الكافرين، وبين المجبرة الغلاة الذين يقولون: إن الإنسان لا يفعل شيئا ولا قدرة له على شئ، أو له قدرة لا يفعل بها شيئا ولا تأثير لها في شئ، فكلا القولين باطل.[1] وللإنسان القدرة التامة على الفعل، والاستطاعة التامة لتحقيقه؛ وإلا ما صح الحساب، ولما صح التكليف.

***

هل خلق الله الشر كما خلق الخير؟

كان هذا المبحث السبب في ضلال الكثير من الناس قديما وحديثا، فقد ظنوا أن الله الذي يخلق الخير؛ لا يخلق الشر؛ بينما يعتقد أهل السنة أن الله تعالى خالق كل شيء؛ ومن بين هذا خلق الخير وخلق الشر.

وكما قالت المجوس أن خالق النور غير خالق الظلمة، **قالت المعتزلة القدرية:** كما أن الظالم فاعل الظلم؛ والفاجر فاعل الفجر؛ فإن الشرير هو فاعل الشر؛ وعليه لا يجوز أن يقال إن الله مريد للشر أو فاعل له؛ لأن الرب يتعالى ويتنزه عن ثبوت معاني أسماء السوء له؛ فإن أسماءه كلها حسنى، وأفعاله كلها خير؛ فيستحيل أنه يريد الشر؛ فالشر ليس بإرادته ولا يفعله. وقد قام الدليل على أن فعله سبحانه غير مفعوله، الشر ليس بفعل له، فلا يكون مفعولا له. فصح أن الشر فاعله ومريده غير الله تعالى وهم العباد فاعلوا الشر

==

1: منهاج- 75/3

ومريدوه. **قال القاضي عبد الجبار:** والعدل هو: العلم بتنزيه الله عن كل قبيح، وأن أفعاله كلها حسنة. ويفسر ذلك بأن تعلم أن جميع أفعال العباد من الظلم والجور وغيرهما؛ لا يجوز أن يكون من خلقه. ومن أضاف ذلك إليه فقد نسب إليه الظلم والسفه، وخرج عن القول بالعدل. ونعلم أن الله لا يكلف الكافر الإيمان، ولم يعطه القدرة عليه. وأنه لا يكلف العبد ما لا يطيق؛ وإنما أُتي الكافر في اختياره الكفر من قِبَل نفسه لا من قبل الله. وتعلم أنه تعالى لا يريد المعاصي ولا يشاؤها، ولا يختارها، ولا يرضاها، بل يكرهها ويسخطها، وإنما يريد الطاعات ويرضاها ويحبها ويختارها..[1]

وقال أهل السنة: أن أسماء الله تعالى توقيفية، وأنه تعالى لا يُشتق له أسماء من أفعاله. كما أن الشرير هو من قام به الشر وفعل الشر لم يقم بذات الرب؛ فإن أفعاله لا تقوم به إذ هي نفس مفعولاته؛ وإنما هي قائمة بالخلق؛ ولذا اشتقت لهم منها الأسماء؛ كالفاجر والفاسق والمصلي والصائم ونحوها.. وما دل عليه القرآن والسنة من أن الشر لا يضاف إلى الله لا وصفا ولا فعلا؛ ولا يتسمى باسمه بوجه من الوجوه؛ وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العموم؛ **كقوله تعالى**: قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق. فما ها هنا موصولة أو مصدرية. والمصدر بمعنى المفعول، أي من شر الذي خلقه؛ أو من شر مخلوقه. والله تعالى إنما نسب إلى نفسه الخير دون الشر **فقال:** بيدك الخير. **وقال عليه السلام:** والخير في يديك والشر ليس إليك. ففرق بين الخير والشر وجعل أحدهما في يدي الرب، وقطع إضافة الشر إليه مع إثبات عموم خلقه لكل شئ.[2]

قال ابن حزم عن اعتقاد المعتزلة هذا: هذا الباب هو أصل ضلال المعتزلة.[3] وسبب اعتقاد المعتزلة والذين من قبلهم من القدرية (المنانية والبراهمة والدهرية) هو ظنهم أن عقول البشر حاكمة على الله؛ **وذلك بقولهم:** لا يحسن من فعل الله إلا ما حسن في عقول الناس، وأنه يقبح منه تعالى فعل ما قبح في عقولهم. ولا يخفى على أحد ما في قولهم هذا من تشبيه مجرد لله تعالى بخلقه؛ إذ حكموا بعقولهم عليه تعالى بأنه يحسن منه ما يحسن منهم، ويقبح منه ما يقبح منهم، فيحكمون عليه تعالى في العقل بما تحكم عليه عقولهم فيما بينهم.. أما أهل السنة فيقررون أن الله هو من خلق الظلم والكذب والكفر والشر والحركة والطول والعرض والسكون أعراضا في خلقه؛ كما خلق الجوع والعطش والشبع والري والسمن والهزال واللغات؛ ولا يسمى سبحانه من أجل خلقه لكل ما ذكرناه متحركا ولا ساكنا ولا طويلا ولا عريضا ولا عطشان ولا ريان ولا جائعا ولا شابعا ولا

==

1: الأصول الخمسة- ص 65-68

2: شفاء- ص 530

3: الفصل- 56/3

سمينا ولا هزيلا ولا لغويا؛ وهكذا كل ما خلق الله تبارك وتعالى؛ فإنما يخبر عنه بأنه تعالى خالق له فقط؛ ولا يوصف بشئ مما ذكرنا؛ إلا من خلقه تعالى عرضا فيه.. **ويقول ابن حزم:** ليس في العالم ظلم لعينه ولا بذاته؛ وإنما الظلم بالإضافة فيكون قتل زيدا إذا نهى الله عنه ظلما، وقتله إذا أمر الله بقتله عدلا. وقد صح أنه لا يكون كاذبا ولا كافرا ولا ظالما إلا من سمّاه الله تعالى كافرا وكاذبا وظالما، وأنه لا كفر ولا ظلم ولا كذب إلا ما سماه الله كفرا وكذبا وظلما. **وقال:** لأنه لم يزل سبحانه عليما أن الكفر والقول به قبيح من العبد إذا فعلهما معتقدا لهما لأن الله قبحهما؛ لا لأن الكفر والقول به كحركة أو عرض في النفس. حيث أنه ليس في العالم حركة معينة هي حركة حسنة لعينها؛ ولا حركة قبيحة لعينها؛ لكن ما سماها الله حركة حسنة فهي حسنة، وما سماها الله حركة قبيحة فهي قبيحة. **دليل ذلك:** أن الانسان لا يفعل شيئا إلا الحركة أو السكون، والاعتقاد والإرادة والفكر، وكل هذه كيفيات وأعراض حسن خلقها من الله عز وجل الذي حسن رتبتها وايقاعها في النفوس والأجساد؛ **وذلك لقوله تعالى:** الذي أحسن كل شئ خلقه.**(السجدة 7)** وإنما قبح ما قبح من ذلك من الانسان؛ لأن الله تعالى سمى وقوع ذلك أو بعضه من الانسان الذي وقع منه قبيحا؛ وسمى بعض ذلك حسنا.. **مثال ذلك من العبادات وما جاء في الأحكام الشرعية:** كالصلاة إلى الكعبة حركة حسنة بعد أن كانت حركة قبيحة، والصلاة إلى بيت المقدس حركة قبيحة بعد أن كانت حركة حسنة؛ وكذلك جميع أفعال الناس التي خلقها الله تعالى فيهم: كالوطء قبل الزواج وبعده؛ قبل الزواج يسمى الوطء زنى وفاعله آثم وفعله قبيح، وبعد الزواج يسمى فعل مبارك وفاعله مأجور وفعله حسن؛ وكل هذا والفعل واحد. وهكذا القول في خلقه لكافة الأعراض في عباده ولا فرق.

وقد اتفقنا والمعتزلة على أن الله هو من خلق إبليس والشياطين والخمر والخنازير والميسر والأنصاب والأزلام؛ **فنسألهم:** هل هذا كله شئ حسن أم كله رجس وقبيح وشر؟ **فإن قالوا:** بل رجس وقبح وشر ونجس وشر وفسق صدقوا وأقروا أنه تعالى خلق الأنجاس والرجس والشر والفسق وما ليس حسنا. فإن قالوا: بل هي حسان في إضافة خلقها إلى الله ورجس ونجس وشر وفسق تسمية الله تعالى لها بذلك، صدقوا وهكذا نقول: أن الكفر والمعاصي هي في أنها أعراض وحركات خلق لله تعالى حسن من خلق الله تعالى كل ذلك، وهي من العصاة بإضافتها إليهم قبائح ورجس.

أما قولهم أننا وجدا في الشاهد أنه من فعل جوركان جائرا. مردود عليهم: بأننا قد وجدنا في الشاهد أن الحي لا يكون إلا بحياة، وعليه وجب أن يكون الله حيا بحياة. وليس بين القولين فرق؛ وكلاهما لازم لمن التزم أحدهما؛ وكلاهما ضلال وخطأ. وإنما الحق أن كل ما فعله الله فهو منه حق وعدل وحكمة؛ وإن كان فعل

بعض ذلك منا لنفس تلك الأفعال ظلما وتعدي وجورا وسفها.. إن إجراؤهم الحكم على الله بمثل ما يحكم به بعضنا على بعض ضلال بيّن؛ وقول سوء، ولكن أحكامه تعالى جارية علينا. فإنا نعلم بالضرورة أنه لا فرق بين خلق الشر، وبين خلق القوة التي لا يكون الشر إلا بها! ولا بين خلق من علم الله عز وجل أنه لا يفعل إلا الشر وبين خلق إبليس وإنظاره إلى يوم القيامة، وتسليطه على إغواء العباد وإضلالهم، وتقويته على ذلك وتركه يضلهم؛ إلا من عصم الله منهم! فظهر أن في خلقه تعالى للشر والخير ولجميع أفعال عباده، وتعذيبه من شاء منهم ممن لم يهده، وإضلاله من أضل، وهداه من هدى؛ كل ذلك حق وعدل وحسن، وأن أحكامنا غير جارية عليه؛ لكن أحكامه جارية علينا، ولا فرق بين شئ مما ذكرناه في العقل ألبتة وبرهان ضروري. فعقل الانسان هو خلق من مخلوقات الله تعالى؛ والمخلوق لا يحكم على الخالق؛ بل الخالق حاكم على كل مخلوقاته.[1]

أمثلة أخرى: لا يختلف اثنان من كل من في العالم في أن امرء له ماء عذب حاضر لا يحتاج إليه وطعام عظيم فاضل لا حاجة به إليه ورأى رجلا من عرض الناس أو عبدا من عبيده يموت جوعا وعطشا فلم يسقه ولا أطعمه فإنه في غاية البخل والشح والقسوة والظلم؛ والله تعالى يرى كثيرا من عباده وأطفالا من أطفالهم لا ذنب لهم وهم يموتون جوعا وعطشا وعنده مخادع السماوات وخزائن الأرض ولا يرحمهم بنقطة ماء ولا لقمة طعام حتى يموتوا كذلك؛ ولا يوصف من اجل ذلك بشح ولا بخل ولا ظلم ولا قسوة بل هو أرحم الراحمين والرحيم الكريم والذي لا يظلم ولا يجور كما سمى نفسه؛ فبطل قياسهم الفاسد في الصفات الغائبة عندهم على الشاهد؛ وباطل أن يوصف الله عز وجل بشئ من ذلك.[2]

فإن قلتم: لما خلقه وهو شر؟

قلنا: خلقه له وفعله خير لا شر؛ فإن الخلق والفعل قائم به سبحانه. والشر يستحيل قيامه به واتصافه به، وما كان في المخلوق من شر فلعدم إضافته ونسبته إليه. والفعل والخلق يضاف إليه فكان خيرا. والذي شاءه كله خير؛ والذي لم يشأ وجوده بقى على العدم الأصلى وهو الشر، فإن الشر كله عدم؛ وإن سببه جهل وعدم العلم؛ أو ظلم وهو عدم العدل. وما يترتب على ذلك من الآلام فهو من عدم استعداد المحل وقبوله لأسباب الخيرات واللذات.

والشر نوعان: شر محض، وشر نسبي. الشر المحض الحقيقي من كل وجه لا يدخل في الوجود؛ إذ لو دخل في

==

1: انظر الفصل- 3/42-44

2: الفصل لابن حزم- 2/136

الوجود لم يكن شرا محضا. والشر الثاني النسبي الإضافي من وجه دون وجه؛ هو الذي يدخل في الوجود. ومثاله النار؛ فإنها إذا أحرقت ما ينبغي إحراقه فهو خير، إن صادفت ما لا ينبغي إحراقه فأفسدته فهو شر إضافي بالنسبة إلى المحل المعين. وهذا بالنسبة إلى الفاعل، وأما بالنسبة إلى المفعول فهو شر إضافي؛ وهو ما حصل له من التألم وفاته من الحياة، وقد يكون ذلك خيرا له من جهة أخرى خيرا لغيره. فظهر أن دخول الشر في الأمور الوجودية إنما هو بالنسبة والإضافة لا أنها من حيث وجودها وذواتها شر. كالسجود ليس هو شرا من حيث ذاته ووجوده. فإذا أضيف إلى غير الله كان شرا بهذه النسبة والإضافة.

فإن قلتم: إبليس شر محض، والكفر والشرك كذلك؛ فأي خير في إبليس وفي وجود الكفر؟

قلنا: في خلق إبليس من الحكم والمصالح والخيرات التي ترتبت على وجوده ما لا يعلمه إلا الله. فالله سبحانه لم يخلقه عبثا ولا قصد بخلقه إضرار عباده وهلاكهم. فكم لله في خلقه من حكمة باهرة وحجة قاهرة وآية ظاهرة ونعمة سابغة. وهو إنما كان للأديان والإيمان كالسموم للأبدان؛ ففي إيجاد السموم من المصالح والحكم ما هو خير من تفويتها. وأما الذي لا خير فيه ولا شر؛ فلا يدخل أيضا في الوجود فإنه عبث؛ فتعالى الله عنه.. وإذا امتنع وجود هذا القسم في الوجود فدخول الشر في إيجاده أغلب من الخير أولى بالامتناع. ومن أمل هذا الوجود علم أن الخير فيه غالب؛ وأن الأمراض وإن كثرت فالصحة أكثر منها؛ واللذات أكثر من الآلام، والعافية أعظم من البلاء؛ والغرق والحرق والهدم ونحوها وإن كثرت؛ فالسلامة أكثر. ولو لم يوجد هذا القسم الذي خيره غالب لأجل ما يعرض فيه من الشر لفات الخير الغالب. وفوات الخير الغالب شر غالب. ومثال ذلك النار؛ فإن في وجودها منافع كثيرة؛ وفيها مفاسد؛ لكن إذ قابلنا بين مصالحها ومفاسدها لم تكن لمفاسدها نسبة إلى مصالحها. وكذلك المطر والرياح والحر والبرد؛ وبالجملة فعناصر هذا العالم السفلي خيرها ممتزج بشرها، ولكن خيرها غالب، وأما العالم العلوي فبرئ من ذلك.

والقدوس: هو المنزه من كل شر ونقص وعيب. **وقال أهل التفسير:** هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به، وهذا قول أهل اللغة، وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة. ومنه بيت المقدس لأنه مكان يتطهر فيه من الذنوب، ومن أمه لا يريد إلا الصلاة فيه رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه. ومنه سميت الجنة حظيرة القدس لطهارتها من آفات الدنيا. ومنه سمي جبريل روح القدس؛ لأنه طاهر من كل عيب.[1]

==

1: شفاء- ص 262 وص 368-360

الله يحابي من يشاء ويحرم من يشاء

تقول المعتزلة: أن الله لو حابى أحد لكان ظالما لغيره. **أما أهل السنة فيقولون:** فضل الله بعض خلقه على بعض خلقة واختص بعضهم بالهدى والرحمة دون بعض، ومحاباته من شاء منهم؛ وإضلاله من ضل منهم.

قال تعالى: تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض.**(البقرة 253) وقال:** ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض.**(الإسراء 55)** وقد صح أن الله تعالى حابى موسى وإبراهيم ويحيى ومحمد دون غيرهم، ودون أبي لهب وأبي جهل وفرعون والذي حاج إبراهيم في ربه؛ فعلى قول المعتزلة يجب أن الله ظلم هؤلاء الذين حابى غيرهم عليهم؛ وهذا ما لا مخلص لهم منه إلا بترك قولهم الفاسد.[1]

وقال تعالى: ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا.**(الإسراء 70) قال ابن حزم:** وهي المحاباة بعينها التي هي عند المعتزلة جور وظلم. ويقال لهم على أصلكم الفاسد هل لا رزق الله العقل سائر الحيوان فيعرضهم بذلك للمراتب السنية التي عرض لها بني آدم؟ وهلا ساوى بين الحيوان وبيننا في أن لا يعرضنا كلنا للمهالك والفتن؟ فهل هذا إلا محاباة مجردة وفعل لم يشاء ولا معقب لحكمه لا يسأل عما يفعل؟ **يقول ابن حزم:** ثم ألم تروا أن الله خلق الحيوان فجعل بعضه أفضل من بعض بلا عمل أصلا؛ ففضل ناقة صالح على سائر النوق وعلى نوق الأنبياء الذين هم أفضل من صالح؛ وإنما أتينا بهذا لئلا يقولوا أنه تعالى إنما فضلها تفضيلا لصالح عليه السلام. وجعل تعالى الكلب مضروبا به المثل في الخساسة والرزالة، وجعل القردة والخنازير معذبا بعض من عصاه بتصويره في صورتها؛ فلولا أن صورتها عذاب ونكال ما جعل القلب في صورتها أشد ما يكون من عذاب الدنيا ونكالها، وجعل بعض الحيوان متقربا إلى الله بذبحه، وبعضه محرما ذبحه، وبعضه مأواه الرياض والأشجار والخضر، وبعضه مأواه الحشوش والرداغ والدبر. وبعضه قويا وبعضه ضعيفا، وبعضه منتفعا به في الأدوية، وبعضه سما قاتلا، وبعضه قويا على الخلاص ممن أراد بطيرانه وعدوه أو قوته، وبعضه مهينا لا مخلص عنه، وبعضه خيلا في نواصيها الخير يجاهد عليها العدو، وبعضه سباعا ضارية مسلطة على سائر الحيوان ذاعرة لها قاتلة لها آكلة لها، وجعل سائر الحيوان لا ينقصر منها، وبعضها حياة عادية مهلكة، وبعضه مأكولا على كل حال. **يقول ابن حزم:** فأي ذنب كان لبعضه حتى سلط عليه غيره فأكله وقتله وأبيح ذبحه وقتله، وإن لم يؤكل كالقمل والبراغيث والبق والوزغ وسائر الهوام؟ ونهى عن قتل النحل وعن قتل الصيد في الحرمين والاحرام، وأباحه في

===

1: الفصل- 3/79-80

غير الحرمين والاحرام؟ **فإن قالوا:** أن الله يعوض ما أباح ذبحه وقتله منها.

قيل له: فهلا أباح ذلك فيما حرم قتله ليعوضه أيضا؟ وهذه محاباة لا شك فيها، مع أنه في المعهود من المعقول عين العبث. إلا أن يقولوا أنه تعالى لا يقدر على نعيمها إلا بتقديم الأذى. فإنهم لا ينفكون بهذا من المحاباة لها على من لم يبح ذلك فيها من سائر الحيوان. وأيضا فإن قولهم يبطل بتنعيم الله الأطفال الذين ولدوا أحياء وماتوا من وقتهم دون ألم سلف لهم ولا تعذيب؛ فهلا فعل بجميع الحيوان على أصولكم؟

وأيضا فقد كان عز وجل قادرا على أن يجعل غذاءنا في غير الحيوان لكن في النبات والثمار كعيش كثير من الناس في الدنيا لا يأكلون لحما؛ فما ضرهم ذلك في عيشهم شيئا؛ فهل ها هنا إلا أن الله تعالى لا يجوز الحكم على أفعاله بما يحكم به على أفعالنا؛ لأننا مأمورون منهيون وهو تعالى أمرنا لا مأمور ولا منهي، فكل ما فعل فهو عدل وحكمة وحق؛ وكل ما فعلناه فإنه إن وافق أمره كان عدلا حقا؛ وإن خالف أمره عز وجل كان جورا وظلما.[1]

ونحن موقنون أن الحيوان كله وجميع الدواب سيبعثها كلها يوم القيامة؛ كما شاء الله ولما شاء. وأما نحن فلا ندري لماذا والله أعلم بكل شئ. ثم سيقتص لهم من تعدي بعضهم على بعض؛ أو كما قال النبي عليه السلام: لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء.[2] وأهل السنة يقرون بهذا، ثم يفعل الله بها بعد ذلك ما يشاء؛ إلا أننا ندري يقينا أنها لا تعذب بالنار؛ **لأن الله قال:** لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى.**(الليل 15-16)** وبيقين ندري أن هذه الصفة ليست إلا في الجن والإنس خاصة. وقد أيقنا أن جميع حيوان الأرض غير متعبد بشريعة. وأما الجنة فلا يدخلها إلا نفس مسلمة، والحيوان لا يقع عليهم اسم مسلمين؛ لأن المسلم هو المتعبد بالإسلام؛ والحيوان المذكور غير متعبد بشرع.

يقول ابن حزم: وقد نص الله تعالى إباحة ما ليس عدلا عند المعتزلة بل على الإطلاق، وعلى المحاباة حيث شاء، وكل ذلك عدل منه. **قال عزوجل:** ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء وان حرصتم.**(النساء 129) وقال:** فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم.**(النساء 3)** فأباح للمسلم أن لا يعدل بين ما ملكت يمينه، وأباح له محاباة من شاء منهن. فصح أن لا عدل إلا ما سماه الله عدلا فقط؛ وأن كل شئ فعله الله فهو العدل فقط لا عدل سوى ذلك.

==

1: الفصل- 3/72-73

2: عن أبي هريرة- صحيح مسلم- رقم 2582

وكذلك وجدنا الله تعالى قد أعطى الابن الذكر من الميراث حظين؛ وإن كان غنيا مكتسبا، وأعطى البنت حظا واحدا وإن كانت صغيرة فقيرة؛ فبطل قول المعتزلة وصح أن الله يحابي من يشاء ويمنع من يشاء وأن هذا هو العدل لا ما تظنه المعتزلة عدلا بجهلها وضعف عقولها.[1] وما يدل على وجود المحاباة أننا نجده تعالى قد عذب بعض الأطفال باليتم والقمل والعري والبرد والجوع وسوء المرقد والعمى والبطلان والأوجاع حتى يموتوا كذلك، وبعض الأطفال مرفه مخدوم منعم حتى يموت كذلك.. كما شرع الله للرجل المسلم أن ينكح حتى أربعا من الزوجات؛ وأن ينكح معهن من امائه أي عدد أحب؛ وكل ذلك مباح له وحسن، ولا يحل للمرأة أن تنكح غير واحد ولا يكون عبدها. وهذا من الله حسن؛ وبالضرورة ندري أن في قلوب النساء من الغيرة كما في قلوب الرجال؛ والجمع بين النساء محظور في شريعة غيرنا؛ وبعض الحيوان ينفر منه بالطبع. وشرع للمسلم أن يستعبد أخاه المسلم؛ ولعله خير من سيده في دينه وفي خلقه؛ ثم يبيعه سيده ويهبه ويستخدمه؛ ولا يجوز أن يستعبده هو أحد لا عبده ذلك ولا غيره؛ وهذا من الله حسن. وقد أحب الرسول لنفسه المقدسة ما أكرمه الله به من أن لا ينكح أحد من بعده من نسائه أمهاتنا رضوان الله عليهن؛ وأحب هو عليه السلام نكاح من نكح من النساء بعد أزواجهن، وكل ذلك حسن جميل صواب، ولو أحب ذلك غيره كان مخطئ الإرادة قبيحا ظالما، ومثل هذا إن تتبع كثير جدا؛ إذ هو فاش في العالم وفي أكثر الشريعة.. فبطل هذا القول الفاسد منهم.[2]

***

==

1: الفصل- 61/3

2: انظر الفصل لابن حزم- 96/3

الرد على المعتزلة القائلين بالصلاح والأصلح

يقول البلخي: قال جمهور المعتزلة وأكثر أهل العدل: إن الله لا يفعل بالعباد إلا ما هو أصلح لهم في دينهم وأدعى لهم إلى العمل بما أمرهم، وأنه لا يدخر عنهم شيئا يعلم أنهم يحتاجون إليه في أداء ما كلفهم، أو أنه إذا فعله بهم أتوا بالطاعة التي يستحقون عليها الثواب الذي وعدهم.[1]

وقالوا: وإذا كان هناك بالنسبة لله أن يختار ما بين أمران: أحدهما صلاح والآخر أصلح، وجب على الله أن يفعل الأصلح ويترك الصلاح. وليس ذلك فحسب؛ وبعد أن يخلق الله العالم لا يستطيع أن يزيد فيه ذرة واحدة، ولا أن ينقص منه ذرة؛ لأنه قد علم أن أصلح الأمور كونه على ما هو عليه.[2] **وقالوا:** إنه تعالى لا يقدر أن يعطي عباده أصلح ما أعطاهم، لأنه لو كان عنده أصلح مما أعطاهم ومنعه عنهم لكان بخيلا ظالما.[3] **وقال أكثر المعتزلة:** لعن الله للكفار في الدنيا؛ هو عدل من الله وحكمة، وخير وصلاح للكفار، لأن فيه زاجرا لهم عن المعصية وداعيا لهم إلى الطاعة. **وقال عباد:** هو عدل وحكمة وليس بخير ولا صلاح.[4]

ورد عليهم أهل السنة فقالوا: أما قولهم إن الله أمر العباد بما فيه صلاحهم؛ ونهاهم عما فيه فسادهم؛ فصحيح. أما قولهم إن الله يجب عليه خلق الصلاح وفعل الأصلح فباطل؛ لأن الله لا يجب عليه شئ، ولأن المشاهد والواقع يدلان على بطلان قول المعتزلة بوجوب الصلاح والأصلاح.. **يقول الأسفرابيني:** وكل عاقل يعلم أن الكافر لا صلاح له في كفره، ولا ما يحل به من تبعات فعله، فعلى هذا يجب أن تكون حجة الله منقطعة حتى لا يكون له على عبيده حجة.[5]

وقال ابن حزم: وضل جمهور المعتزلة في فصل من القدر ضلالا بعيدا فقالوا بأجمعهم: أنه ليس عند الله شئ أصلح مما أعطاه جميع الناس كافرهم ومؤمنهم، ولا عنده هدى أهدى مما قد هدى به الكافر والمؤمن. وأنه ليس يقدر على شئ هو أصلح مما فعل بالكفار والمؤمنين.[6]

ونسأل المعتزلة: أيما كان أصلح للجميع (لا سيما لأهل النار خاصة) أن يخترعنا الله كلنا في الجنة؛ كما فعل

==

1: المقالات- ص 321

2: الإنتصار- ص 129

3: الفصل لابن حزم- 92/3

4: المقالات للبلخي- ص 328

5: التبصير في الدين- ص 68

6: الفصل لابن حزم- 92/3

بالملائكة وحور العين؟ أما ما فعل بنا من خلقنا في الدنيا والتعرض للبلاء فيها وللخلود في النار؟

ونسألهم: أي مصلحة للحشرات والكلاب والبق والدود في خلقها حشرات ولم يخلقها أناسا مكلفين معرضين لدخول الجنة؟

فإن قالوا: لو جعلها ناسا لكفروا.

قيل لهم: فقد جعل الكفار ناسا فكفروا؛ فهلا نظر لهم كما نظر للدود والحشرات فجعلهم حشرات لئلا يكفروا؛ فكان أصلح لهم على قولكم؛ وهذا ما لا مخلص منه.

ونسأل المعتزلة: أيما كان أصلح للعالم أن يكون بريا (خاليا) من السباع والأفاعي والدواب العادية، أو أن يكون فيه كما هي مسلطة على الناس وعلى سائر الحيوان وعلى الأطفال؟

وقال تعالى: ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس.**(الأعراف 179)** فليت شعري أي مصلحة لهم في أن يذرأهم لجهنم نعوذ بالله من هذه المصلحة. فأيما كان أصلح للكفار المخلدين في النار أن يكونوا مع المؤمنين أمة واحدة ولا عذاب عليهم. **وقال تعالى:** والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون. وأملي لهم إن كيدي متين.**(الأعراف 182-183)** وهذا غاية في البيان في أن الله عز وجل أراد بهم وفعل بهم ما فيه فساد أديانهم وهلاكهم الذي هو ضد الصلاح؛ وإلا فأي مصلحة لهم في أن يستدرجوا إلى البلاء من حيث لا يعلمون، وفي الإملاء لهم ليزدادوا إثما. ونص تعالى أن كل ذلك الذي فعله ليس مسارعة لهم في الخير. فبطل قول هؤلاء الهلكى جملة. **وقال تعالى:** وإذا أرادنا أن نهلك قرية أمرن مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناهم تدميرا.**(الإسراء 16)** فهل بعد هذا بيان في أن الله أراد إهلاكهم دمارهم، ولم يرد صلاحهم؛ فأمر مترفيها بأوامر خالفوها ففسقوا فدمروا تدميرا؛ فأيما كان أصلح لهم أن يؤمروا فيسلموا؛ أو أن يؤمروا وهو تعالى يدري أنهم لا يأتمرون؛ فيدخلون النار؟[1]

ونسأل المعتزلة: عن تعذيب الله تعالى لأهل جهنم، أمحسن هو لهم بذلك أم مسيء؟

إن قالوا: بل محسن إليهم. قالوا الباطل وخالفوا أصلهم وسألناهم أن يسألوا الله لأنفسهم ذلك الإحسان نفسه. **وإن قالوا:** مسيء إليهم كفروا به. وإن قالوا ليس مسيئا اليهم. **قلنا لهم:** فهم في إساءة أو في إحسان؟ فإن قالوا ليسوا في إساءة كابروا العيان، وإن قالوا بل هم في إساءة. قلنا لهم هذا الذي أنكرتم أن يكون منه تعالى إليهم حال هي غاية الإساءة ولا يسمى بذلك مسيئا. وأما نحن فنقول لهم إنه في غاية المساءة والإساءة

==

1: الفصل لابن حزم- 1/101-103

والسخط إليهم وعليهم.. وأنه تعالى محسن على الإطلاق ولا نقول أنه مسيء أصلا.

ونسأل المعتزلة: أي أصلح أو صلاح في خلق إبليس ومردة الشياطين؛ وإعطائهم القوة على إضلال الناس؟ ومن الحكمة المعهودة بيننا وبالضرورة نعلم أن من نصب المصايد للناس في الطرقات، وطرح الشوك في ممشاهم؛ فإنه عائب سفيه فيما بيننا، والله تعالى خلق كل ما ذكر بإقرارهم وهو الحكيم العليم؛ ثم وجدناه تعالى قد ملك على المسلمين زيادا والحجاج وبغاة الخوارج. فأي مصلحة للمسلمين لو عقلت المعتزلة؛ ولكن الحق هو قولنا: وهو أن كل ذلك عدل من الله وحق وحكمه، وهلاك ودمار وإضلال للحجاج المسلط ونظيره؛ أراد الله بذلك هلاكهم في الآخرة.

ثم نسألهم: ماذا تقولون إذا أمر الله بجلد الحرة في الزنا مائة، وبجلد الأمة نصف ذلك. أليس هذا محاباة للأمة؟

وبالجملة فإن المعتزلة يدعون نفي تشبيه الله بخلقه ويكفرون من يفعل؛ ثم لا نعلم أحد أشد تشبيها لله بخلقه منهم.. أما نحن فنقطع أن كل ما فعله الله فهو عين الحكمة والعدل، وأن لا طاعة لأحد على الله؛ وبطل أن تكون أفعاله جارية على أحكام الخلق المأمورين المربوبين المسؤلين عما يفعلون؛ لكن أفعاله تعالى جارية على العزة والقدرة والجبروت والكبرياء والتسليم له، وأن لا يسأل عما يفعل ولا مزيد كما قال الله تعالى.[1]

وقال بعض المعتزلة: لو خلقنا الله في الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا في ذلك، وكنا أيضا غير مستحقين لذلك النعيم بعمل علمناه، وإدخالنا الجنة بعد استحقاقنا لها أتم في النعمة وأبلغ في اللذة.

ورد عليهم: بأن هذا سخف؛ وكله عائد عليهم. **فنقول:** أن الله لو خلقنا في الجنة وخلق فينا قوة أو طبيعة نعلم بها قدر النعمة علينا في ذلك؛ أكثر من علمنا بذلك بعد دخولنا فيها يوم القيامة؛ أو كعلمنا ذلك. لكان هذا أصلح مما فعل.. ومن العجب أن يكون الله تعالى يخلقنا في الجنة خلقا لا نجوع فيه أبدا، ولا نعطش، ولا نبول، ولا نمرض، ولا نموت، وينزع ما في صدورنا من غل، ثم لا يقدر على أن يخلقنا فيها، ولا على أن يخلقنا خلقا نلتذ معه بابتدائنا فيها؛ كالتذاذنا بدخولها بعد طول النكد؛ فهل يفرق بين شئ من هذا إلا من لا عقل له.. **وأما قولهم: أن الجنة يستحقونها بأعمالهم. فمردود بقول النبي عليه السلام:** ما من أحد يدخله عمله الجنة. فقيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته.[2] **وروي بلفظ آخر هو: لن ينجِّي**

==

1: الفصل لابن حزم- 3/96-98

2: عن أبي هريرة- صحيح مسلم- رقم 2816

أحدا منكم عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة، سددوا وقاربوا، وأغدوا وروحوا، وشئ من الدُّلجة (سير آخر الليل)، والقصد القصد تبلغوا.[1] **وفي رواية أخرى:** سددوا وقاربوا، وأبشروا، فإنه لن يدخل الجنة أحدا عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل.[2]

وقال تعالى: إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم.**(المعارج 41)** فقد صح أنه تعالى قادر على أن يخلق أصلح منهم. **وقال:** عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن.**(التحريم 5)** فدل على أن الله تعالى قادر على أن يفعل أصلح مما فعل، وأن عنده تعالى أصلح مما أعطى خلقه؛ فالله تعالى يخبرنا هنا أنه قادر على أن يبدل نبيه الذي هو أحب الناس إليه؛ خيرا من الأزواج اللواتي أعطاه واللواتي هن خير الناس بعد الأنبياء عليهم السلام. فبطل قول البقر الشاذة أصحاب الأصلح؛ في أنه تعالى لا يقدر على أصلح مما فعل بعباده.[3]

ويعتقد أهل السنة أن الله قد أنعم على كل الناس مؤمنهم وكافرهم بدليل قوله تعالى: الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.**(غافر61)**

وقال تعالى: الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناءا وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلك الله ربكم.**(غافر64)** فهذا عموم بالخطاب بانعام الله على كل خلقه؛ وعموم لمن يشكر من الناس؛ والكفار من جملة خلقه بلا شك. فصح أن الله نعم في الدنيا على الكفار كهي على المؤمنين وربما أكثر في بعضهم في بعض الأوقات. **قال تعالى:** ألم ترى إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار.**(إبراهيم 28)** وهذا نص جلي على نعم الله تعالى على الكفار، وأنهم بدلوها كفرا. وأما نعمة الله في الدين؛ فإن الله أرسل إليهم الرسل هادين لهم إلى ما يرضاه تعالى؛ وهذه نعمة عامة بلا شك؛ فلما كفروا وجحدوا نعم الله في ذلك؛ أعقبهم البلاء وزوال النعمة؛ **كما قال:** إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.**(الرعد 11)**.[4]

وقالت طائفة من المعتزلة: أن الباري تعالى يفعل لاجتلاب المنافع إلى عباده ودفع المضار عنهم. **وقالوا:** وإنما سمي الحكيم حكيما لإحكامه عمله. **واعترض ابن حزم على هذا فقال:** وكل هذا ليس بشئ؛ لأن الحيوان ما يحكم عمله مثل العنكبوت والنحل ودود القز؛ ولا يسمى شئ من ذلك حكيما على الحقيقة. ويرى ابن حزم أن

==

1: عن أبي هريرة- صحيح البخاري- رقم 6463

2: عن عائشة- صحيح مسلم- رقم 2828 وصحيح البخاري- رقم 6467

3: انظر الفصل لابن حزم- 104/3

4: انظر الفصل لابن حزم- 105/1

العقل والحكمة هو التزام الفضائل واجتناب الرزائل؛ يقول: فهذا هو العقل والحكمة المسمى فاعله حكيما وعاقلا؛ وهكذا هو في الشريعة؛ لأن جميع الفضائل إنما هي طاعات الله والرزائل إنما هي معاصيه؛ فلا حكيم إلا من أطاع الله عز وجل واجتنب معاصيه، وعمل ما أمره ربه. وقال أن العقل على الحقيقة إنما هو استعمال الطاعات واجتناب المعاصي، وما عدا هذا فليس عقلا بل هو سخف وحمق؛ **قال تعالى عز وجل حاكيا عن الكفار أنهم قالوا:** لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير.**(الملك 10) ثم صدقهم الله عز وجل في هذا فقال:** فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير.**(الملك 11)** فصدق الله من عصاه أنه لا يعقل؛ ثم نقول لهم: لا منزلة أخس ولا أوضع ولا أسقط من موهبة أدت إلى الخلود في النيران عقلا كانت أو غير عقل قولكم في العقل؛ لو كان كون الانسان حشرة أو دودة أو كلبا كان أحظى له وأسلم وأفضل عاجلا وآجلا وأحب إلى كل ذي عقل صحيح وتمييز غير مدخول، وإذا كان عند هؤلاء القوم العقل الموهوب وبالا على صاحبه، وسببا إلى تكليفه أمورا لم يات بها؛ فاستحق النار؛ فلا شك عند كل ذي حس سليم في أن عدمه خير من وجوده.[1]

قال القاضي عبد الجبار: وليس لهم أن يقولوا: أن المريد للسفه منا إنما كان سفيها، لأنه نهي عن إرادة السفه، وتجاوز ما حد له. وليس هذه حال القديم سبحانه، لأنا قد بينا من قبل أن التفرقة بينه وبيننا من هذا الوجه لا تصح، وأن ما يقبح منا يجب أن يكون قبيحا منه، فكذلك ما يوجب كون الواحد منا سفيها مذموم؛ يوجب كونه سبحانه كذلك، لو صح عليه.[2]

ورد عليه: أن الله أراد وخلق سفه العباد، وهو قبيح منهم وغير قبيح منه تعالى. قالوا من يرى منا جرم على المسلمين ويقدر أن يرد عنهم هذا الجرم بأقل طاقة، كان سفيها. والله تعالى يراهم ويقدر على ردهم عن جرمهم بأقل طاقة ولا يُنسب إليه السفه. **يقول الأشعري للمعتزلة:** فما أنكرتم أن من أراد السفه منا كان سفيها، والله يريد سفه السفهاء، ولا ينسب إلى الله سفيه، تعالى الله عن ذلك. **وقال:** السفيه منا إنما كان سفيها لما أراد السفه؛ لأنه نهي عن ذلك؛ ولأنه تحت شريعة من هو فوقه، ومن يحد له الحدود، ويرسم له الرسوم، فلما أتى ما نهي عنه كان سفيها. ورب العالمين جل ثناؤه وتقدسمت أسماؤه ليس تحت شريعة، ولا فوقه من يحد له

==

1: الفصل لابن حزم- 3/66-67

2: المغني- 6/341

الحدود، ويرسم له الرسوم، ولا فوقه مبيح ولا حاظر ولا آمر ولا زاجر. فلم يجب إذا أراد ذلك أن يكون قبيحا أن ينسب إلى السفه سبحانه وتعالى.[1]

أمثلة أخرى: في الشاهد بيننا أن السيد الذي يخلي بين عبيده وإمائه فيزني بعضهم ببعض، وهو يقدر أن يفرق بينهم ولا يفعل يكون سفيها. والله قد خلى بين عبيده وإمائه يزني بعضهم ببعض، وهو يقدر على التفريق بينهم وليس تعالى سفيها. **ويسألهم ابن حزم:** عن أي مصلحة لقوم خلقهم الله قد علم أنه يعذبهم مخلدين في الجحيم؛ وعن أي منفعة في إيلام الحيوان وإباحته تعالى ذبحها؟ فسكتوا؛ فسألناهم عن تعذيب أطفال لا ذنب لهم بالأمراض؟ **فإن قيل:** ليعظ بهم غيرهم. **قيل:** وهذا غاية الجور بيننا ولا عبث أعظم من أن يعذب إنسانا لا ذنب له ليوعظ بذلك آخرون مذنبون وغير مذنبين، والله تعالى قد أنكر هذا بقوله: ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى.**(الأنعام 164)** فقد انتفى عن الله هذا الظلم حقا. ولقد كان على أصولهم الفاسدة تعذيب الطغاة وإيلامه البغاة ليعظ بذلك غيرهم ادخل في العدل والحكمة من أن يؤلم طفلا أو حيوانا لا ذنب لهما ليعظ بذلك آخرين؛ بل لعل هذا الوجه قد صار سبيلا إلى كفر كثير من الناس.

وقال بعضهم: إنما فعل ذلك الله بالأطفال ليؤجر آبائهم. وهذا كالذي قبله في الجور سوء بسواء أن يؤذى من لا ذنب له ليأجر بذلك مذنبا أو غير مذنب حاشا الله من هذا؛ إلا في هذا مزية من التناقض لأن هذا التعليل ينقض عليهم في أولاد الكفار وأولاد الزنا قد ماتت أمه، وفي اليتامى من آبائهم وأمهاتهم، ورب طفل قد قتل الكفار أو الفساء أباه وأمه وترك هو بدار مضيعة حتى مات هزلا أو أكلته السباع؛ فليت شعري من وعظ بهذا؛ أو من أوجر به؛ مع أن هذا مما لم يجدوه يحسن بيننا البتة بوجه من الوجوه؛ يعني أن نؤذي إنسان لا ذنب له لينتفع بذلك آخرون؛ وهم يقولون أن الله فعل هذا فكان حسنا. ولجأ بعضهم إلى أن قال: أن الله عز وجل في هذا سرا من الحكمة والعدل يوقن به؛ وإن كنا لا نعلم لما هو ولا كيف هو. **قال ابن حزم:** وإذ قد بلغوا ها هنا فقد قرب أمرهم بعون الله؛ وهو أنه يلزمهم تصديق من يقول لهم: ولله تعالى في تكليف من لا يستطيع ثم تعذيبه عليه سر من الحكمة يوقن به ولا نعلمه. وأما نحن فلا نقول بهذا؛ بل نقول أنه لا سر ها هنا أصلا؛ بل كل ذلك كما هو عدل من الله لا من غيره؛ ولله الحجة البالغة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.[2]

==

1: الإبانة- ص 499-500

2: الفصل لابن حزم- 67/3

مثال ما سبق: الطفل الذي يقطع المرض لحمه؛ ويسبب له الأوجاع التي لا يصبر عليها ولا يطيقها، حتى القاسي القلب والعدو يرحمه ويتقطع له لعظيم ما يرى به من التضور والأوجاع؛ ودعوا الله أن يفرج بقوة من عنده تعالى عن هذا الطفل المسكين المعذب، فهل الله تعالى غير قادر على فعل ذلك؟ ثم إننا ندرك بالضرورة أنه من رأى يحترق في نار أو يغرق في ماء؛ وهو قادر على استنقاذه بلا مؤمنة، ولم يفعل؛ فهو عابث ظالم، ولكن الله تعالى يفعل ذلك؛ وهم الحكم العدل في حكمه؛ لا العابث ولا الظالم؛ وهذا هو الذي أعظموا من أن يكون قادرا على هدى الكفار. ولجأ بعضهم إلى أن قال: ربما لو عاش هذا الطفل لكان طاغيا.

ونقول لهم: لم نسئلكم عمن مات طفلا؛ وإنما سألناكم عن إيلامه قبل بلوغه، ثم نجيبهم عن قولهم فيمن مات من الأطفال أنه لو عاش لكان طاغيا، فنقول لهم هذا أشد في الظلم أن يعذبه على ما لم يفعل بعد. وقد وجدنا أن الله قد حرم ذبح بعض الحيوان وأكله، وأباح ذبح بعضه، وأوجب ذبح بعضه إذا نذر الناذر ذبحه قربنا. فنسأل المعتزلة: ما كان ذنب الذي أبيح ذبحه وسلخه وطبخه بالنار وأكله، وما كان ذنب الذي حرم كل ذلك فيه؟ وما كان حظ الذي حرم إيلامه. ووجدناه سبحانه قد أباح ذبح صغار الحيوان مع ما يحدث لأمهاتها من الحنين والوله؛ كالأبقاروالإبل، فأي فرق بين ذبحنا لمصالحنا، وصغار أولاد أعدائنا لمصالحنا، فإن طردوا دعواهم في المصحلة لربهم أن كل من له مصحلة في قتل غيره كان له قتله. فإن قالوا: لا يجوز ذلك إلا حيث أباحه الله تركوا قولهم ووفقوا للحق.[1]

ووجدناه تعالى قد حرم قتل قوم مشركين يجعلون له الصاحبة والولد، ويهود ومجوس (يقصد أهل الذمة والمجوس عند ابن حزم من ضمنهم) إذا أعطونا دينارا أو أربعة دنانير في العام وهم يكفرون بالله، وأباح قتل مسلم فاضل قد تاب وأصلح لزنا سلف منه وهو محصن، ولم يبح لنا استبقاء مشركي العرب من عباد الأوثان؛ إلا بأن يسلموا ولابد، فأي فرق بين هؤلاء الكفار وبين الكفار الذين افترض علينا ابقاؤهم لذه نأخذه منهم في العام؟ ونسألهم: هل في أفعل الله تعالى سخف وجنون وحمق وفضائح ومصائب وقبح وسخام وأقذار وأنتان ونجس وسخنة للعين وسواد الوجه؟ فإن قالوا لا أكذبهم الله بقوله: ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرها. ويكذبهم موت الأنبياء وفرعون وإبليس؛ وكل ذلك مخلوق. وإن قالوا: أن الله تعالى خالق كل ذلك؛ ولكن لا يضاف منه إلى الله على الوجه المذموم ولكن على الوجه المحمود؛ قلنا هذا قولنا فيما سألتمونا عنه ولا فرق. **واعترض ابن حزم كذلك على أن الله يسمى حكيما لأنه سمى نفسه**

==

1: الفصل لابن حزم- 67/3

حكيما فقط. ويقول: لو لم يسم نفسه حكيما ما سميناه حكيما؛ كما لم نسمه عاقلا؛ إذ لم يسم بذلك. **ويؤكد ابن حزم أن قولهم أن الله تعالى يفعل لاجتلاب المنافع إلى عباده ودفع المضار عنهم كلام فاسد إذا قيل على عمومه؛ لأن كل مستضر يفعله في دنياه وأخراه؛** لم يصرف الله عنه تلك المضرة؛ وقد كان قادرا على صرفها عنه. **ويسألهم:** إذا كان الله عز وجل يفعل لاجتلاب المنافع إلى عباده ودفع المضار عنهم؛ ولا يفعل إلا ما هو عدل بيننا: لم خلق الله من يدري أنه يكفر به؛ وأنه سيخلده بين أطباق النيران أبدا؟ وهل الخير كله على ما بيننا أن لا يعذب أحد بالنار؟ وهل الحكمة المعهودة بيننا والعدل الذي لا عدل عندنا سواه إلا نجاة الناس كلهم من الأذى، واجتماعهم في النعيم الدائم، ولكن المعتزلة قوم لا يعقلون.[1]

ومن المعلوم إن أسماء الله تعالى توقيفية عند أهل السنة؛ يقولون أنها من الأمور الغيبية التي لا مجال فيها لا للعقل ولا للاجتهاد، لذا لا يثبتون اسم لله إلا بنص فقط. وما لم يرد به نص فإنه عندهم لا يكون من أسماء الله الحسنى؛ حتى لو صح معناه في اللغة أو العقل أو الشرع. **قال ابن قدامة:** مذهب السلف الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف فيها نفسه في آياته وتنزيله، أو على لسان رسوله، من غير زيادة عليها ولا نقص منها، ولا تجاوز لها، ولا تفسير لها ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين، ولا سمات المحدثين، بل أمرُّوها كما جاءت، وردوا علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها.[2]

وقال ابن حزم: لا يجوز أن يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه؛ ولا يخبر عنه سبحانه إلا بما أخبر به عن نفسه ولا مزيد. فليس لأحد أن يسمي الله تعالى إلا بما سمى به نفسه؛ ولا يجوز أن نشتق له سبحانه اسما من أفعاله؛ فقد نص الله تعالى على أنه له: كيدا ومكرا. وأنه يمكر ويكيد ويستهزئ، وينسى من نسيه... ولا يسمى سبحانه باسم مشتق من ذلك؛ فلا يسمى: ماكرا من أجل أن له مكرا، ولا أنه كيادا من أجل أنه يكيد وأن له كيدا، ولا يسمى مستهزئا من أجل أنه يستهزئ؛ ولا يقال ناسيا من أجل أنه ينسى من ينساه. وهكذا لا يسمى الله تعالى: ظالما ولا كافرا ولا كاذبا من أجل خلقه الظلم والكفر والكذب؛ لأنه تعالى لم يسم بذلك نفسه.. وكذلك فإن الله تعالى خلق الخمر وحبل النساء، ولا يجوز أن يسمى خمارا ولا محبلا.. ولا يسمى بنّاء لأنه بنى السماء والأرض، ولا يسمى سقّاء لأنه تعالى سقانا الغيث ومياه الأرض. كما أنه تعالى خلق الخمر وإبليس والخنازير والشياطين وكل سوء وسئ وخبيث ورجس وفحش وشر، ولا يسمى من أجل ذلك شريرا ولا مسيئا.

==

1: الفصل- 66/3

2: ذم التأويل- ص 11-12

وأنه تعالى خلق القوة التي يكون بها الكفر والظلم والكذب؛ وهيأها لعباده ولا يسمونه من أجل ذلك مغريا على الكفر، ولا معينا للكافر في كفره، ولا مسببا للكفر.

فإن احتجوا بقول الله: ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك.

فالجواب: أن هذه الآية أعظم حجة على أصحاب الأصلح؛ وهم جمهور المعتزلة في ثلاثة أوجه، وهي حجة على جميع المعتزلة في وجهين:

الوجه الأول: أن في هذه الآية أن ما أصاب الانسان من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه. وهم كلهم لا يفرقون بين الأمرين؛ بل الحسن والقبيح من أفعال المرء كل ذلك عندهم من نفس المرء؛ لا خلق الله تعالى في شئ من فعله لا حسنه ولا قبيحه؛ فهذه الآية مبطلة لقول جميعهم في هذا الباب.

والوجه الثاني: أنهم كلهم قائلون أنه لا يفعل المرء حسنا ولا قبيحا ألبتة؛ إلا بقوة موهوبة من الله تعالى مكنه بها من فعل الخير والشر والطاعة والمعصية تمكينا مستويا وهي الاستطاعة على اختلافهم فيها؛ فهم متفقون على أن الباري خالقها وواهبها كانت نفس المستطيع أو بعضها أو عرضا فيه. وفي هذه الآية فرق بين الحسن والسيء كما ترى.

وأما الوجه الثالث: فإنهم يقولون أن الله تعالى لم يؤيد فاعل الحسنة بشئ من عنده تعالى، ولم يؤيد فاعل السيئة، والآية مخبرة بخلاف ذلك؛ فصارت الآية حجة عليهم ظاهرة مبطلة لقولهم. وأما قولنا نحن فيها فهو ما قاله الله عز وجل إذ يقول متصلا بهذه الآية دون فصل: قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك. ثم قال تعالى بأثر ذلك بعد كلام يسير: أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا. فصح بما ذكرنا أن كل هذا الكلام متفق لا مختلف؛ فقدّم الله تعالى أن كل شئ من عنده؛ فصح بالنص أنه تعالى خالق الخير والشر وخالق كل ما أصاب الانسان. ثم أخبر تعالى أن ما أصابنا من حسنة فمن عنده؛ وهذا هو الحق؛ لأنه لا يجب لنا تعالى عليه شئ؛ فالحسنات الواقعة منا فضل مجرد منه لا شئ لنا فيه وإحسان منه إلينا تعالى عليه شئ. فالحسنات الواقعة منا فضل مجرد منه لا شئ لنا فيه، وإحسان منه إلينا لن نستحقه قط عليه. وأخبر أن ما أصابنا من مصيبة فمن أنفسنا؛ بعد أن قال أن الكل من عنده. فصح أننا مستحقون بالنكال لظهور السيئة منا، وأننا عاصون بذلك كما حكم علينا تعالى؛ فحكمه الحق والعدل ولا مزيد.[1]

==

1: الفصل- 54/3

وقال عزوجل: إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان.**(المائدة 90) وقال:** ولحم خنزير فإنه رجس.**(الأنعام 145)** فما ذنب كان من هذه الأشياء وجب أن يسخطها الله، وأن يرجسها؟ في نفس الوقت الذي يجعل فيه غيرها طيبات؟ ليس هنا إلا أنه تعالى فعل ما يشاء؟ وأي فرق بين أن يسخط ما شاء فيلعنه مما لا يعقل ويرضي عما شاء من ذلك فيعلي قدره ويأمر بتعظيمه كناقة صالح والبيت الحرام، وبين أن يفعل ذلك أيضا فيمن يعقل؛ فيقرب بعضا كما شاء ويبعد بعضا كما شاء.

والله تعالي قادرعلى أن يفعل أصلح مما فعل، وأن عنده أصلح مما أعطى خلقه: قال الله تعالى: وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا مثلكم.**(38 محمد)** فنص تعالى على أن أصحاب النبي عليه السلام لو تولوا لأبدل قوما غيرهم؛ لا يكونون امثالهم. وبالضروة نعلم أنه عز وجل إنما أراد خيرا منهم، فقد صح أنه عز وجل قادر على أن يخلق أصلح منهم. **وقال تعالى:** إنا لقادرون. على أن نبدل خيرا منهم.**(المعارج 40-41) وقال تعالى:** عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن.**(5التحريم)** وفي هذا بيان أن الله تعالى قادر على ان يفعل أصلح مما فعل، وأن عنده تعالى أصلح مما أعطى خلقه فهاهنا يخبر نبيه عليه السلام الذي هو أحب الناس إليه أنه قادرا على إعطاءه أزواج خير من أزواجه والذين هم في الواقع من خير الناس.

***

الرد على المعتزلة في الكسب الحرام

لأن الله تعالى هو الخالق وحده، فهو وحده المتكفل برزق عباده، ولأنه الرازق وحده فهو الأحق بالعبادة، **قال تعالى:** وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها.**(هود 6) وقال:** هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض.**(فاطر3) وقال تعالى:** أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه.**(الملك 21) وقال تعالى:** ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون.**(النحل 73) وقال:** إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا الرزق عند الله واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون.**(العنكبوت 17)**

والله هو الرازق خلقه المتكفل بأقواتهم. **قال تعالى:** إن الله هو الرزاق.**(الذاريات 58)** الله هو من خلق وهو من أحيا وهو من رزق وهو من يميت وهو من يبعث من بعد الموت؛ كل هذا تفرد الله تعالى بفعله، ومن أشرك مخلوق في فعل أيا مما سبق فقد أشرك وكفر بالله، **قال تعالى:** الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء؟ سبحانه وتعالى عما يشركون.**(الروم 40) قال ابن تيمية:** فالله سبحانه هو المعطي على الحقيقة؛ فإنه هو الذي خلق الأرزاق وقدرها، وساقها إلى من يشاء من عباده؛ فالمعطي هو الذي أعطاه، وحرك قلبه لعطاء غيره، فهو الأول والآخر.[1]

والرزق هو: الطعام والشراب والمال والأولاد والعلم والمعرفة والهدى والتوفيق كل هذا من الرزق. لذا تجد الناس في امتلاك هذه الأرزاق يتفاوتون؛ **قال تعالى:** والله فضل بعضكم على بعض في الرزق.**(النحل 71)**
وجعل الله تعالى هذا التفاوت بين الناس في امتلاك تلك الأرزاق دليلا على وجوده، قال تعالى: أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له.**(العنكبوت 62)** فأنت تبذل الجهد وتأخذ أسباب الرزق الذي تريديه، فإذا أردت مالا أو علما أو ولدا فإنك لابد أن تبذل الجهد وتأخذ بالأسباب لتحصيل هذا الرزق، ولا بد وأن تؤمن بجانب فعلك كل هذا أن هذا الرزق بيد الله وحده لا شريك له، يعطيه من يشاء ويمنعه ممن يشاء، وإذا أعطى فإنه يبسطه لذاك ويقدره على ذاك، وأنه يفعل ما يريد، فلا الأسباب ولا الجهد يتوقف عليها العطاء، بل العطاء بيد الله وحده، **يعطي** على قدر الجهد والسبب أو يمنع، وإذا أعطى بسط وقدر كيفما يشاء. فتجد من يبذل أقل مجهود (أو لا يبذله) قد يعطى الرزق الوفير، وآخر قد يبذل أشق مجهود ويأخذ كل الأسباب ولا يحصل إلا أقل الرزق وقد يُحرم منه أيضا. لأن الأسباب والجهد هما مثل الدواء، وسيلة لجلب الرزق أو

==

1: مجموع الفتاوى- 92/1

الشفاء، أما الرزق ومقداره والشفاء وقته؛ فهما بيد الله وحده كما الحياة والموت والبعث. فالرجل إذا طلب الولد فلابد أن ينكح امرأة، وإذا فعل هذا فلا موجب أن يُحصل هذا الولد، فإن ذلك بيد الله إذا شاء رزقه وإن لم يشاء حرمه، **أو كما قال تعالى:** يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما.**(الشورى 49-50)**

تماما مثل ما يفعل الصياد من اتخاذ الأسباب ورمي الشبكة، أما رزقه فهو بيد الله وحده، **يعطيه** كثيرا أو قليلا أو يحرمه الرزق رغم اتخاذه كافة الأسباب وبذل الجهد الشاق. تماما مثل ما يفعل الزارع من اتخاذ الأسباب ورمي البذر ومراعاة الزرعة، أما محصوله فهو بيد الله وحده.. إذا أنت تبذل الجهد وتتخذ الأسباب لتحصيل الرزق، ولكن الرزق بيد الله وحده. **أنت تزرع والله يخلق الزرع، قال تعالى:** أفرءيتم ما تحرثون. ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون.**(الو اقعة 63-64)** فالحرث فعل الإنسان ويجري على اختياره، والزرع فعل الله وينبت على اختياره هو لا على اختيارهم. **أنت تصنع والله يخلق ما صنعت، يقول تعالى:** والله خلقكم وما تعملون.**(الصافات 96) يقول ابن رشد:** إن الموجودات الحادثة، منها ما هي جواهر وأعيان، ومنا ما هي حركات وسخونة وبرودة وبالجملة أعراض. فأما الجواهر والأعيان فليس يكون اختراعها إلا عن الخالق سبحانه، وما يقترن بها من الأسباب فإنما يؤثر في أعراض تلك الأعيان لا في جواهرها. مثال ذلك: أن المني إنما يفيد من المرأة أو دم الطمث حرارة فقط، وأما خلقة الجنين ونفسه التي هي الحياة فإنما المعطي لها الله تبارك وتعالى. كذلك الفلاح إنما يفعل في الأرض تخميرا وإصلاحا، ويبذر فيها الحب، وأما المعطي لخلقة السنبلة فهو الله.[1]

***

يعتقد أهل السنة: أن الله يرزق الحلال ويرزق الحرام.[2] وأمرنا تعالى أن نكتفي بالحلال ونتجنب الكسب الحرام ونهى عنه. فمن أطاع الله وارتزق بالحلال كسب رضاء الله ونعمته، ومن عصى وارتزق بالحرام كسب غضب الله ونقمته وعقابه. والإنسان حر في إختيار ما يوافق رضاء الله وبين ما يُكسبه غضبه. تماما كما خلق الله النكاح الحلال والنكاح الحرام، وأمرنا أن نكتفي بالزواج الحلال وأن نتجتنب الزنا الحرام ونهانا حتى عن مجرد الاقتراب من مقدماته.

أما المعتزلة فيعتقدون أن الكسب الحرام: ليس زرقا من الله، **قالوا:** لأن الله منعنا من إنفاقه واكتسابه، فلو

==

1: الكشف عن مناهج الأدلية في عقائد الملة- ص 192

2: انظر اعتقاد أئمة أهل الحديث- الإسماعيلي الجرجاوي- ص 77

كان رزقا؛ لم يجز ذلك.[1] **ويسأل الأشعري المعتزلة القائلين بأن الله لا يرزق الحرام:** خبرونا عمن اغتصب طعاما فأكله حراما. هل رزقه الله ذلك الحرام؟ **فإن قالوا:** نعم. تركوا القدر. **وإن قالوا:** لا. **قيل لهم:** فمن أكل جميع عمره الحرام فما رزقه الله شيئا اغتذى به جسمه؟ **ويقال لهم:** إذا كان غيره يغتصب له ذلك الطعام، ويطعمه إياه إلى أن مات، هل جرى رزق هذا الإنسان عندكم على غير لله؟ وفي هذا إقرار منهم أن للخلق رازقين: أحدهما يرزق الحلال. والآخر يرزق الحرام. وإن الناس نبتت لحومهم ونشأت عظامهم، والله غير رازق لهم ما اغتذوا به. **ويسألهم:** لم أبيتم أن يرزق الله الحرام؟ **فإن قالوا:** لأنه لو رزق الحرام تملّك لحرام. (يقصد أن المعتزلة تزعم أنه لو كان الرازق للحرام هو الله؛ لأصبح هذا الرزق مملوكا للعبد، ويصبح بناء على هذا الفهم حلالا له، وهذا لا يتفق مع قولهم أن رازق الحرام هو غير الله) **يقال لهم:** خبرونا عن الطفل الذي يتغذى من لبن أمه، وعن البهيمة التي ترعى الحشيش؛ من يرزقهما ذلك؟ **فإن قالوا:** الله. **قيل لهم:** فهل ملّكهُما؟ وأين للبهيمة مِلك؟ **فإن قالوا:** لا. **قيل لهم:** فلم زعمتم أنه لو رزق الحرام لملّك الحرام، وقد يرزق الله الشئ ولا يُمّلِّكه؟ **ويقال لهم:** هل أقدر الله العبد على الحرام وإن لم يُمِلْكه إياه؟ **فإن قالوا:** نعم. **يقال لهم:** فما أنكرتم أن يرزقه الحرام، وإن لم يملكه إياه.[2]

وقال ابن تيمية: إذا قطع الطريق وسرق؛ أو أكل الحرام ونحو ذلك؛ فليس هذا هو الرزق الذي أباحه الله له، ولا يحب ذلك ولا يرضاه، ولا أمره أن ينفق منه. **كقوله تعالى:** وأنفقوا مما رزقناهم.**(فاطر29)** ونحو ذلك لم يدخل فيه الحرام، بل من أنفق من الحرام؛ فإن الله يذمه ويستحق بذلك العقاب في الدنيا والآخرة، بحسب دينه.. ولكن الرزق الذي سبق به علم الله وقدره؛ كما في الحديث الصحيح عن ابن مسعود عن النبي عليه السلام: يجمع خلق أحدكم في بطن أمه .. فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي و سعيد. فكما أن الله كتب ما يعمله من خير وشر.. فكذلك كتب ما يرزقه من حلال وحرام، مع أنه يعاقبه على الرزق الحرام. ولهذا كل ما في الوجود واقع بمشيئة الله وقدره، كما تقع سائر الأعمال..[3] **وقال:** وأما قولهم إن العبد إذا تغذى بغذاء حرام إنه ليس من رزق ربه، بل هو من رزق نفسه؛ فهذا غير صحيح؛ **لأنه يقول في محكم كتابه:** نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا.. فذكر سبحانه أنه قسم معيشتهم حلالها وحرامها؛ فلا قاسم لها غيره.[4]

==

1: شرح الأصول الخمسة- عبد الجبار- ص 787

2: انظر الإبانة- ص 540-544

3: انظر الفتاوى- 544/8

4: عقائد الثلاث والسبعين فرقة- 435/1

هل المقتول لو لم يقتل لكان يموت أو يعيش؟

يقول عوام المصريون: إذا صبر القاتل على المقتول لمات وحده. وهو ما أكده أبو الهذيل العلاف [1] **بقوله:** إن الرجل لو لم يقتل مات في ذلك الوقت. **وقال بعضهم:** يجوز لو لم يقتله القاتل أن يموت ويجوز أن يعيش.[2]

وقالت المعتزلة: أن الأجل هو الوقت الذي يموت فيه العبد إن لم يُقتل فيه، أو لم يفعل ما يستحق به الزيادة في العمر؛ من صلة رحم وغيرها. **قالوا:** ووقت القتل، والوقت الذي ينتهي إليه من يزاد في عمره، أجلان؛ ويجوز أن يزيد الله في الأعمار وينقص منها؛ والآجال لا تضطرّ القاتل إلى القتل، ولو لم يتق المقتول كان الله أعلم كيف حاله من موت في ذلك الوقت أو بقاء إلى تمام أجله؛ ولا عذر للقاتل في القتل؛ وافق قتله الأجل أو لم يوافقه.[3] بل يذهب المعتزلة إلى أكثر من هذا ويقولون أن المقتول والمنتحر لم يموتا بأجلهما الذي قدره لهما الله تعالى، فلم يمت المنتحر بصنع الله، بل من صنع المنتحر قاتل نفسه، وكذلك المقتول لم يمت بصنع الله، بل من صنع الإنسان القاتل، وإلا لماذا طلب الله من الرسول والمؤمنين أن يأخذوا حذرهم وحيطتهم من العدو؛ وذلك عندما يقوم الجيش المسلم للصلاة أثناء المعارك والقتال؟ **يقول محمد عمارة:** إن أهل العدل والتوحيد (المعتزلة) يرون في ذلك دليلا على أن القتل هنا هو صنع المشركين لا صنع الله سبحانه عن أن يكون هذا فعله.

ويتابع عمارة أن المعتزلة لهذا يرون أنه: لو لم يقتل المقتول لجاز أن يعيش إلى وقت آخر، لأن الله تعالى قادر من إماتته على ما هو قادر عليه من إحيائه، ولا وجه لقطع على موت ولا حياة لولا القتل. **ويقول عمارة:** فوصلوا إلى قمة الجرأة في المناقشة والحسم لقضية الآجال، عندما قرروا أن الذي أنهى أجل القتيل هو القاتل، وأن الذي وقت أجل المنتحر هو المنتحر ذاته.. الخ.[4]

وقالت المعتزلة: أن العمر ينقص ويزيد ودليله **قوله تعالى:** وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب.**(فاطر11) وبقول النبي عليه السلام:** من سره أن يبسط عليه رزقه او ينسأ في أثره فليصل رحمه.[5]

واستدلوا كذلك **بقوله تعالى:** ثم قضى أجلا وأجلٌ مسمى عنده.**(الأنعام 2)**

==

1: المعتزلي أستاذ المأمون ابن هارون الرشيد في الكلام توفي 227 هـ/ 842م

2: مقالات- 322/1

3: المغني- القاضي عبد الجبار- ص3

4: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية- ص 103-104

5: صحيح مسلم عن أنس بن مالك- رقم 2557

أما أهل السنة فيعتقدون أن القتل والإنتحار نوع من أنواع الموت، لذا فالقتل والإنتحار علة لموت المقتول أو المنتحر، تماما كالحمى القاتلة والسرطان وسائر الأمراض القاتلة، كلها علل للموت الحادث ولا فرق. والميت والمقتول والمنتحر كلهم قد انقطع أجلهم بقضاء الله وقدره، فالله تعالى خالق الموت كما هو خالق الحياة، **قال تعالى:** الذي خلق الموت والحياة.**(الملك 2)** وهو مقدر الموت بن العباد: **قال تعالى:** نحن قدرنا بينكم الموت.**(الو اقعة 60) وقال تعالى:** وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا.**(آل عمران 145)** وفي هذا الأمر سيان مات أو قتل أو انتحر. والقتل نوع من أنواع الموت؛ فمن سأل عن المقتول لو لم يقتل لكان يموت أو يعيش؟ فسؤاله سخيف؛ لأنه إنما يسأل لو لم يمت هذا الميت أكان يموت أو كان لا يموت؟ وهذه حماقة جدا.. وأما قوله رسول الله: من سره أن يبسط عليه رزقه أو ينسأ في أثره أو أجله فليصل رحمه. فصحيح موافق للقرآن، ولما توجبه المشاهدة؛ وإنما معناه أن الله عز وجل لم يزل يعلم أن زيدا سيصل رحمه، وأن ذلك سبب إلى أن يبلغ من العمر كذا وكذا، وكذا كل حي في الدنيا؛ لأن من علم الله تعالى أنه سيعمره كذا وكذا من الدهر؛ فإنه تعالى قد علم وقدّر أنه سيتغذى بالطعام والشراب ويتنفس بالهواء؛ ويسلم من الآفات القاتلة تلك المدة التي لابد لها من استيفائها، والمسبب والسبب كل ذلك قد سبق في علم الله كما هو لا يتبدل. **قال تعالى:** ما يبدل القول لدي.**(ق 29)** ولو كان على غير هذا لوجب البداء ضرورة، ولكان غر عليم بما يكون متشككا فيه لا يكون أم لا يكون، جاهلا به جملة، وهذه صفة المخلوقين لا صفة الخالق وهذا كفر مما قال به.. ونص القرآن يشهد يصحة ما قلناه. **قال تعالى:** لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم.**(آل عمران 154) وقال:** قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل.**(الأحزاب 16) وقال:** أينما تكونوا يدرككم الموت.**(النساء 87) وقال تعالى منكرا لقول جرت المعتزلة في ميدانهم:** الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا. قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين.**(آل عمران 168)**

وأما قوله: ثم قضى أجلا وأجلا مسمى عنده. فهذا حجة عليهم، لأنه تعالى نص على أنه قضى أجلا، ولم يقل لشئ دون شئ، لكن على الجملة ثم قال: وأجل مسمى عنده. فهذا الأجل المسمى عنده؛ هو الذي قضي بلا شك، إذ لو كان غيره لكان أحدهما ليس أجلا؛ إذا أمكن التقصير عنه، أو مجاوزته، ولكن الباري تعالى مبطلا إذا سماه أجلا، وهذا كفر لا يقوله مسلم. وأجل الشئ: هو ميعاده الذي لا يتعداه، وإلا فليس يسمى أجلا البتة. ولم يقل تعالى أن الأجل المسمى عنده هو غير الأجل الذي قضى؛ فأجل كل شئ منقضي أمره بالضرورة نعلم ذلك، **ويبينه قوله:** فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.**(الأعراف 34) وقال:** ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها.**(المنافقون 11)** وقد أخبرنا تعالى بذلك أيضا **فقال:** وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن

الله كتابا مؤجلا.**(آل عمران 145)** فتظاهرت الآيات كلها بالحق الذي هو قولنا، وبتكذيب من قال غير ذلك. **أما قوله تعالى:** وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب.**(فاطر11)** فهذا لا حجة لهم فيه؛ لأن النقص في اللغة إنما هو من باب الإضافة؛ وبالضرورة علمنا أن من عمر مائة عام وعمر آخر ثمانين؛ فإن الذي عمر ثمانين نقص من عدد عمر الآخر عشرين عاما؛ فهذا هو ظاهر الآية ومقتضاها على الحقيقة. ولا يقدر أحد على تعدي ما علم الله تعالى أن يكون، ولا يكون البتة إلا ما سبق في علمه أن يكون..[1]

***

هذا هو دين الإسلام، وهذه هي عقيدة الفرقة الناجية من النار ظاهرها وباطنها، ويبرءون إلى الله تعالى من كل من خالف ما ذكرناه وبيناه. نسأل الله تعالى أن يثبتنا على ما ارتضاه لنا عقيدة ومنهجا وسبيلا، ويختم لنا به. **روى عبد الله بن مسعود:** خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده، **ثم قال عليه السلام:** هذا سبيل الله مستقيما، **قال:** ثم خط عن يمينه وشماله، **ثم قال:** هذا السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، **ثم قرأ:** وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون.**(الأنعام 153)**.[2]

تم بعون الله وتوفيقه

==

1: ابن حزم- الفصل- 49/3 بتصرف

2: تخريج المسند لأحمد شاكر- 199/1

مراجع الناجون من النار

1: القرآن الكريم

2: محمد بن إسماعيل البخاري- صحيح البخاري-دار ابن كثير- ط1- لبنان- 2002م

3: مسلم بن الحجاج النيسابوري -صحيح مسلم- دار التأصيل- ط1- لبنان- 2014م

4: يحي بن شرف النووي- صحيح مسلم بشرح النووي- المطبعة المصرية بالأزهر- ط1- مصر- 1929م

5: أبو الحسن بن منصور الطبري اللالكائي- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة- تحقيق: نشأن بن كمال المصري- دار البصيرة- مصر

6: أحمد بن حنبل- مسند الإمام أحمد بن حنبل- تحقيق: شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة

7: ابن قيم الجوزية- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدروالحكمة والتعليل- دار التراث- مصر

8: أبو عبد الله محمد بن بطة العبكري الحنبلي- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة- تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي- دار الر اية للنشر والتوزيع- ط2-الرياض- 1418هـ

9: رسالة الفتوى الحموية الكبرى- شيخ الإسلام ابن تيمية- مطبعة المدني- ط6- مصر

10- محمد بن أحمد الذهبي- ميزان الإعتدال في نقد الرجال- تحقيق: علي البجاوي- دار المعرفة- لبنان

11: دانكن بلاك ماكدونالد- تطور الدولة والفقة والكلام في الإسلام- ترجمة: محمد سعد كامل- مركز نماء للبحوث والدراسات- ط1- لبنان- 2018م

12: محمد بن إسماعيل البخاري- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل- ط3- لبنان- 1990م

13: الرد على الجهمية والزنادقة- أحمد بن حنبل- تحقيق: صبري شاهين- دار الثبات للنشر والتوزيع- ط1- الرياض- 2003م

14: عبد القاهر البغدادي- الفرق بين الفرق- تحقيق: محمد محي الدين- مطبعة المدني- مصر

15: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية- منهاج السنةالنبوية- تحقيق: محمد رشاد- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- ط1- المملكة العربية السعودية- 1986م

16: أبو الحسن الأشعري- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين- تحقيق: محمد محي الدين- المكتبة العصرية- بيروت- 1990م

17: محمد بن أحمد الملطي- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع- مكتبة المثنى- بغداد- 1968م

18: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني- الملل والنحل- تحقيق: أحمد فهمي- دار الكتب العلمية- ط1- لبنان- 1992

19: ابن حزم الأندلسي- الفصل في الملل والأهواء والنحل- مكتبة السلام العالمية- مصر

20: عبد المنعم الحنفي- موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب- دار الرشد- ط1- مصر- 1993م

21: محمد محمود مزروعة- دراسات في الفرق الإسلامية- دار الكتب المصرية- ط1- مصر- 2016م

22: أحمد فاروق الدسوقي- القضاء والقدر في الإسلام- دار الإعتصام- مصر

23: محمد أبي حامد الغزالي- الإقتصاد في الإعتقاد- المطبعة الأدبية- ط1- مصر

24: أحمد بن الحسين البيهقي- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة- در العهد الجديدة- 1959م- مصر

25: عبد الكريم الشهرستاني- نهاية الإقدام في علم الكلام- تحقيق: ألفريد جيوم- مكتبة الثقافة الدينية- ط1- مصر- 2009م

26: أبو بكر بن الطيب الباقلاني- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به- المكتبة الأزهرية للتراث- ط2- مصر- 2000م

27: زهدي حسن جار الله- المعتزلة- مطبعة مصر- القاهرة- 1947م

28: محمد أبو زهرة- تاريخ المذاهب الإسلامية- دار الفكر العربي- مصر

29: الحافظ علي بن الحسن ابن عساكر- تاريخ مدينة دمشق- دار الفكر- لبنان- 1999م

30: أحمد بن يحي المرتضى- المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل- دائرة المعارف النظامية- حيدر آباد الدكن- 1316هـ

31: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري- مختصر الشريعة- دار الآثار- ط1- القاهرة- 2007م

32: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري- تاريخ الرسل والملوك- تحقيق: محمد أبو الفضل- دار المعارف- ط2- مصر

33: أبي الحسين الخياط- الإنتصار والرد على ابن الروندي الملحد- تحقيق: نيبرج- مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة- 1925م

34: جمال الدين القاسمي- تاريخ الجهمية والمعتزلة- مؤسسة الرسالة- ط1- لبنان- 1979م

35: صالح بن مهدي المقبلي- العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ- ط1- مصر- 1328هـ

36: القاضي عبد الجبار- الأصول الخمسة- مطبوعات جامعة الكويت- ط1- 1998م

37: عبد الرحمن بدوي- مذاهب الإسلاميين- دار العلم للملايين- لبنان- 1997م

38: ألبير نصري نادر- فلسفة المعتزلة فلاسفة الإسلام الأسبقين- دار نشر الثقافة- مصر

39: القاضي عبد الجبار- شرح الأصول الخمسة- تحقيق: عبد الكريم عثمان- مكتبة وهبة- ط3- مصر- 1996م

40: أحمد محمود صبحي- في علم الكلام- دار النهضة العربية- ط5- لبنان- 1985م

41: عواد بن عبد الله المعتق-المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها- مكتبة الرشد- ط2- الرياض- 1995م

42: القاضي عبد الجبار- تنزيه القرآن عن المطاعن- تحقيق: توفيق علي- مكتبة النافذة- ط1- مصر- 2006م

43: الحسن بن موسى النوبختي- فرق الشيعة- منشورات الرضا- ط1- لبنان- 2012م

44: القاضي عبد الجبار- المغني في أبواب العدل والتوحيد- المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة

45: فؤاد سيد و أيمن فؤاد سيد-فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة- المعهد الألماني للأبحاث الشرقية- لبنان- 2017م

46: عبد الله بن مسلم بن قتيبة- تأويل مختلف الحديث- تحقيق: سليم بن عيد الهلالي- ط2- دار ابن عفان- مصر- 2005م

47: أحمد أمين- ضحى الإسلام- مؤسسة هنداوي- مصر- 2012م

48: محمد عمارة- المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية- دار الشروق- ط2- مصر- 1988م

49: القمص ميخائيل مينا- علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

50: الحاخام سعديا جاءون- الأمانات والاعتقادات- منشورات مدونة النقد النصي للعهد القديم

51: يحيى ذكري- علم الكلام اليهودي- الدار المصرية اللبنانية- ط1- مصر- 2015م

52: محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ التِرمِذِي- صحيح سنن الترمذي- تأليف: محمد ناصر الدين الألباني- مكتبة المعارف- ط1 الرياض- 2000م

53: محمد الطاهر ابن عاشور- تفسير التحرير والتنوير- الدار التونسية للنشر- تونس- 1984م

54: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري- الإبانة عن أصول الديانة- مدار المسلم للنشر- ط1- الرياض- 2011م

55: أبي محمد اليمني- عقائد الثلاث والسبعين فرقة- تحقيق: محمد الغامدي- مكتبة العلوم والحكم- ط1- المدينة المنورة- 1414هـ

56: محمد ناصر الدين الألباني- ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)- المكتب الإسلامي

57: محمد ناصر الدين الألباني-صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)- المكتب الإسلامي- ط3- 1998م

58: محمد بن أحمد الذهبي- ميزان الاعتدال في نقد الرجال- تحقيق: علي البجاوي- دار المعرفة- لبنان

59: يحيى بن الحسين- الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية- تحقيق: محمد عمارة

60: القاضي عبد الجبار- المجموع في المحيط بالتكليف- جمع: ابن متويه- تحقيق: الأب جين يوسف- المطبعة الكاثوليكية- لبنان

61: أبو حامد الغزالي- المستصفى من علم الأصول- تحقيق: حمزة بن زهير- الجامعة الإسلامية- كلية الشريعة- المدينة المنورة

62: ابن قيم الجوزية- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين- دار الكتاب العربي- ط7- لبنان- 2003م

63: أحمد بن حنبل- المسند- تحقيق: أحمد محمد شاكر- دار الحديث- ط1- مصر- 1995م

64: سامي عامري- مشكلة الشر ووجود الله- تكوين للنشر- ط2- المملكة العربية السعودية- 2016م

65: أبي المظفر الإسفر ايني- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين- تحقيق: كمال يوسف الحوت- عالم الكتب- ط1- لبنان- 1983م

66: أبي إسحاق الشاطبي- الاعتصام- تحقيق: أبو عبيدة مشهور- مكتبة التوحيد

67: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية- درء تعارض العقل والنقل- تحقيق: محمد رشاد سالم- إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- ط2- المملكة العربية السعودية
68: محمد بن أحمد السفاريني- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية-
69: يحيى بن أبي الخير العمراني- الإنتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار- تحقيق: سعود عبد العزيز- الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة- 1419هـ
70: أحمد بن يحيى بن المرتضى- طبقات المعتزلة- لجنة المستشرقين الألمانية- لبنان- 1961م
71: عبد الله بن أحمد البلخي- المقالات وعيون المسائل والجوابات- دار الفتح للدراسات- ط1- الأردن- 2018م
72: الحافظ ابن كثير- البداية والنهاية- تحقيق: عبد الله التركي- دار هجر- ط1- مصر- 1997م
73: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي- العبر في خبر من غبر- تحقيق: صلاح الدين المنجد- دائرة المطبوعات والنشر- الكويت- 1960م
74: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- تهذيب التهذيب- دار الكتاب الإسلامي- مصر
75: عبد الرحمن بدوي- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة
76: توماس أرنولد- الدعوة إلى الإسلام- ترجمة: حسن إبراهيم وعبد المجيد عابدين- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- 1971م
77: ابن تيمية- مجموع الفتاوى الكبرى- جمع وترتيب: عبد الكريم بن عبد الرحمن- دار المنار- ط1- مصر- 1992م
78: صحيح سنن ابن ماجه- محمد ناصر الدين الألباني- مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- ط1- الرياض- 1997م
79: محمد بن عبد الباقي الزرقاني- مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة –تحقيق: محمد لطفي الصباغ- ط4- المكتب الإسلامي- بيروت- 1989م
80: إسماعيل بن عمر بن كثير- تفسير القرآن العظيم- دار طيبة للنشر والتوزيع- ط2- الرياض- 1999م
81: الخطيب البغدادي- الكفاية في معرفة أصول علم الرواية- دار الهدى- ط1- مصر- 2003م
82: محمد ناصر الدين- سلسلة الأحاديث الصحيحة- مكتبة المعارف- الرياض
83: ابن قيم الجوزية- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية- تحقيق: سيد إبراهيم- دار الحديث- ط1- مصر- 1992م
84: محمد بن ناصر الدين الألباني- صحيح سنن أبي داود- مكتبة المعارف للنشر والوزيع- ط1- الرياض- 1998م
85: تقي الدين بن تيمية- الفتاوى الكبرى- تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية- ط1- بيروت- 1987م
86: محمد ناصر الدين الألباني- التوحيد أولا يا دعاة الإسلام- دار الهدي النبوي- 1999م
87: أحمد بن حسين البيهقي- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد- دار الفضيلة- ط1- الرياض- 1999م
88: مقبل بن هادي الوادعي- الصحيح المسند من دلائل النبوة- دار الحرمين- ط1- مصر- 2002م

89: ابن أبي العز الحنفي- شرح العقيدة الطحاوية- دار ابن رجب- ط1- مصر- 2002م

90: محمد بن إبراهيم النيسابوري- الإجماع- مكتبة الفرقان- ط2- عجمان- 1999م

91: أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي- المحلى بالآثار- تحقيق: عبد الغفار سليمان- دار الكتب العلمية- ط3- لبنان- 2003م

فهرس كتاب الناجون من النار